

الآثار والمباني العربية في الموصل

تأليف

إسماعيل حقي فرج

حققه وعلق عليه

قصي حسين آل فرج

الآثارُ وَالمَبَانِيْ العَرَبِيَّة
فِي المَوْصِلِ
عَلَى ضَوْءِ النَّقْدِ الحَدِيْثِ

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (1/196)

810.9
الموصلي، اسماعيل حقي فرج

الآثار والمباني العربية في الموصل/ اسماعيل حقي فرج الموصلي
.-عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012

( ) ص

ر.أ: (1/196).

الواصفات:/ النقد الادبي// التحليل الادبي// العصر الحديث

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-555-38-2



تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلــوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com

الآثَارُ وَالمَبَانِيْ العَرَبِيَّة

فِي المَوْصِلِ [1]
عَلَى ضَوْءِ النَّقْدِ الحَدِيْثِ

إِسْمَاعِيْل حَقِّيْ أَحْمَدَ آلِ فَرَجٍ المَوْصِلِيِّ

وَهُوَ كِتَابُ نَقْدٍ وَلُغَةٍ وَتَارِيْخٍ عَلَّقَ مُؤَلِّفُهُ أَبْحَاثَهُ عَلَى كِتَابِ الآثَارِ وَالمَبَانِيْ العَرَبِيِّةِ فِي المَوْصِلِ، أَبَانَ مَا فِيْهِ مِنَ الأَخْطَاءِ فِي اللُّغَةِ وَفِي التَّارِيْخِ المَوْصِلِيِّ بِأُسْلُوْبٍ عِلْمِيٍّ وَتَحْقِيْقٍ دَقِيْقٍ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْه



[1] ارتأيت إضافة عبارة (في الموصل) الى أصل العنوان خشية أن يتوهم القاريء أن الكتاب يبحث عن الآثار العربية بعمومها في حين أن الكتاب يتضمن الآثار في الموصل فقط، ولأن الصوفي حصر كتابه في آثار الموصل، إلاّ أن آل فرج تطرق الى بعض المعالم العربية من باب تأييد مبتغاه من الناحية العمارية كما سيلاحظ القاريء.

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آلــه وصــحبه أجمعين. أما بعد:

جرت العادة عند المؤلفين والمحققين أن يضعوا تقديماً لعملهم سواء في البدايــة أو بعــد الانجاز، لذا أردت أن أبين للقاريء الكريم ما يضمه القطر العراقي ولا سيما أحد مدنه التي مرت بماض سحيق، فبرز فيها رجالات العلم والثقافة، والفكر والأدب، ولم يتركــوا مجــالاً للمعرفة والعلوم النظرية أو التطبيقية إلاّ وولجوها، وبرزت طاقاهم عبر العصور، ولكل عصر بين النهوض الراقي المتميز، والهبوط الناجم عن الصراعات السياسية الخارجية أو المحلية، أو التوقف المؤقت عن الانجاز والإبداع، لينتقل أهلها من العلماء والأدباء الى المدن المجاورة أو البعيدة، الى بلاد الشام ومصر والمغرب العربي شرقاً، والى اليمن جنوباً، والى فارس والهنــد شرقاً، وبلاد الأناضول والصقالبة شمالاً، كما جرى لمدينة الموصل الحدباء عند قيام الفــاتحين المبشرين بالدين الاسلامي الحنيف لينشروا ثقافة الاسلام والفكر النير الذي يخرج الناس من الظلمات الى النور، وليتصادموا مع الثقافات الأخرى الموجــودة في بلادهــم، وينتــصروا عليهم، ولتسقط بغداد ومدنها على يد المغول، ولكن ما تحمله الأمة مــن صــدق العقيــدة وصحتها تقيل عثرها مرات ومرات وحتى زماننا هذا.

مدينة الموصل وهي الحاضرة العربية المرموقة، والتي مصرها الفاتحون ووضــعوا أســس العلم والثقافة فيها، علوماً عملية وواقعية، هندسة عمارية رائعة متــأثرة بمــا يحيطهــا مــن معلومات، تنقل أفكارها ونشاطاها الى ما يجاورها من بلدان.

الكتاب لأحمد الصوفي والتعليقات عليه من استاذ اختص بالعربية وعلومها التي طغــت على مادة تعليقه عليه، فالأول متخصص في علم الآثار وموظف في دائرها بالموصل، والثــاني اسماعيل حقي فرج أحد مدرسي الموصل، ومن المؤكد شتان بين الاختصاصين بــالرغم مــن عدم استغناء الاختصاص الأول عن الثاني، عليه أردت أن أنقل للقاريء والمهــتم بــشؤون

العمارة وتاريخها ما جرى من مساجلات بين العلمين لغرض إغناء الساحة المعرفية، وما جرى بين المؤرخين ولتصحيح العديد من المفاهيم الخاصة بشؤون العمارة الموصلية الخاصة في جوامعها ومساجدها وأضرحة ومراقد رجالها وقبورهم. ولقد استخدمت عدستي لتصوير العديد من الأماكن الخاصة بهذا الكتاب لأحدد التغييرات التي جرت على هذه المنشآت، ولأنقل القارئ الى تلك الأجواء العمارية الموصلية، كما استعنت ببعض الصور من أرشيف السيد (غزوان الحيالي) لأضفي على المواقع أثراً تاريخياً يعود أكثرها الى مطلع القرن العشرين المنصرم.

أما كتاب المرحوم الاستاذ (احمد علي الصوفي) فانه قد قام بطباعته في المطبعة العلمية بمدينة حلب عام 1939 وسعر النسخة 50 فلساً، وقرظه السيد امين اسكندر معلوف في 20 آب عندما كان في لبنان، ولكن سرعان ما أعاد طباعته عام 1358هـ الموافق 1940م في مطبعة ام الربيعين بالموصل وسعر النسخة 100 فلس. ويبدو أن لإعادة طباعة هذا الكتاب حكاية، وهي: إما أن الكتاب الذي طبعه بحلب لم يستلمه بعد عودته من سورية ولفترة زمنية طويلة، لأن أحد الاصدقاء ذكر لي بأن المؤلف أهدى كمية كبيرة منه الى اعضاء جمعية احياء التراث، بحيث تولى هو بيعه وتوزيع بعض منه بسعر زهيد، أو أنه لم يرتض الكتاب على تلك الصيغة، أو أن المؤلف أراد أن يستدرك بعض المعالم التي تبينت له من الأهمية بمكان أن يكتب عنها كما حدث في ذكر (جامع الجويجاتي) و(مدرسة الطغرائي) و(فهرس الموضوعات).

بلغت صفحات الطبعة الاولى (128) صفحة، وصفحات الطبعة الثانية (96) صفحة. وقد غير العديد من العبارات بصيغة مخالفة للطبعة الثانية، مثلاً يقول في الطبعة الاولى: (بها نهر يقال له نهر الحر..) وفي الثانية يقول: (بها (الموصل) نهر يقال له نهر الحر). كما حذف من الطبعة الاولى العديد من الفقرات التي يحس بها أنها حشو، ولذلك يمكن مراقبة الفرق بين عدد صفحات الطبعة الاولى عن الثانية. كان الصوفي موفقاً جداً في نشر صور المعالم التي تطرق اليها وأضفت على كتابه دليلاً محسوساً على ما ذهب اليه.

أما المرحوم الاستاذ اسماعيل فرج فقد وصلت اليه النسختان واعتمد في التعليق والـــرد عليه على النسخة الثانية المزيدة، وكان تعليقه من جانبين كما ذكره هو بنفـــسه، التعليـــق الأول على بيان ما جاء في عبارات الصوفي من أخطاء لغوية، والثاني بعض الأخطاء التاريخية معتمداً على الأدلة التي وردت في كتب التاريخ المعتبرة، وكانت تحليلاته أكثر منطقية.

لذا أقول عن كل ما كتب المرحوم الصوفي وبخاصة عن كتابه هذا أنه أول من كتـــب بهذه الجرأة وإن كانت تحمل في طياها بعض الأخطاء ولا سيما أنه مطّلع مباشرة عن آثـــار الموصل لاشرافه المهني والوظيفي عليها، فكان سبباً لتصحيح ما ورد فيه مـــن هنـــات هنـــا وهناك، كما أن المؤرخ سعيد الديوه جي كان قد نقده كما بينته في الملاحق بآخر الكتـــاب، وكذا القس سليمان الصايغ في كتابه المنشور عام 1956 في جزئه الثالث من تاريخ الموصل الموسوم بـــ (نفائس الآثار) والذي نقل منه القس معظم ما كتبه آل فرج كما بينه في مقدمة كتابه. والله الموفق.

قصي حسين آل فرج

مدير المكتبة المركزية العامة في الموصل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ

الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَالاهُ، أَمَّا بَعْدُ: فَهَذِهِ نَفَثَاتٌ قَلَمِيَّةٌ، وَنَقْدَاتٌ تَارِيْخِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ، كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُهَا عَلَى هَامِشِ كُتَيِّبٍ صَغِيرٍ يُدْعَى (الآثَارُ وَالمَبَانِيْ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِيْ المَوْصِلِ) لِجَامِعِهِ أَحْمَدَ الصُّوْفِيِّ بْنِ عَلِيٍّ المَوْصِلِيِّ، دَعَانِي إِلَى تَجْرِيدِهَا[1] عَنْ هَامِشِ الكُتَيِّبِ المَذْكُورِ، وَتَسْطِيرِهَا مَجْمُوْعَةً فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ كَثْرَةَ مَا فِيْهِ مِنَ الأَخْطَاءِ فِي تَارِيْخِ المَشَاهِدِ وَالمَقَامَاتِ المَوْصِلِيَّةِ وَفِيْ تَرَاجُمِ أَرْبَابِهَا، وَبِمَا أَنَّنِي مِنْ أَبْنَاءِ المَوْصِلِ المَحْرُوْسَةِ الّتِي تَحْتَوِيْ هَذِهِ المَشَاهِدَ الطَّيِّبَةَ وَالمَقَامَاتِ المُبَارَكَةَ رَأَيْتُ مِنَ الوَاجِبِ المُفْتَرَضِ عَلَيَّ أَنْ أُنَبِّهَ عَلَى هَذِهِ الأَخْطَاءِ الّتِي شَوَّهَتْ جَمَالَ تَارِيْخِهَا وَمَوَّهَتْ حَقِيقَتَهُ بِغِشَاءٍ مِنَ التَّشْوِيْشِ وَالارْتِبَاكِ، فَأَقُوْلُ وَمِنَ اللهِ أَسْتَمِدُّ الهِدَايَةَ وَالمَعُوْنَةَ:

تَوْطِئَةٌ

بَدَأَ المُؤَلِّفُ كِتَابَهُ هَذَا بِبَابَيْنِ اثْنَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: بَابُ (مَنْشَأَ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ)، وَثَانِيْهُمَا: بَابُ (تَأْسِيْسِهَا) وَقَدْ قَدَّمَ بَابَ المَنْشَأَ فِي الذِّكْرِ عَلَى بَابِ التَّأْسِيْسِ مَعْ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ يُرَادُ إِنْشَاؤُهُ يَجِبُ أَنْ تُوْضَعَ أُسُسُهُ أَوَّلاً ثُمَّ يُبَاشَرُ إِنْشَاؤُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوَّلاً فَأَوَّلاً حَتَّى يَتِمَّ. وَلَكِنَّ المُؤَلِّفَ قَدْ فَاتَتْهُ هَذِهِ البَدِيْهَةُ الجَلِيَّةُ، وَلِذَلِكَ عَكَسَ الأَمْرَ، فَوَضَعَ بَابَ الإِنْشَاءِ قَبْلَ بَابِ التَّأْسِيْسِ كَأَنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُقِيْمَ الإِنْشَاءَ وَيَرْفَعَ قَوَاعِدَ البِنَاءِ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ بِأُسُسِهِ وَيَضَعَهَا فَوْقَهُ فَقَالَ: (مَنْشَأَ مَدِينَةِ المَوْصِلِ) عَلَى أَنَّهُ فِي بَابِ المَنْشَأَ هَذَا لَمْ يَذْكُرْ شَيْئاً مِنَ المُنْشَآتِ وَلَمْ يَبْحَثْ عَنْ شَيءٍ مِنَ العُمْرَانِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ مِنْهُمَا شَيْئاً قَلِيْلاً فِيْ بَابِ التَّأْسِيْسِ الآتِي، فَهُوَ لِذَلِكَ لَوْ جَعَلَ البَابَيْنِ أَعْنِيْ بَابَ التَّأْسِيْسِ وَالمَنْشَأَ بَاباً وَاحِداً لَكَانَ أَوْلَى. ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ حَشَا بَابَ التَّأْسِيْسِ

[1] مِن جرد العود قشره، والجلد نزع شعره. البستاني، قطر المحيط 1 ص256.
وهذا فان آل فرج لم يدون متن كتاب الصوفيّ كله.

بِنُصُوْصٍ تَارِيْخِيَّةٍ نَقَلَهَا عَنْ بَعْضِ الْمُؤَرِّخِيْنَ لَيْسَ لَهَا عَلاقَةٌ بِه قَطٌّ، وَإِنَّمَا هِيَ تَعْنِيْ أُمُوْراً أُخْرَى كَجِبَايَةِ أَمْوَالِ المَوْصِلِ فِي عَهْدِ الرَّاشِدِيْنَ، وَفِي كَوْنِ لُغَةِ أَهْلِهَا أَحْسَنَ مِنْ لُغَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَفِي كَوْنِهَا كَانَتْ غَيْرَ ذَاتِ زَرْعٍ وَلا شَجَرٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي أَوْرَدَهَا فِي هَذَا البَابِ وَلَيْسَ لَهَا بِهِ صِلَةٌ كَمَا يَتَّضِحُ لَكَ ذَلِكَ مِمَّا سَتَقْرَؤُهُ مِنْ كَلامِهِ وَمِنْ تَعْلِيقَاتِنَا عَلَيْهِ، وَدُونَكَ البَيَانُ:

اسْتَهَلَّ الْمُؤَلِّفُ هَذَا البَابَ بِقَوْلِه: [كَانَتِ المَوْصِلُ فِي الأَصْلِ حِصْناً آشُوْرِيّاً أَطْلَقَ عَلَيْهِ الأَرَمِيُّونَ[1] اسْمَ الحِصْنِ العُبُوْرِيِّ وَمَعْنَاهُ القَلْعَةُ الَّتِيْ عَلَىْ الضَّفَّةِ الأُخْرَىْ مِنْ دِجْلَةَ][2].

أَقُوْلُ: قَالَ هَذَا، وَهُوَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيءٍ عَلَىْ مَنْشَأ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ الَّذِيْ عَقَدَ لَهُ هَذَا البَابَ، وَلا عَلَىْ كَيْفِيَّةِ بَدْءِ إِنْشَائِهَا، وَتَقَدُّمِ عُمْرَانِهَا شَيئاً فَشَيئاً حَتَّى صَارَتْ بَلْدَةً كَبِيْرَةً، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى إِثْبَاتِ وُجُوْدِ حِصْنٍ آشُوْرِيٍّ لا يَشُكُّ هُوَ نَفْسُهُ أَنَّ مَوقِعَهُ هُوَ النَّشْزُ الَّذِي يُسَمِّيْه "قليْعات". ثُمَّ سَكَتَ وَلَمْ يُبَيِّنْ فِي هَذَا البَابِ كَيْفَ تَوَسَّعَ عُمْرَانُ هَذَا الحِصْنِ حَتَّى صَارَ بَلْدَةً أَيْضاً، فَأَيْنَ هَذَا مِنَ الْمَنْشَأ وَالتَّكْوِيْنِ الَّذِي عَقَدَ لَهُ هَذَا البَابَ، وَمَعَ سُكُوْتِه هَذَا عَمَّا يَجِبُ ذِكْرُهُ حَكَمَ عَلَى المَوْصِلِ بِأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ فِي الأَصْلِ حِصْناً آشُوْرِيّاً، مَعَ أَنَّ المَوْصِلَ

---

[1] نسبة الى مدينة أُرْمِيَةَ التي بأذربيجان انظر البستاني، دائرة المعارف م3 ص237؛ وقيل إن زرادشت المجوسي كان فيها، انظر ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ق1 م2 ص323. ويورد الدكتور داود الجلبي في كتابه الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ص2و 3 أن الآراميين سكنوا الموصل ولهم لغتهم المشابهة في بعض ألفاظها بالعربية. وقيل إن الآرامية هي السريانية بالرغم من عدم وجود تطابق كلي معها، وهي من اللغات الشمالية من بلاد ما بين النهرين وقد حلت محلها اللغة العربية، ويذكر أنها كانت تستعمل في كردستان التركية والفارسية من دجلة الى بحيرة أورمية، ما قيل إن سكان الشام والعراق أثناء الفتح الإسلامي كان معظمهم من بقايا الآراميين الأصليين وهم السريان في الشمال. انظر شابو، اللغات الآرامية وآدابها من المقدمة الى ص40؛ وزيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي ج5 ص12.

[2] ص4. وقد أفرد الديوه جي عنواناً للحصن الآشوري فوق تل قليعات في كتابه: بحث في تراث الموصل ص83.

لَمْ تَكُنْ مُتَمَصِّرَةً آنَذَاكَ وَإِنَّمَا مَصَّرَتْهَا العَرَبُ، فَهِيَ بَلْدَةٌ عَرَبِيَّةٌ إِسْلامِيَّةٌ مُنْذُ تَخْطِيْطِهَا وَإِنْشَائِهَا.

أَجَلْ، نَحْنُ لا نُنْكِرُ أَنَّ حِصْناً آشُوْرِيّاً كَانَ مَوجُوْداً عَلَى أَحَدِ أَنْشِزَتِهَا يُدْعَى (حِصْناً عُبُوْرِيّاً) وَلَكِنَّهُ لَيسَ هُوَ المَوْصِل، فَالمَوْصِلُ عَرَبِيَّةٌ، وَهُوَ آشُوْرِيٌّ، نَعَمْ يَجُوْزُ إِطْلاقُهَا عَلَيْهِ إِطْلاقاً مَجَازِيّاً مُرْسَلاً مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيءِ بِاعْتِبَارِ مَا سَيَكُونُ.

وَلَوْ قَالَ: (إِنَّ المَوْصِلَ قَبْلَ مَا تَمَصَّرَتْ كَانَتْ قَلْعَتُهَا ــ قليْعات ــ حِصْناً آشُوْرِيّاً) لَكَانَ مُوَفَّقاً فِي تَعْبِيْرِهِ، وَلَوْ قَالَ: (إِنَّ هَذَا الحِصْنَ هُوَ مِنْ أَقْدَمِ أَبْنِيَةِ المَوْصِلِ لأَنَّهُ كَانَ مَوْجُوْداً مُنْذُ العَهْدِ الآشُوْرِيِّ) لَكَانَ مُصِيْباً. وَلَوْ قَالَ: (إِنَّ الأَرَمِيِّينَ أَطْلَقُوْا _ الحِصْنَ العُبُوْرِيّ _ لأَنَّ مَعْنَاهُ الحِصْنُ الوَاقِعُ عَبْرَ دِجْلَةَ) لَكَانَ تَعْبِيْراً وَاضِحاً فِي سَبَبِ تَسْمِيَتِهِ (العُبُوْرِيِّ)، وَلاسْتَغْنَى عَنْ قَوْلِهِ (عَلَى الضَّفَّةِ الأُخْرَى مِنْهُ) لأَنَّ العُبُوْرَ لا بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ ضَفَّةٍ إِلَى أُخْرَىْ.

ثُمَّ حَلَّقَ المُؤَلِّفُ فِي أَجْوَاءِ البَلاغَةِ، وَتَفَنَّنَ فِي أَبْدَعِ أَسَالِيْبِ القَوْلِ مُسْتَدِلاًّ عَلَىْ إِثْبَاتِ آثُوْرِيَّةِ الحِصْنِ المَذْكُوْرِ بِقَوْلِهِ: [فَإِنَّنَا إِذَا دَرَسْنَا مَوْقِعَ نَيْنَوَى القَدِيْمَةِ يَظْهَرُ أَنَّهُ كَانَ قُبَالَتَهَا عَلَى الضَّفَّةِ الأُخْرَىْ مِنَ النَّهْرِ أَيْ فِي مَوْقِعِ المَوْصِلِ الحَالِيِّ حِصْنٌ أَوْ قِلاعٌ مُرْتَبِطَةٌ بِالمَدِينَةِ الآشُوْرِيَّةِ...] [1] وَهِيَ قليْعات.

أَقُولُ: لا حَاجَةَ بِنَا لِمُشَاهَدَةِ قليْعات هَذِهِ إِلَى دِرَاسَةِ مَوْقِعِ نَيْنَوَى الفَسِيْحِ، لأَنَّ نَيْنَوَىْ عَلَى رَأْيِ بَعْضِ العُلَمَاءِ يَبْلُغُ طُوْلُهَا عِشْرِيْنَ مِيْلاً وَعَرْضُهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مِيْلاً، وَأَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَوِيْ خَرَائِبَ تَلِّ قُوِينْجِقَ وخُرْسَابَادَ وَكَرْمليْسَ، بَلْ لَقَدْ قَالَ دِيُوْدُوْرُ الصِّقِلِّيُّ: (إِنَّ مُحِيْطَهَا يَبْلُغُ خَمْسَةً وَخَمْسِيْنَ مِيْلاً)[2] فَهَلْ يُرِيدُ المُؤَلِّفُ الفَاضِلُ أَنْ نَدْرُسَ مَوْقِعَ هَذِهِ البَلْدَةِ

---

[1] ص4.

[2] ديودور المشهور بالصقلي أحد الكتاب والمؤرخين اليونانيين، لم تذكر ولادته ووفاته، والصقلي نسبة الى جزيرة صقلية، له كتاب (المكتبة التاريخية) وهو تاريخ عام يبتديء من الخليقة وينتهي بموت

الوَاسِعَةِ لأَجْلِ أَنْ يَظْهَرَ لَنَا أَنَّ قُبالَتِهَا كَانَ حِصْنٌ يُدْعَى قليْعات؟. الحَقُّ أَنَّنَا لَسْنَا بِحَاجَةٍ لِمُشَاهَدَةِ قليْعات إِلَى دِرَاسَةِ ذَلِكَ كُلِّه، إِذْ كُلُّ مَنْ يَقِفُ عَلَى سَاحِلِ دِجْلَةَ الشَّرْقِيِّ غَرْبَ خَرَائِبِ نَيْنَوَىْ فَإِنَّهُ يُشَاهِدُ (قليْعات) هَذِهِ بِدُوْنِ عَنَاءٍ وَبِغَيْرِ دِرَاسَةٍ لِمَوْقِعِ هَذِهِ البَلْدَةِ الكَبِيْرَةِ.

ثُمَّ قَالَ عَنْ قليْعات هَذِهِ: [لا شَكَّ أَنَّهَا مَوْقِعُ ذَلِكَ الحِصْنِ القَدِيْمِ] [1].

أَقُوْلُ: مِنْ أَيْنَ لَهُ نَفْيُ الشَّكِّ عَنْ كَوْنِهَا مَوْقِعُ ذَلِكَ الحِصْنِ؟ فَنَفْيُ الشَّكِّ عَنْ ذَلِكَ مِمَّا نَشُكُّ فِيْهِ كَثِيْراً. أَلا تَرَىْ أَنَّ صَاحِبَ تَارِيْخِ المَوْصِلِ[2] نَفْسَهُ الَّذِيْ نَقَلَ عَنْهُ المُؤَلِّفُ أَنَّ هَذَا الحِصْنَ كَانَ يُدْعَىْ الحِصْنُ العُبُوْرِيُّ قَالَ عَنْهُ مَا نَصُّهُ:

[وَإِلَى اليَوْمِ يُرَىْ فِي المَوْصِلِ مَوْقِعٌ يُسَمَّى قليْعات وَهِيَ نَشْزٌ مِنَ الأَرْضِ فِي شَرْقِ المَدِيْنَةِ قُبَالَةَ نَيْنَوَىْ تُشْرِفُ عَلَى دِجْلَةَ، فَقَدْ تَكُوْنُ القليْعاتُ مَوْقِعَ ذَلِكَ الحِصْنِ القَدِيْمِ] [3].

وَأَنْتَ تَرَىْ أَنَّ صَاحِبَ تَارِيْخِ المَوْصِلِ لَمْ يَجْزِمْ بِأَنَّ قليْعات هَذِهِ هِيَ مَوْقِعُ الحِصْنِ العُبُوْرِيِّ نَفْسُهُ. وَعَلَيْهِ فَمَنِ ادَّعَىْ أَنَّهَا مَوْقِعُهُ بِصُوْرَةٍ قَطْعِيَّةٍ فَعَلَيْهِ البُرْهَانُ القَاطِعُ.

ثُمَّ عَلَّلَ تَسْمِيَةُ الأَرَمِيِّيْنَ المَوْصِلَ الحِصْنَ العُبُوْرِيَّ بِقَوْلِهِ: [لإِشْرَافِ الحِصْنِ عَلَى دِجْلَةَ][4].

يوليوس قيصر سنة 60 ق م وقد تعرض لتاريخ مصر وبلاد ما بين النهرين والهند وغيرها. انظر البستاني، دائرة المعارف م8 ص265و الموسوعة العربية الميسرة ص841 ومعلوف، المنجد ص206.

ولا أدري أين عثر آل فرج على هذا النص.

[1] ص4.

[2] الصائغ، سليمان 40/1.

[3] ص4: أصل النص هو: (وفي اليوم الحاضر يُرى في الموصل...لا شك في أنها موقع ذلك الحصن القديم).

[4] ص4: في الأصل (لإشراف هذا الحصن).

أَقَوْلُ: فَانْظُرْ لِوَجَاهَةِ هَذَا التَّعْلِيْلِ العَلِيْلِ الّذيْ لا يَصِحُّ، إِذْ يَجُوزُ لَنا عَلَيْه أَنْ نُسَمِّيَ كُلَّ حِصْنٍ مُشْرِفٍ عَلَى دِجْلَةَ حِصْناً عُبُوْرِيّاً كَأَنَّ العُبُوْرَ مَعْنَاهُ الإِشْرَافُ أَوْ بِالعَكْسِ، وَالحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَمُّوْهَا بِذَلِكَ لإِشْرَافِ الحِصْنِ عَلَىْ دِجْلَةَ كَمَا قَالَ، بَلْ لأَنَّهُ وَاقِعٌ عَبْرَهُ أَيْ عَلَىْ شَاطِئِه الّذيْ يُقَابِلُ مَدِيْنَةَ نَيْنَوَى. وَهَذَا البَابُ أَعْنِيْ بَابَ (مَنْشَأُ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ) الّذيْ كَتَبَهُ المُؤَلِّفُ يُمْكِنُ تَلْخِيْصُهُ كُلُّهُ بِهَذِهِ العِبَارَةِ الوَجِيْزَةِ، وَهِيَ: كَانَ نَشْزُ قلَيْعات مَوْقِعَ حِصْنٍ آشُوْرِيٍّ اتُّخِذَ لِصَدِّ غَارَاتِ العَدُوِّ عَنْ نَيْنَوَىْ مِنْ جِهَتِهِ، وَلِكَوْنِهِ وَاقِعاً قُبالَتَهَا عَبْرَ دِجْلَةَ سَمَّاهُ الأَرَمِيُّوْنَ الحِصْنَ العُبُوْرِيَّ.

هَذَا مَا أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَهُ المُؤَلِّفُ، وَلَكِنَّ القَوْلَ لَمْ يُوَاتِه[1] فَجَاءَ بِعِبَارَاتٍ مُعَقَّدَةٍ لا تَمُتُّ إِلَى الفَصَاحَةِ فَضْلاً عَنِ البَلاغَةِ بِشَيءٍ. ثُمَّ انْظُرْ هَلْ عُنْوَانُ هَذَا البَابِ (مَنْشَأُ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ) مُطَابِقٌ وَمُنَاسِبٌ لِمَا قَدْ دَوَّنَ فِيْهِ، وَهُوَ أَنَّ الأَرَمِيِّيْنَ كَانُوْا يُسَمُّوْنَ المَوْصِلَ حِصْناً عُبُوْرِيّاً، وَأَيْنَ إِذَنْ مَا أَرَادَ البَحْثَ عَنْهُ مِنْ مَنْشَأَ المَوْصِلِ وَتَكْوِيْنِهَا وَعُمْرَانِهَا فِيْ هَذَا البَابِ الّذيْ وَضَعَ لَهُ العُنْوَانَ المَذْكُوْرَ، وَحَيْثُ أَنَّهُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَىْ ذِكْرِ شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ فِيْه، فَالبَابُ إِذَنْ مَوْضُوْعٌ فِي غَيْرِ مَحَلِّه، وَهُوَ قَدْ وُضِعَ لأَشْيَاءَ لا يُنَاسِبُ أَنْ يُوْضَعَ لَهَا. ثُمَّ انْتَقَلَ انْتِقَالاً مَعْكُوْساً مِنْ بَابِ الإِنْشَاءِ إِلَى بَابِ التَّأْسِيْسِ، فَقَالَ:

[تَأْسِيْسُ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ: وَرَدَ فِيْ أَصْلِ تَأْسِيْسِ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ حِكَايَاتٌ وَأَسَاطِيْرٌ يَخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، فَقِسْمٌ مِنَ المُؤَرِّخِيْنَ يَدَّعُوْنَ بِأَنَّ الفُرْسَ أَسَّسُوْهَا][2].

---

[1] من أتا أتو: الاستقامة في السير والسرعة والطريقة وغيرها، ويراد منها ان العبارة لا استقامة فيها. البستاني، قطر المحيط ج1 ص10.

[2] ص4. للمزيد أنظر ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ق1 م2 ص14 و 218. وأقول: إن الروايات التي ذكرت تأسيس مدينة الموصل ما رواه الحموي في معجمه ج5 ص223 بقوله: (وقال أهل السير إن أول من استحدث الموصل راوند بن بيوراسف الازدهاق، ثم كان أول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديواناً برأسه ونصب عليها جسراً ونصب طرقاتها وبنى عليها سوراً، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر ملوك بني أمية).

أَقُوْلُ: فِيْ هَذِه الجُمْلَة كَانَ عَلَيْه أَنْ يَقُوْلَ: وَرَدَ فِي تَأْسِيْسِ مَدِيْنَـــةِ المَوْصِـــلِ حكَايَـــاتٌ وَأَسَاطِيْرٌ تَخْتَلفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ذَكَرَهَا بَعْضُ المُؤَرِّخِيْنَ فَقِسْمٌ مِنْهُمْ يَدَّعُوْنَ... الخ[1]. ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ: [...يَدَّعُوْنَ بِأَنَّ الفُرْسَ أَسَّسُوْهَا]. فِيْهِ أَنَّ البَاءَ زَائِدَةٌ يَجِبُ حَـــذْفُهَا لأَنَّ الفِعْـــلَ (يَدَّعُوْنَ) يَتَعَدَّى بِنَفْسِه فَلا حَاجَةَ لَهُ بِهَا.

ثُمَّ قَالَ: [وَالحَقِيْقَةُ أَنَّ المَوْصِلَ مَدِيْنَةٌ عَرَبِيَّةٌ بَحْتَةٌ شَيَّدَهَا العَرَبُ وَكَانَتْ فِيْ أَوَّلِ أَمْرِهَـــا حِصْناً آشُوْرِيّاً][2].

أَقُوْلُ: أَمَّا كَوْنُ المَوْصِلِ بَلْدَةً عَرَبِيَّةً فَهَذَا مِمَّا لا شَكَّ فِيْهِ إِذِ العَرَبُ هُمُ الّذِيْنَ خَطَّطُوْهَا وَأَسَّسُوْهَا وَأَنْشَؤُهَا حَتَّى أَصْبَحَتْ مَدِيْنَةً كَبِيْرَةً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْعَتِهَا - كَمَا قِيْـــلَ - إِلاّ الحِصْنَ العُبُوْرِيَّ وَبَعْضَ بُيُوْتَات تَلْتَفُّ حَوْلَهُ، وَهَذَا مِمَّـــا لا يُمْكِـــنُ إِنْكَـــارُهُ وَلا دَحْـــضُهُ لِكَثْرَةِ الحُجَجِ الدَّامِغَةِ النَّاطِقَةِ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ أَتَدْرِي بِمَاذَا يَسْتَدِلُّ المُؤَلِّفُ الأَلْمَعِـــيُّ عَلَى عُرُوْبَتِهَا؟ إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ فَدُوْنَكَ دَلِيلَهُ التَّارِيْخِيّ الّذِي سَاقَهُ لِذَلِكَ، فَقَالَ:

[ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ البُلْدَانِ قَالَ: بِهَا (بِالمَوْصِلِ) نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الحُرِّ احْتَفَرَهُ الحُرُّ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ الحَكَمِ بْنِ أَبِيْ العَاصِ وَفِي الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا عَلَى جَبَلٍ بِأَزَاءِ البِنَاءِ الّذِي بَنَـــاهُ المُعْتَضِدُ بِاللهِ مَسْجِدٌ يُقَالُ لَهُ (مَسْجِدُ التَّوْبَةِ) يَخْرُجُ النَّاسُ لِلصَّلَوَاتِ فِيْهِ وَالتَّبَرُّك بِهِ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ][3].

---

[1] ذكر المؤرخون الأوائل آراءاً في هذه المسألة كون مؤسسي الموصل من أقوام عديدة ومنهم المؤرخ إبن العبري في تاريخه ص71 أن قورينوس بن قاروس قيصر: (قتل أيضاً في حرب الجرامقة وهـــم قـــوم بالموصل أصلهم من الفرس).

ومن المحدثين فقد نقل المؤرخ القس سليمان في تاريخه هذه الآراء فراجعها. ومن هذه الادعاءات التي أصبحت تسمى (مشكلة الموصل) عندما أرادت تركيا ضم الموصل اليها ما نقلته جريدة المقطم بالعدد 10843 في 1924/10/17 عن جريدة الحبل المتين الفارسية أن إيران تطالب بالموصل يـــضاً وتحـــث الأحزاب الإيرانية على العمل للحصول عليها بالطرق السياسية.

[2] ص4.

[3] ص5.

أَقُوْلُ: إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يُثْبِتَ عُرُوْبَةَ المَوْصِلِ بِأَنَّ المُعْتَضِدَ باللهِ العَبَّاسِيِّ بَنَى بِنَاءً هُوَ أَزَاءَ مَسْجِد عَلَى تَلِّ التَّوْبَة، وَبِأَنَّ الحُرَّ الأُمَوِيَّ احْتَفَرَ فِيهَا نَهْراً، فَلله دَرُّهُ مَا أَحْسَنَ اسْتِدْلالَهُ، وَمَا أَسْطَعَ بُرْهَانَهُ، ثُمَّ مَا أَقْدَرَهُ عَلَى التَّفَنُّنِ بِأَسَالِيْبِ الكَلامِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ مَا سَاقَ هَذَا النَّصَّ التَّارِيْخِيَّ إِلاّ لِيَسْتَدِلَّ بِه عَلَى عُرُوْبَةِ المَوْصِلِ، وَعَلَى أَنَّ العَرَبَ قَدْ أَسَّسُوْهَا، وَالتَّأْسِيْسُ إِنَّمَا يَكُوْنُ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ وَقَبْلَ إِنْشَائِه، أَمَّا بِنَاءُ مَسْجِد عَلَى تَلِّ التَّوْبَةِ فِي أَوَاخِرِ العَهْدِ العَبَّاسِيِّ فَلَيْسَ لَهُ صِلَةٌ بِالتَّأْسِيْسِ البَتَّةَ. ثُمَّ هَلْ (تَلُّ التَّوْبَةِ) مِنْ بَلْدَةِ المَوْصِلِ؟ أَمْ هُوَ تَلٌّ مِنْ تُلُوْلِ مَدِيْنَةِ نِيْنَوَى الآشُوْرِيّةِ الوَاقِعَةِ تُجَاه مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ؟.

وَعَلَيْه يَجِبُ حَذْفُ هَذَا النَّصِّ مِنْ بَابِ التَّأْسِيْسِ هَذَا إِذْ لَيْسَ لَهُ عَلاقَةٌ بِه وَلا بِعُرُوْبَةِ المَدِينَة. ثُمَّ إِنَّ المُؤَلِّفَ قَدَّمَ لِهَذَا النَّصِّ بِخَمْسِ كَلِمَات جَاءَتْ آيَةً فِي البَلاغَةِ وَحُسْنِ التَّرْكِيْبِ وَهِيَ قَوْلُهُ: (ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ البُلْدَانِ قَالَ) فَهَلاّ حَذَفَ كَلِمَةَ (قَالَ) مِنْ جُمْلَته هَذِه؟ أَوِ اسْتَبْدَلَ كَلِمَةَ (قَالَ) بِـ (قَائِلاً)؟ أَوْ أَدْخَلَ عَلَيهَا الفَاءَ لِيُحَسِّنَ تَعْبِيْرَهُ وَتَصِحَّ جُمْلَتُهُ.

ثُمَّ سَاقَ نَصّاً تَارِيْخِيّاً ثَانِياً وَنَصُّهُ:

[وَقِيْلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنِ اخْتَطَّ المَوْصِلَ وَأَسْكَنَهَا العَرَبَ وَمَصَّرَهَا هَرْثَمَةُ بْنُ عَرْفَجَةَ البَارِقِيُّ][1].

أَقُوْلُ: إِنَّ هَذَا النَّصَّ وَإِنْ كَانَ فِيْه تَخْطِيْطٌ وَتَمْصِيْرٌ وَبِنَاءٌ مِمَّا يُنَاسِبُ ذِكْرُهُ فِيْ هَذَا البَابِ، إِلاّ أَنَّ صَاحِبَهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِ وَلا مُعْتَمِد عَلَيْه، أَلا تَرَاهُ كَيْفَ قَدْ أَوْرَدَهُ مُصَدَّراً بِلَفْظِ (قِيْلَ) الدَّالَّةِ عَلَى وَهْنِه وَضَعْفِه عِنْدَهُ، وَلِهَذَا لَمْ يُوْرِدْهُ مَنْسُوْباً إِلَى نَفْسِه. فَكَانَ عَلَى المُصَنِّفِ أَيْضاً أَنْ لا يَعْتَمِدَ عَلَيْه، وَلا يُصَدِّرَ بِه إِسْتِدْلالَهُ، وَكَانَ عَلَيْه أَنْ يَذْكُرَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الرِّوَايَاتِ المَقْطُوْعَ بِصِحَّتِهَا لِكَيّ يُؤَيِّدَ بِهَا مُدَّعَاهُ، ثُمَّ يَذْكُرُ بَعْدَهَا هَذِه الرِّوَايَةَ إِنْ شَاءَ اسْتِئْنَاساً بِهَا وَتَأْكِيْداً إِنْ رَأَى أَنَّهُ لا مَنْدُوْحَةَ[2] لَهُ مِنْ ذِكْرِهَا.

---

[1] ص10.البلاذري، فتوح البلدان ق2 ص407.

[2] المندوحة: السعة والفسحة، البستاني، قطر المحيط ج2 ص2148.

ثُمَّ قَالَ عَنِ المَوْصِلِ: [وَبَعْدَ الفَتْحِ عُمِّرَتْ][1].

أَقُوْلُ: هَذِهِ الجُمْلَةُ هِيَ الجُمْلَةُ الوَحِيْدَةُ الّتِيْ رَأَيْتُهَا صَحِيْحَةً تَارِيْخِيّاً وَإِنْشَائِيّاً فِي بَابِ التَّأْسِيْسِ وَالمَنْشَأ مِنْ بَينِ الجُمَلِ وَالتَّرَاكِيْبِ الّتِي أَنْشَأَهَا المُؤَلِّفُ بِقَلَمِهِ فِيْهِمَا، وَلَكِنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهَا الجُمْلَةَ التَّالِيَةَ فَقَالَ: [وَأَوَّلُ قَبِيْلَةٍ أَتَتْهَا الخَزْرَجُ][2].

أَقُوْلُ: قَدْ سَمَّى الخَزْرَجَ هَاهُنَا (قَبِيْلَةً)، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيْحُ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ سَطْرٍ وَاحِدٍ نَسِيَ أَنَّهُ سَمَّاهَا قَبِيْلَةً فَسَمَّاهَا (قَبَائِل) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: [وَلَمَّا أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ عَلَى فَتْحِ العِرَاقِ أَرْسَلَ قِسْماً مِنَ قَبَائِلِ الخَزْرَجِ][3]. وَالخَزْرَجُ كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَىْ كُلِّ أَحَدٍ قَبِيْلَةٌ لا قَبَائِلَ.

لِنَضْرِبْ عَنْ تَعْبِيْرِهِ البَلِيْغِ هَذَا صَفْحاً وَلْنَقُلْ لَهُ: مَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ أَوَّلَ قَبِيْلَةٍ أَتَتِ المَوْصِلَ هِيَ قَبِيْلَةُ الخَزْرَجِ كَمَا ذَكَرْتَ؟ لا شَكَّ أَنَّ أَوَّلَ القَبَائِلِ التِي عُرِفَتْ تَارِيْخِيّاً أَنَّهَا أَتَتْ مَعَ القَائِدِ الفَاتِحِ (رَبْعِيِّ بْنِ الأَفْكَلِ) لِفَتْحِ المَوْصِلِ هِيَ قَبِيْلَةُ تَغْلِب وَالنمرِ وَإِيَادٍ. وَإِنْ أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ مَنْقُوْلاً عَنْ أَوْثَقِ الكُتُبِ التَّارِيْخِيّةِ، فَدُونَكَ إِيَّاهُ: قَالَ الطَّبَرِيُّ: (ج3ص143): أَنَّ عُمَرَ عَهِدَ إِلَى سَعْدٍ أَنْ يَأْمُرَ عَبْدَاللهِ بْنَ المُعْتَمِّ بِتَسْرِيْحِ ابْنِ الأَفْكَلِ العَنْزِيِّ إِلَى الحِصْنَينِ (المَوْصِلِ وَنَيْنَوَى) فَسَرَّحَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُعْتَمِّ ابْنَ الأَفْكَلِ العَنْزِيِّ إِلَى الحِصْنَينِ، وَقَالَ: أَسْبِقِ الخَبَرَ وَسِرْ مَا دُوْنَ القِيْلِ، وَاحْيِ اللّيلَ، وَسَرَّحَ مَعَهُ تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنّمرِ.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيْرِ فِي كَامِلِهِ (ج2ص258): وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُعْتَمِّ رَبْعِيَّ بْنَ الأَفْكَلِ إِلَى الحِصْنَينِ وَهُمَا نَيْنَوَى وَالمَوْصِلِ، فَسَمَّى نَيْنَوَى الحِصْنَ الشَّرْقِيَّ، وَسَمَّى المَوْصِلَ الحِصْنَ الغَرْبِيَّ...[4] وَسَرَّحَ مَعَهُ تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنّمرِ.

---

[1] ص5، والأصل: [وبعد الفتح الإسلامي عمرت].

[2] ص5.

[3] ص5.

[4] وضعنا هنا نقاطاً ثلاث للدلالة على وجود كلمات لا تمت صلة بالموضوع ولم يستعن بها المؤلف.

وَذَكَرَ ابْنُ خَلْدُون (ج2ص107): أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُعْتَمِّ بَعَثَ رَبْعِيَّ بْنَ الأَفْكَلِ بِعَهْدِ عُمَرَ إِلَى المَوْصِلِ وَنَيْنَوَى، وَهُمَا حِصْنَانِ عَلَى دِجْلَةَ مِنْ شَرْقِيِّهَا وَغَرْبِيِّهَا فَسَارَ فِي تَغْلِبٍ وَإِيَادٍ وَالنّمرِ.

فَهَذِهِ النُّصُوْصُ التَّارِيْخِيَّةُ صَرِيْحَةٌ بِأَنَّ هَذِه القَبَائِلَ وَهِيَ تَغْلِبٌ وَإِيَادٌ وَالنمرُ أَوَّلُ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ الّتِي أَتَتِ المَوْصِلَ مَعَ القَائِد الفَاتِحِ رَبْعِيٍّ بْنِ الأَفْكَلِ.

أَمَّا القَبِيْلَةُ الخَزْرَجِيَّةُ فَلَمْ يَرِدْ لَهَا ذِكْرٌ فِي وُرُوْدِهَا مَعَهَا، وَلَعَلَّهَا أَتَتِ المَوْصِلَ بَعْدَ الفَتْحِ لا مَعَ الفَاتِحِيْنَ فَسَكَنَتْهَا، ثُمَّ هَبْ أَنَّهَا جَاءَتْ مَعَ جَيْشِ الفَتْحِ فَهِيَ لَيسَتْ أَوَّلَ قَبِيْلَةٍ أَتَتْهَا، بَلْ هِيَ مِنْ أَوَّلِ القَبَائِلِ الّتِي وَرَدَتْهَا، فَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ: أَنَّهَا أَوَّلُ قَبِيْلَةٍ أَتَتِ المَوْصِلَ دَعْوَى لَيْسَ لَهُ عَلَيْهَا دَلِيْلٌ يَحْتَجُّ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ عَنْ مِسْجِدِ خَزْرَجَ: [هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ فِي الإِسْلامِ بُنِيَ فِي المَوْصِلِ][1].



أَقُولُ: وَهَذَا أَيْضاً لا دَلِيْلَ لَهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَسْجِد عَرَفَهُ التَّارِيخُ بُنِيَ فِي المَوْصِلِ هُوَ مَسْجِدُ هَرْثَمَةَ، وَهُوَ بِدُوْن رَيْبٍ بُنِيَ فِيْهَا أَيَّامَ فَتْحِهَا وَتَخْطِيْطِهَا وَتَمْصِيْرِهَا كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي النَّصِّ الّذِي سَاقَهُ الْمُؤَلِّفُ نَفْسُهُ قَبْلَ بِضْعَةِ أَسْطُرٍ عَنْ كِتَابِ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ، وَهُوَ: [وَجَاءَ فِي

---

[1] ص5.

كِتَابِ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ مَا نَصُّهُ: وَأَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ المَوْصِلَ وَأَسْكَنَهَا العَرَبَ وَمَصَّرَهَا هَرْثَمَةُ بْنُ عَرْفَجَةَ البَارِقِيُّ وَكَانَ عُمَرُ عَزَلَ عُتْبَةَ عَنِ المَوْصِلِ وَوَلاَّهَا هَرْثَمَةَ، وَكَانَ بِهَا الحِصْنُ وَبِيَعُ النَّصَارَى وَمَنَازِلُهُمْ وَمَحَلَّةُ اليَهُوْدِ، فَحَاصَرَهَا هَرْثَمَةُ ثُمَّ بَنَى المَسْجِدَ الجَامِعَ ثُمَّ بَنَى بَعْدَهَا الحَدِيْثَةَ][1].

وَجَاءَ فِي كِتَابِ فُتُوحِ البُلْدَانِ لِلبَلاذرِيِّ (ص327) مَا يُؤَيِّدُهُ وَهُوَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَزَلَ عُتْبَةَ عَنِ المَوْصِلِ وَوَلاَّهَا هَرْثَمَةَ بْنَ عَرْفَجَةَ البَارِقِيَّ وَكَانَ بِهَا الحِصْنُ وَبِيَعُ النَّصَارَى وَمَنَازِلُهُمْ قَلِيلَةٌ عِنْدَ تِلْكَ البِيَعِ وَمَحَلَّةُ اليَهُودِ، فَمَصَّرَهَا هَرْثَمَةُ فَأَنْزَلَ العَرَبَ مَنَازِلَهُمْ وَاخْتَطَّ لَهُمْ ثُمَّ بَنَى المَسْجِدَ الجَامِعَ)[2]. فَهَذَا النَّصُّ وَالنَّصُّ الَّذِي قَبْلَهُ يُؤَيِّدَانِ أَنَّ أَوَّلَ مَسْجِدٍ جَامِعٍ بُنِيَ فِي المَوْصِلِ هُوَ مَسْجِدُ هَرْثَمَةَ لا مَسْجِدُ الخَزْرَجِ كَمَا ادَّعَى ذَلِكَ المُؤَلِّفُ[3].

أَمَّا الخَزْرَجِيُّوْنَ فَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ تَارِيْخِيٌّ نَاطِقٌ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَوَّلِ القَبَائِلِ الَّتِي أَتَتِ المَوْصِلَ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِمْ أَوَّلَ مَنْ أَتَاهَا كَمَا ادَّعَى المُؤَلِّفُ ذَلِكَ أَيْضاً وَلَمْ يَرِدْ بُرْهَانٌ تَارِيْخِيٌّ كَذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى مَسْجِداً فِيْهَا. وَلَعَلَّ المُؤَلِّفَ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ تَارِيْخِ المَوْصِلِ لِلْقَسِّ سُلَيْمَانَ صَائِغ (ج1ص51)[4] الَّذِي ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرَ مَعْزُوٍّ إِلَى مَصْدَرٍ تَارِيْخِيٍّ.

أَمَّا هَذَا المَسْجِدُ الخَزْرَجِيُّ[5] فَيُحْتَمَلُ فِي بِنَائِهِ أَمْرَانِ:

---

[1] ص5.

[2] البلاذري ق2 ص408في الطبعة التي بين أيدينا وهي من تحقيق المنجد سنة 1956.

[3] يذكر المرحوم أ. د عادل نجم عبو في بحثه الموسوم (المنشآت المعمارية)، موسوعة الموصل الحضارية م3 ص273: (أن عتبة بن فرقد الباهلي فتح الموصل، وشيد المسجد الجامع هرثمة بن عرفجة، ولا يعرف بالضبط إن كانت أعمال عرفجة فيما يتعلق بالمسجد الجامع توسيعاً لأعمال عتبة أم أنها اختطاط جديد). ولأن المعروف والمشهور أن الذي مصّر الموصل هو هرثمة.

[4] ذكر الصائغ ما نصه: (ومنها الخزرجيون فعمروا لهم مسجداً وهو أول مسجد في الإسلام بني في الموصل ويعرف الى اليوم بجامع خزرج).

[5] أقدم ما ذكر عن هذا المسجد ما مدون فوق باب مصلاه سنة 1120هـ، سيوفي، نيقولا، الكتابات المحررة ص35. وهو قائم في الحال بتجديد آل النومة.

أَوَّلُهُمَا: أَنَّ الخَزْرَجِيِّينَ أَنْفُسَهَمْ عَمَّرُوهُ بَعْدَ أَنْ سَكَنُوْا المَوْصِلَ مُدَّةً طَوِيْلَةً وَاسْتَوْطَنُوْهَا.

وَثَانِيْهُمَا: أَنَّهُ مَسْجِدٌ حَدِيْثٌ عَمَّرَهُ أَحَدُ المُسْلمِيْنَ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، وَلِكَوْنِه وَاقِعاً في مَحَلَّتِهِمْ نُسِبَ إِلَيْهِمْ. فَهَلْ لِلْمُؤَلِّفِ المُحَقِّقِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْنَا هَذَا أَنْ يُثْبِتَ لَنَا مُدَّعَاهُ وَهُوَ أَنَّ مَسْجِدَ "خَزْرَج" هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ في الإِسْلامِ في المَوْصِلِ؟.

ثُمَّ عَقَّبَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِه: [ثُمَّ قَدِمَ المَوصِلَ مِنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّة أَيْضاً الأَزْدُ وَتَمِيْمٌ][1].

أَقُوْلُ: يُفْهَمُ مِنْ تَعْبِيْرِهِ بِالحَرْفِ (ثُمَّ) الّذي يُفِيْدُ التَّرَاخِي، وَمِنْ قَوْلِه (أَيْضاً) أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَكَنَ المَوْصِلَ الخَزْرَجُ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ، وَبَعْدَهُمْ بِمُدَّة سَكَنَتْهَا الأَزْدُ كَأَنَّ الخَزْرَجَ لَمْ يَكُوْنُوا مِنَ الأَزْدِ وَقَدْ فَاتَهُ أَنَّ الخَزْرَجَ هُمْ فَخْذٌ مِنَ القَبِيْلَةِ الأَزْدِيَّة وَهَاكَ الدَّلِيْلَ عَلَى ذَلِكَ:

ذَكَرَ الخَطِيْبُ البَغْدَادِيُّ في تَارِيْخِ بَغْدَادَ (ج1ص175) قَائلاً: الخَزْرَجُ هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكَ بْنِ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ امْرِيءِ القَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنِ بْنِ الأَزْدِ)[2]. وَمِنْ هَذَا تَرَى أَنَّ الخَزْرَجَ قَبِيلَةٌ أَزْدِيَّةٌ لا أَنَّهَا سَكَنَتْ المَوْصِلَ قَبْلَ الأَزْدِ كَمَا يَقُوْلُ المُؤَلِّفُ.

ثُمَّ قَالَ: [وَسَكَنَت المَوْصِلَ أَيْضاً تَغْلبٌ وَخُزَاعَةٌ وَأُسَامَةٌ وَغَيْرُهُمْ][3].

أَقُوْلُ: لَكِنْ فَاتَهُ أَنَّ أُسَامَةَ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ وَبَنِي خُزَاعَةَ كُلُّهُمْ مِنَ الأَزْدِ بِإِجْمَاعِ النَّسَّابِيْنَ. وَإِنْ أَرَدْتَ تَفْصِيْلَ ذَلِكَ فَرَاجِعْ تَارِيْخَ المَوْصِلِ (ج1ص52) فَإِنَّ فِيْهِ بَعضَ تَفْصِيْلٍ لِذَلِكَ[4]. أَمَّا تَغْلِبٌ، فَأَنْتَ جِدُّ عَالِمٍ مِمَّا أَسْلَفْنَا ذَلِكَ آنِفاً أَنَّهَا هِيَ وَقَبِيْلَةُ إِيَادِ وَالنّمرِ مِنَ القَبَائِلِ الّتِي اشْتَرَكَتْ فِعْلاً في الفَتْحِ، وَأَمَّا الخَزْرَجُ فَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ تَارِيخِيٌّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ قَبَائِلِ الفَتْحِ،

---

[1] ص5.

[2] في معرض ذكر الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن الخطيم الأزدي.

[3] ص5. وقد ذكر الصوفي (ثعلب) ولعلها خطأ مطبعي.

[4] ج1 ص52ـــ55 وتفصيله: ان بني تغلب سكنت الموصل في المحلة المعروفة باسمهم وسميت بعدئذ بمحلة البارودجية. وبنو قيس وربيعة وغيرها من القبائل الصغيرة بنو سامة وبنو ثعلبة وبنو خزاعة وهم من أزد، وبنو برم وقبيلة الشهوان وهي فرع من تغلب وغيرها.

وَيَجُوزُ أَنَّهُمْ وَرَدُوا المَوصِلَ بَعْدَهُ، فَكَيْفَ سَاغَ لِلْمُؤَلِّفِ أَنْ يَعْكِسَ الأَمْرَ أَيْ يَجْعَلَ مَنْ جَاءَ المَوْصِلَ مَعَ الفَتْحِ وَهُمْ بَنُو تَغْلِبٍ وَإِيَادٍ وَالنّمرِ قَدْ جَاءَهَا بَعْدَهُ، وَيَعُدُّ مَنْ جَاءَ المَوْصِلَ بَعْدَ الفَتْحِ وَهُمُ الخَزْرَجُ قَدْ جَاءَهَا مَعَ الفَتْحِ؟.

ثُمَّ إِنَّ النَّصَّ الّذي نَقَلَهُ المُؤَلِّفُ بِنَفْسِهِ عَنْ كِتَابِ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ وَالنَّصَّ الّذي نَقَلْنَاهُ نَحْنُ عَنْ فُتُوحُ البُلْدَانِ اللَّذَينِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا كلاهُمَا نَاطِقَان بِأَنَّ هَرْثَمَةَ قَدْ خَطَّطَ المَوصِلَ وَمَصَّرَهَا بَعْدَ الفَتْحِ، ثُمَّ أَسْكَنَهَا العَرَبَ، وَلا مَانِعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ القَبِيلَةُ الخَزْرَجِيَّةُ مِنْ أُولئِكَ العَرَبِ الّذين أَسْكَنَهُمْ إِيَّاهَا هَرْثَمَةُ بَعْدَ الفَتْحِ.

ثُمَّ قَالَ قَولَ المُحَقِّقِ المُدَقِّقِ المُطَّلِعِ عَلَى دَقَائِقِ التَّارِيْخِ الإِسْلامِيِّ المُتَبَحِّرِ في كُلِّيَّاتِهِ وَجُزْئِيَّاتِهِ مَا نَصُّهُ: [وَلَمَّا أَقْبَلَ خَالدُ بْنُ الوَلِيدِ عَلَى فَتْحِ العِرَاقِ أَرْسَلَ قِسْماً مِنَ قَبَائِلِ الخَزْرَجِ لِفَتْحِ المَوْصِلِ فَسَكَنُوْا فِيْهَا][1].

أَقُولُ: قَالَ هَذَا وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا عَمَّنْ نَقَلَ هَذَا القَولَ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرَ المُطَّلِبِيِّ المُتَوَفَّى سَنَةَ 80هـ[2]:

وَنُصَّ الحَدِيْثَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ الأَمَانَةَ في نَصِّهِ

غَيرَ أَنَّنَا وَجَدْنَا مَنْ ذَكَرَ هَذَا القَولَ وَذَلِكَ في مَوضِعَينِ اثْنَينِ:

الأَوَّلُ: وَجَدْنَاهُ في تَارِيخِ المَوْصِلِ (ج1ص59) لِلْقَسِّ سُلَيمَانَ صَائِغ[3].

---

[1] ص5.

[2] عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، صحابي، ولد بأرض الحبشة، للشعراء فيه مدائح، مات بالمدينة سنة 80هـ، الزركلي، الأعلام، ج4 ص76.

[3] حيث نقل عن الواقدي الاسلمي قوله: [فكرّ عليهم خالد بجيش الزحف فجعلهم حطاماً ولم يكن عليها يومئذ سور يمنع فأخذها بحد السيف وأسكن فيها القبيلة الخزرجية سنة 640 (20هـ)] كما أخذت به سالنامة الموصل لسنة 1308هـ ص158. ولم يدرج القس سليمان هذا المصدر في فهرس مراجعه.

وَالثَّانِي: فِي سَالْنَامَةِ المَوْصِلِ لِصَفْوَة بك[1] وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الأَوَّلَ أَعْنِي القَسَّ سُلَيْمَانَ قَدْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ سَالْنَامَةِ المَوْصِلِ المَذْكُوْرَة، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْزُهُ إِلَيْهَا أَيْضاً.

ثُمَّ جَاءَ المُؤَلِّفُ المُحَقِّقُ وَنَقَلَ ذَلِكَ بِدُوْنِ إِمْعَانٍ وَلا رَوِيَّةٍ عَنْ تَارِيْخِ المَوْصِلِ ثُمَّ لَمْ يَعْزُهُ إِلَيْهِ كَمَا قُلْنَا، كَأَنَّهُ بِذَلِكَ يُرِيْدُ أَنْ يَجْعَلَهُ وَلِيْدَ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ أَوْ مِمَّا اسْتَنْتَجَهُ فِكْرُهُ الوَقَّادُ مِمَّا تَوَغَّلَ فِيْهِ مِنْ دَقَائِقِ التَّارِيْخِ كَأَنَّهُ ــ وَهُوَ الّذِي دَرَسَ وَدَرَّسَ التَّارِيْخَ مُنْذُ ثَلاثِيْنَ عَاماً ــ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هَذَا القَوْلَ الّذِي عَزَاهُ إِلَى نَفْسِهِ بِعَدَمِ نِسْبَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مُخَالِفٌ لِمَا وَرَدَ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ التَّارِيْخِيَّةِ، وَمُبَايِنٌ لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ ثِقَاةُ المُؤَرِّخِيْنَ فَآضَ[2] مُشْتَهِراً إِشْتِهَارَ الشَّمْسِ وَوَاضِحاً كَوَضَحِ الصُّبْحِ، حَتَّى أَصْبَحَ يُعَدُّ مِنَ البَدِيْهِيَّاتِ الّتِي لا تَخْفَى عَلَى كُلِّ مُتَتَبِّعٍ أَوْ دَارِسٍ أَوَّلِيَّاتِ التَارِيْخِ، ذَلِكَ هُوَ أَنَّ المَوْصِلَ قَدْ فُتِحَتْ ــ عَلَى أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ ــ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَقِيلَ سَنَةَ عِشْرِيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي خِلافَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ t ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ t قَدْ أَرْسَلَهُ الخَلِيفَةُ الأَوَّلُ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ t لِفَتْحِ العِرَاقِ فِي المُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَسِيْرَ بِنِصْفِ النَّاسِ إِلَى الشَّامِ مَدَداً لِلْمُجَاهِدِيْنَ هُنَاكَ، وَذَلِكَ فِي رَبِيْعِ الأَوَّلِ، وَيُقَالُ فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ مِنْ سَنَةِ ثَلاثَ عَشْرَةَ فَرَحَلَ عَنِ العِرَاقِ إِلَى الشَّامِ فَوْراً وَلَمْ يَزَلْ فِيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوْ بَكْرٍ، وَلَمَّا وُلِّيَ الخِلافَةَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ t عَزَلَهُ عَنِ القِيَادَةِ بِأَبِي عُبَيْدَةَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَهُوَ فِي الشَّامِ وَلَمْ يَزَلْ فِي الشَّامِ _عَلَى الصَّحِيْحِ_ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى وَدُفِنَ فِي حِمْصَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِيْنَ. فَهُوَ فِي أَيَّامِ فَتْحِ المَوْصِلِ سَوَاءٌ كَانَ فَتْحُهَا سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ أَوْ سَنَةَ عِشْرِيْنَ كَانَ فِي الشَّامِ مَعْزُوْلاً عَنِ القِيَادَةِ، لَيْسَ لَهُ عَلاقَةٌ بِالعِرَاقِ وَلا بِفَتْحِهِ، وَقَدْ كَانَ القَائِدُ فِي العِرَاقِ حِينَئِذٍ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَكَيْفَ سَاغَ

---

[1] موصل ولايتي لسنة 1325هـ ص90وكذلك في سالنامة سنة 1308هـ كما ذكر القس، وسنة 1312هـ في ص358.

[2] ذكرت هذه المفردة في حديث الكسوف: (حتى آضت الشمس كأنها تنومة) أي رجعت وصارت. النهاية في غريب الحديث ج1 ص53.

لِلْمُؤَلِّفِ أَنْ يَقُوْلَ: وَلَمَّا أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ عَلَى فَتْحِ العِرَاقِ أَرْسَلَ قِسْماً مِنَ قَبَائِلِ الخَزْرَجِ لِفَتْحِ المَوْصِلِ فَسَكَنُوا فِيْهَا؟.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ قَائِدَ جَيْشِ العِرَاقِ لا خَالداً هُوَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الأَثِيْرِ فِي كَامله (ج2 ص257) أَنَّ فِي هَذه السَّنَة (سَنَة 16) كَانَ الأَنْطَاقُ (أَحَدُ قُوَّادِ الـرُّومِ) قَدْ سَارَ مِنَ المَوْصِلِ إِلَى تكْرِيتَ، وَخَنْدَقَ عَلَيْهَا لِيَحْمِيَ أَرْضَهُ فَبَلَغَ ذَلكَ سَعْداً فَكَتَبَ إِلَـى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيه عُمَرُ أَنْ سَرِّحْ إِلَيه عَبْدَ الله بْنَ الْمُعْتَمِّ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مُقَدِّمَتِـه رِبْعِـيَّ بْـنَ الأَفْكَلِ وَعَلَى الخَيلِ عَرْفَجَةَ بْنَ هَرْثَمَةَ[1] فَسَارَ عَبْدُ الله إِلَى تكْرِيتَ، وَنَزَلَ عَلَى الأَنْطَـاقِ، فَحَصَرَهُ أَرْبَعِينَ يَوماً، ثُمَّ قَالَ: وَأَرْسَلَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُعْتَمِّ رِبْعِيَّ بْنَ الأَفْكَلِ إِلَى الحِصْنَينِ، وَهُمَا نَيْنَوَى وَالَموصلِ وَفَتَحَهُمَا.

فَهَذَا النَّصُّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ القَائِدَ الأَعْلَى فِي العِرَاقِ كَانَ سَعْداً لا خَالداً، وَأَنَّ سَعْداً هُـوَ الّذي أَرْسَلَ عَبْدَ الله بْنَ الْمُعْتَمِّ لمُحَارَبَة الأَنْطَاقِ فِي تكْرِيْتَ، وَأَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الْمُعْتَمِّ هَذَا أَرْسَلَ رِبْعِيَّ بْنَ الأَفْكَلِ لفَتْحِ المَوْصِلِ وَنَيْنَوَى. فَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ خَالدَ بْنَ الوَلِيْدِ لَمَّا جَـاءَ العِـرَاقَ أَرْسَلَ الخَزْرَجَ لِفَتْحِ المَوْصِلِ فَسَكَنُوا فِيْهَا لَيْسَ لَهُ نَصِيْبٌ مِنَ الصِّحَة.

ثُمَّ إِنَّهُ نَقَلَ فِي هَذَا البَابِ أَعْني فِي بَابِ التَّأْسِيْسِ عَنْ صَاحِبِ كِتَابِ البُلْدَانِ أَنَّ المَوْصِلَ كَانَتْ تَدْفَعُ مَعَ (دَاقُوْقَا) أَيَّامَ الْمُعْتَصِمِ العَبَّاسِيِّ سَبْعَةَ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى ذكْـرِ مقْدَارِ الأَمْوَالِ الّتي كَانَتْ تُجْبَى مِنْهَا أَيَّامَ الْمُتَوَكِّلِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا لَيْسَ لَـهُ عَلاقَـةٌ بِبَـابِ التَّأْسِيْسِ لأَنَّهَا فِي هَذَا العَصْرِ قَدْ مَضَى عَلَى تَأْسِيْسِهَا وَإِنْشَائِهَا أَكْثَرَ مِنْ مَـائَتَيْنِ وَعِـشْرِيْنَ عَاماً.

[1] يذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة: (عرفجة بن هرثمة) ج2 ص474 وابن كـثير في البداية والنهاية أنه: (عرفجة بن هرثمة) ج7 ص71، أما البلاذري في فتوح البلدان فقـد ذكـره: (هرثمة بن عرفجة) ق2 ص408.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ سَبَبَ تَسْمِيَتِهَا مَوْصِلاً، وَكَانَ الأَوْلَى بِـهِ أَنْ يَذْكُرَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ بَابِ التَّأْسِيسِ لأَنَّ الشَّيءَ إِنَّمَا يُوضَعُ اسْمُهُ لَهُ عِنْدَ بَدْءِ تَكْوِينِهِ وَفِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ، وَيُسْتَحْسَنُ عِنْدَ ذَلِكَ ذِكْرُ سَبَبِ تَسْمِيَتِهِ بِالاسْمِ الّذِي وُضِعَ لَهُ.

أَمَّا المُؤَلِّفُ فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَخْطِيْطَهَا وَتَمْصِيْرَهَا وَبِنَاءَ جَامِعِهَا وَقُدُوْمَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ إِلَيهَا وَاسْتِيْطَانَهِمْ إِيَّاهَا، وَبَعْدَ أَنْ تَطَرَّقَ إِلَى ذِكْرِ تَوَسُّعِهَا أَيَّامَ الرَّاشِدِيْنَ تَحَوَّلَ طَفْرَةً وَبِلا مُنَاسَبَةٍ إِلَى ذِكْرِ مَا كَانَ يُجْبَى مِنْ أَمْوَالِهَا فِي أَيَّامِ العَبَّاسِيِّيْنَ، ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ، ثُمَّ شَرَعَ فِي بَيَانِ سَبَبِ تَسْمِيَتِهَا، فَللهِ دَرُّهُ مَا أَبْرَعَهُ فِي تَنْسِيْقِ مَبَاحِثِ كِتَابِهِ وَمَا أَقْدَرَهُ عَلَى وَضْعِهَا مُتَنَاسِقَةً مُتَآلِفَةً غَيْرَ مُتَنَافِرَةٍ. ثُمَّ أَلَيْسَ هُوَ ذَلِكَ المُؤَلِّفُ الّذِي ذَكَرَ بَابَ المَنْشَأ قَبْلَ بَابِ التَّأْسِيْسِ؟ وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ نَوْعٌ جَمِيْلٌ مِنَ التَّجَدُّدِ فِي التَّأْلِيْفِ وَالإِنْشَاءِ لَهُ رَوْعَتُهُ وَلَهُ بَهَاؤُهُ وَرَوْنَقُهُ وَجَمَالُهُ.

هَذَا، وَلِشِدَّةِ ارْتِبَاطِ أَبْحَاثِهِ وَجُمَلِهِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ذَكَرَ فِي بَابِ التَّأْسِيْسِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سَبَبَ التَّسْمِيَةِ هَذَا النَّصَّ التَّارِيْخِيَّ عَنْ ابْنِ خَلْدُونَ قَائِلاً: (وَيُقَالُ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ المُعْتَمِّ ــ لا ابْنَ المُعْتَمِرِ كَمَا ذَكَرَهُ ــ بَعَثَ رَبْعِيَّ بْنَ الأَفْكَلِ بِعَهْدِ عُمَرَ إِلَى المَوْصِلِ وَنَيْنَوَى وَهُمَا حِصْنَانِ عَلَى دِجْلَةَ مِنْ شَرْقِيِّهَا وَغَرْبِيِّهَا، فَسَارَ فِي تَغْلِبٍ وَإِيَادٍ وَالنّمرِ وَسَبَقُوهُ إِلَى الحِصْنَيْنِ فَأَجَابُوا إِلَى الصُّلْحِ وَصَارُوا ذِمَّةً)[1].

وَأَنْتَ جِدُّ عَالِمٍ أَنَّ هَذَا النَّصَّ لَيْسَ لَهُ عَلاقَةٌ بِالتَّأْسِيسِ مُطْلَقاً وَإِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِالفَتْحِ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَ لِلْفَتْحِ بَاباً خَاصّاً بِهِ يُسَمِّيهِ (بَابُ فَتْحِ المَوْصِلِ)، كَمَا يُسْتَحْسَنُ أَيْضاً أَنْ يَفْتَحَ لِلتَّسْمِيَةِ بَاباً آخَرَ يَدْعُوهُ (بَابُ سَبَبِ تَسْمِيَةِ المَوْصِلِ مَوصِلاً) إِنْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَذْكُرَ سَبَبَ التَّسْمِيَةِ فِي بِدَايَةِ الكَلامِ فِي بَابِ التَّأْسِيْسِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيئاً فَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ الحَابِلُ بِالنَّابِلِ فَأَصْبَحَ بَابُ التَّأْسِيْسِ بَاباً وَاسِعاً حَشَرَ فِيْهِ مَا لَهُ بِهِ عَلاقَةٌ وَمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عَلاقَةٌ، وَلَكِنَّ الثَانِيَ مِنْهُمَا هُوَ الأَكْثَرُ بِحَيْثُ أَنَّ الأَوَّلَ أَصْبَحَ ضَائِعاً فِيْهِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَصْبَحَ بَيْنَ هَـذِهِ

---

[1] ص6.

النُّصُوْصِ الغَرِيْبَة عَنِ البَابِ خَائفاً يَترَقَّبُ لأَنَّهُ أَصْبَحَ بَيْنَهَا لَيْسَ بِذِي أَهَمِيَّةٍ لِقِلَّتِه. بَلْ أَسْتَطِيْعُ أَنْ أُؤَكِّدَ لِلْمُؤَلِّفِ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنَ النُّصُوْصِ الخَاصَّة بِهَذَا البَابِ إِنَّمَا هُوَ نَصٌّ وَاحِدٌ لا ثَانِيَ لَهُ وَهُوَ مَا نَقَلَهُ عَنْ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ وَذَكَرْتُهُ لَكَ سَابِقاً وَهُوَ قَوْلُهُ فِي الصَّفْحَةِ الخَامِسَةِ مِنْ كِتَابِهِ: [وَأَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ المَوصِلَ وَأَسْكَنَهَا العَرَبَ وَمَصَّرَهَا هَرْثَمَةُ بْنُ عَرْفَجَةَ البَارِقِيُّ].

وَإِنَّمَا قُلْتُ إِنَّهُ نَصٌّ وَاحِدٌ لا ثَانِيَ لَهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ لِلْمُؤَلِّفِ أَنْ نَقَلَ قَبْلَهُ عَنْ كِتَابِ البُلْدَانِ مَا يُشْبِهُهُ وَهُوَ: [وَقِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنِ اخْتَطَّ المَوصِلَ وَأَسْكَنَهَا العَرَبَ وَمَصَّرَهَا هَرْثَمَةُ بْنُ عَرْفَجَةَ البَارِقِيُّ...]. لأَنَّ صَاحِبَ هَذَا النَّصِّ صَدَّرَهُ بِـ [قِيْلَ] الّتِي تَدُلُّ عَلَى تَضْعِيْفِ الرِّوَايَةِ وَعَدَمِ اعْتِمَادِه عَلَى صِحَّتِهَا، فَإِذَا كَانَ صَاحِبُ النَّصِّ الّذي نَقَلَهُ المُؤَلِّفُ عَنْهُ لَمْ يَرْتَضِهِ، وَلَمْ يَعْتَمِدْهُ فَإِنَّنَا مِنَ البَابِ الأَوْلَى أَنْ لا نَعْتَمِدَهُ وَلا نَقُوْلَ بِه.

وَحَيْثُ أَنَّ هَذَا النَّصَّ الضَّعِيْفَ المَرِيضَ المُصَدَّرَ بِكَلِمَةِ (قِيْلَ) هُوَ عَيْنُ النَّصِّ الّذي ذَكَرَهُ المُؤَلِّفُ عَنْ كِتَابِ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ أَفَلا يَجُوْزُ إِذَنْ أَنْ يَسْرِيَ مَرَضُهُ إِلَيه فَيُنْهِكَهُ وَيُمْرِضَهُ؟ لا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لا مَحَالَةَ، ذَلِكَ لأَنَّهُمَا مُتَمَاسَّانِ وَمُتَجَاوِرَانِ بِالذِّكْرِ، أَوْ بِالأَحْرَى إِنَّهُ هُوَ هُوَ نَقَلَهُمَا كِلَيْهِمَا المُؤَلِّفُ عَنْ كِتَابَيْنِ اثْنَيْنِ، وَمَتَى مَرِضَ الاثْنَانِ وَضَعُفَا أَصْبَحَا غَيْرَ مُعْتَدٍّ بِهِمَا، وَبِذَلِكَ يُصْبِحُ بَابُ التَّأْسِيْسِ أَفْرَغَ مِنْ فُؤَادِ أُمِّ مُوْسَى، وَإِنْ كَانَ فِيْهِ كُلُّ شَيءٍ إِلاّ مَالَهُ عَلاقَةٌ بِالتَّأْسِيْسِ.

هَذَا، وَفِيْ هَذَا النَّصِّ الّذي نَقَلَهُ المُؤَلِّفُ نَفْسُهُ عَنْ ابْنِ خَلْدُوْن ذِكْرٌ صَرِيْحٌ لأَوَّلِ مَنْ أَتَى المَوْصِلَ مِنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ وَهِيَ تَغْلِبُ وَإِيَادٌ وَالنّمر، فَكَيْفَ سَاغَ لَهُ إِذَنْ أَنْ يَقُوْلَ قَبْلاً: [وَأَوَّلُ قَبِيلَةٍ أَتَتْهَا هِيَ قَبِيلَةُ الخَزْرَجِ]. وَلَكِنَّهُ مَعْذُوْرٌ فِيْ ذَلِكَ لأَنَّ الكَلامَ الطَّوِيْلَ وَلا سِيَّمَا إِذَا كَانَ غَيْرَ مُنَظَّمٍ وَلا مُنَسَّقٍ يُنْسِيْ آخِرُهُ أَوَّلَهُ، وَفِيْ ذَلِكَ ذِكْرَى بَالِغَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مِنَ المُؤَلِّفِيْنَ وَالكُتَّابِ.

ثُمَّ إِنَّهُ ـــ تَكْبِيْراً لِبَابِ التَّأْسِيْسِ هَذَا ـــ أَخَذَ يَنْقُلُ عَنِ ابْنِ خَلْدُوْن النُّصُوْصَ التَّالِيَةَ وَهِيَ:

أَوَّلاً: [وَقِيْلَ إِنَّ الّذي فَتَحَ المَوصِلَ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ سَنَةَ عِشْرِينَ وَإِنَّهُ مَلَكَ نَيْنَوَى وَهُوَ الشَّرْقِيُّ عُنْوَةً وَصَالَحُوا أَهْلَ المَوْصِلِ وَهُوَ الغَرْبِيُّ عَلَى الجِزْيَةِ، وَفَتَحَ مَعَهَا جَبَلَ الأَكْرَادِ وَجَميعَ أَعْمَالِ المَوْصِلِ][1].

ثَانِياً: [وَقِيلَ إِنَّمَا بَعَثَ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ عِيَاضَ بْنَ غَنَمٍ عِنْدَمَا فَتَحَ الجَزِيْرَةَ عَلَى مَا نَذْكُرُ][2].

ثَالثاً: [وَوَلّى عُمَرُ هَرْثَمَةَ بْنَ عَرْفَجَةَ المَوصِلَ][3].

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذهِ النُّصُوصَ الثَّلاثَةَ اللاَّتي نَقَلَهَا جَميْعَهَا عَنْ ابْنِ خَلْدُوْن لَيْسَتْ لَهَا عَلاقَةٌ بِالتَّأْسِيْسِ وَبَابِهِ البَتَّةَ وَأَنَّهَا ضَعِيْفَةٌ وَاهِيَةٌ غَيرُ مُعْتَمَد عَلَيْهَا كَالنَّصِّ السَّابِقِ الّذي نَقَلَهُ لَنَا عَنْ كِتَابِ البُلْدَانِ، فَكَانَ الوَاجِبُ عَدَمُ ذِكْرِهَا كُلِّهَا فِيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلكَ بَلْ عَقَّبَ عَلَيْهِ لِيَكُونَ بَابُ التَّأْسِيْسِ حَافِلاً بِكُلِّ طَرِيْفٍ وَظَرِيْفٍ مِمَّا لَيْسَ لَهُ بِهِ عَلاقَةٌ بِقَوْلِهِ نَاقِلاً عَنْ أَحْسَنِ التَّقَاسِيْمِ: [وَلُغَتُهُمْ (أَيْ أَهْلُ العِرَاقِ) حَسَنَةٌ أَصَحُّ مِنْ لُغَةِ الشَّامِ ـ لأَنَّهُمْ عَرَبٌ ـ أَحْسَنُهَا المَوْصِلِيَّةُ... وَإِنَّ بِسَوَادِ المَوْصِلِ مَسْجِدَ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ... وَإِنَّ جَمِيْلَةَ بِنْتَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ قَدْ بَنَتْهُ][4] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لَهُ عَلاقَةٌ بِبَابِ التَّأْسِيْسِ، ثُمَّ نَقَلَ عَنْ كِتَابِ مَسَالِكِ المَمَالِكِ أَنَّ المَوْصِلِيِّيْنَ [فَوَاكِهَهُمْ تُحْمَلُ مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي][5] وَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ إلاَّ مَاءَ دِجْلَةَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا حَشَرَهُ فِي بَابِ التَّأْسِيْسِ حَشْراً وَأَدْخَلَهُ فِيْهِ قَسْراً كَمَا يُدَخَّلُ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ.

---

[1] ص6.

[2] ص6.

[3] ص7.

[4] ص7.

[5] ص7.



منطقة القليعات شمالي الموصل مقر دور الامارة

أطْلالُ المَسْجِدِ الجَامِعِ
(الجَامِعُ الأُمَوِيُّ)

قَالَ: عَنْ مَنَارَةِ هَذَا الجَامِعِ: [وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِمَنَارَةِ الكَوَّازِيْنَ أَنَّ حَوْلَهَا كَانَتْ مَعَامِلُ الخَزَف][1].

أَقُولُ: إِنَّهُ جَعَلَ سَبَبَ تسْمِيَة هَذه المَنارَة بِمَنَارَةِ الكَوَّازين كَونَ مَعَامِلَ الخَزَف تَقَعُ حَوْلَهَا، مَعَ أَنَّ الخَزَفَ (مُحَرَّكَةٌ): كُلُّ مَا عُمِلَ مِنْ طِيْنٍ وَشُوِيَ بالنَّارِ حَتَّى يَكُونَ فَخَّاراً مِنْ أَبَاريقَ وَأَكْوَابٍ وَكِيْزَان(2) وَغَيْرِهَا، فَلَوْ جعَلَ علَّةَ تَسْمِيَتِهَا بذَلكَ كَوْنَ مَعَامِلِ الأَكْوَازِ حَوْلَهَا لَصَحَّتْ عِبَارَتُهُ وَإِلاّ لَوَجَبَ أَنْ تُسَمَّى المَنَارَةُ مَنَارَةَ الخَزَّافِينَ. ثُمَّ عَقَّبَ عَلَى ذَلِكَ بِقَولِهِ: [وَالحَقِيْقَةُ أَنَّهَا بَقِيَّةُ مِئْذَنَةِ الجَامِعِ][3].

---

[1] ص8: وقد أعطى المؤلف الصوفي عنواناً رئيساً للموضوع باسم (الآثار والمباني الأموية في الموصل). ويذكر أن هذا الجامع قد طالب أهل محلته والمهتمّين به كثيراً بضرورة صيانته مراراً كما نشر في الصحف الموصلية والعراقية في فترة العشرينات عندما أحسّ المصلون فيه أنه مشرف على الانهدام ولم تستجب الجهات المختصة لذلك حتى منتصف الثلاثينات حيث تولت مفتشية الآثار القديمة في الموصل صيانته ويذكر أحد معمري المنطقة وأثناء الحفر والصيانة قد عثروا على سيوف في باحة المسجد. أنظر جريدة العراق، العدد 535 في 22 شباط وجريدة البلاد، العدد 618 في 12 تموز 1936. ومن الجدير بالذكر ومما يؤكد لنا وجود سكن قرب المنارة أن مترل قاضي الموصل أبا جعفر الحارث بن الجارود العتكي باب مسجد الجامع الذي تحت المنارة في سنة 147هـ، انظر الأزدي، تاريخ الموصل ص199.

[2] الكِيزَانُ: إناءٌ كَالإِبْريقِ، لَكِنَّهُ أَصْغَرَ مِنْهُ، وَيُجْمَعُ أَيْضاً عَلَى أَكْوَازٍ وَكِوَازَةٍ ، وَالكَلِمَةُ مِنَ الدَّخِيلِ. [ويذكر أنه يقال الكيزاني نسبة الى عمل الكيزان وبيعها، وينسب اليها محمد بن إبراهيم بن ثابت المعروف بالكيزاني، أنظر هارون، عبد السلام، معجم مقيدات ابن خلكان ص283].

[3] ص8: ذكر الصوفي: مئذنة المسجد الجامع.



مئذنة الجامع الأموي سنة 2007

أَقُولُ: يُرِيْدُ المُؤَلِّفُ المُحَقِّقُ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ المَنَارَةَ مَنَارَةً لِلْمَسْجِدِ الجَامِعِ الَّـذِي عَمَّـرَهُ هَرْثَمَةُ فِي خِلافَةِ عُمَرَ t وَفَاتَهُ أَنَّ المَنَائِرَ فِي ذَلِكَ العَهْدِ لَمْ تَكُـنْ مَعْرُوْفَـةً فِيْ المَـسَاجِدِ الجَامِعَةِ، وَإِنَّمَا عُرِفَتْ فِيْهَا أَيَّامَ الأُمَوِيِّيْنَ فِيْ مِصْرَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَدَىً بَعِيْـدٍ تَعَلَّـمَ النَّـاسُ إِنْشَاءَهَا وَبِنَاءَهَا، فَسَرَتْ مَعْرِفَةُ تَعْمِيْرِهَا مِنْ مِصْرَ إِلَى العِرَاقِ، وَلا بُدَّ أَنَّ ذَلِكَ اقْتَضَى زَمَنـاً طَوِيْلاً حَتَّى وَصَلَ المَوْصِلَ.

فَالمِئْذَنَةُ إِذَنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً أَيَّامَ تَعْمِيْرِ المَسْجِدِ الهَرْثَمِيِّ فِي البِلادِ الإِسْـلامِيَّةِ كُلِّهَـا، فَكَيْفَ يَسُوْغُ لَهُ أَنْ يَقُوْلَ إِنَّهَا بَقِيَّةُ جَامِعٍ عُمَّرَ فِي المَوْصِلِ فِي عَهْدِ الرَّاشِدِيْنَ؟!. وَدَعْوَى أَنَّهَا تَعَمَّرَتْ فِي الجَامِعِ الهَرْثَمِيِّ بَعْدَ أَمَدٍ يَحْتَاجُ إِثْبَاتُهَا إِلَى بَرَاهِيْنَ لَمْ نَسْتَطِعْ إِيْرَادَهَا.

فَالمئْذَنَةُ إنْ دَلَّتْ عَلَى شَيءٍ فَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بُنِيَتْ في جَامِعٍ تَعَمَّرَ وَأُنْشِيءَ في زَمَـنٍ كَانَ بنَاءُ المَنَائرِ فِيْهِ مَعْرُوْفاً في المَوْصِلِ، وَهُوَ لِذَلكَ غَيْرُ جَامِعِ هَرْثَمَةَ الّذي يَعْنِيْـهِ المُؤَلِّـفُ وَسَنَذْكُرُ لَكَ مَزِيْدَ تَفْصِيلٍ فِي هَذَا البَحْثِ عَمَّا قَرِيْبٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ نَصَّيْنِ اثْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنْ كِتَاب البُلْدَانِ، وَالآخَرُ عَنْ مُخْتَصَرِ البُلْدَانِ كِلاهُمَا يَفيْدَانِ أَنَّ هَرْثَمَةَ بَنَى مَسْجِداً جَامِعاً في المَوْصِلِ أَيَّامَ فَتْحِهَا.

وَنَحْنُ لا نَشُكُّ في ذَلِكَ، أَمَّا أَنَّ مَسْجِدَهُ هَذَا الّذي عَمَّرَهُ في المَوْصِلِ سَيَـصْبَحُ عِنْـدَ المُؤَلِّف مَسْجِداً أُمَوِيَّاً ثُمَّ يُمْسيْ يَدَّعِيْ (جَامِعَ المُصَفِّي) فَدُوْنَ إِثْبَاتِ ذَلِكَ خَرْطَ القَتَادِ[1]وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ تَحْقيْقَات المُؤَلِّف سَتُوْصِلُهُ إِلَى إِثْبَات ذَلِكَ.

ثُمَّ ذَكَرَ نَصّاً آخَرَ نَقَلَهُ عَنْ رِحْلَةِ ابْنِ جُبَيْرٍ[2] جَاءَ فِيْهِ: [وَلِلْمَدينَةِ جَامِعَـانِ أَحَـدُهُمَا جَديْدٌ وَالآخَرُ مِنْ عَهْدِ بَنِيْ أُمَيَّةَ][3].

وَهُوَ لا يَنصُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الجَامِعَ الأُمَوِيَّ هُوَ جَامِعُ هَرْثَمَةَ بِعَيْنِه، كَمَا أَنَّ قَـولَ ابْـنِ جُبَيْرٍ: [إِنَّ لِلْمَدينَة جَامِعَيْنِ] لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُوْنَ لَهَا جَامِعٌ ثَالِثٌ هُوَ جَامِعُ هَرْثَمَةَ، إِذْ يَجُوْزُ أَنَّهُ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَسَنَّ لَهُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ رَجُلٌ سَائِحُ وَعَابِرُ سَبِيْلٍ، وَالسَّائِحُ العَابِرُ مِثْلُـهُ لا

---

[1] الخَرْطُ: هو انتزاع الشيء، وذكر أنه: تقشير الورق عن الشجر اجتذاباً بالكف، كما فعل رسول الله r عند أكله عنقود العنب، وقد قال الشاعر:

إنَّ دُوْنَ الّـذيْ هَمَمْـتَ بِـهِ   مِثْـلَ خَـرْطِ القَتَـادِ فِيْ الظُّلُمَـه

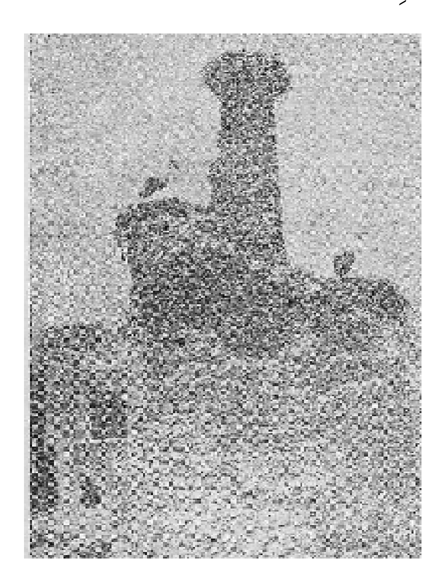
ويريد بذلك في الظلمة. كما يذكر ابن دريد أن القتاد متظاهر الشوك لا يستطاع لمسه ولا خرطـه، وهو من الأمثال التي تبين عدم استطاعة اثبات القول، وقيل يضرب للأمر دونه مـانع. انظـر ابـن منظور، لسان العرب المحيط، م1 ص814؛ جمهرة اللغة، ج2 ص209؛ الميداني، احمد بن محمد، مجمـع الأمثال ج1 ص265 ت 1395.

[2] ص168.

[3] ص8.

يَتَحَرَّى كُلَّ الجَوَامِعِ المَوْجُوْدَةِ فِيْ البَلْدَةِ، خَاصَّةً العَتِيْقَةَ أَوِ المُتَهَدِّمَةَ مِنْهَـــا كَجَـــامِعِ هَرْثَمَـــةَ وَأَضْرَابِهِ، وَهُوَ إِنَّمَا يُشَاهِدُ وَيَعْرِفُ الجَوَامِعَ العَامِرَةَ الشَّهِيْرَةَ فِيْهَا.

ثُمَّ ذَكَرَ نَصّاً آخَرَ عَنْ مُعْجَمِ البُلْدَانِ ذَكَرَ فِيْهِ الحَمَوِيُّ: [إِنَّ جَامعاً مِنْ جَامِعَيْهَا وَاقِــعٌ عَلَى نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يَحْسَبُ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّد اسْتَحْدَثَهُ][1]. وَفِيْهِ أَنَّ الحَمَوِيَّ لَمْ يَجْزِمْ بِأَنَّ هَذَا الجَامِعَ الّذِي هُوَ أَحَدُ جَامِعَي البَلْدَة هُوَ عَيْنُ جَامعِ مَرْوَانَ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَجْزِمْ بِـــأَنَّ مَرْوَانَ قَد اسْتَحْدَثَهُ، وَإِنَّمَا يَحْسَبُ ذَلِكَ وَيَظُنُّهُ، وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً، فَإِذَاً يَجُوْزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الجَامِعُ غَيْرَ أُمَوِيٍّ، وَأَنَّهُ غَيْرَ جَامعِ مَرْوَانَ، وَأَنَّ مَرْوَانَ لَمْ يَسْتَحْدِثْهُ، وَيَجُــوْزُ أَنْ يَكُونَ عَبَّاسِيَّ المَنْشَأَ وَالتَّعْمِيْرِ.



صورة نادرة لمئذنة الجامع الأموي الصوفي)

وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ مَرْوَانَ قَدْ بَنَى هَذَا الجَامِعَ فَإِنَّنَا لا نُسَلِّمُ أَنَّهُ مَسْجِدُ هَرْثَمَـــةَ بِعَيْنِـــه، وَاَنَّ مَرْوَانَ قَدْ جَدَّدَهُ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَ لأَنَّ الحَمَوِيَّ يَقُوْلُ عَنْهُ أَحْسَبُ أَنَّ مَرْوَانَ قَـــدِ (اسْـــتَحْدَثَهُ)،

---

[1] ذكر آل فرج النص بتصرف، حيث أن أصل النص كما نقله الصوفي هــو هكـــذا: (وهـــو الـــذي استحدثه مروان بن محمد في ما أحسب).

وَمَعْنَى اسْتَحْدَثَهُ[1]: أَوْجَدَهُ حَدِيْثاً، أَيْ لا أَنَّهُ جَدَّدَ عِمَارَةَ جَامِعٍ عَتِيْقٍ هُوَ جَامِعُ هَرْثَمَةَ، وَإِلاّ لَقَالَ: أَحْسَبُ أَنَّ مَرْوَانَ جَدَّدَ عِمَارَتَهُ. وَمِنْ قَوْلِه (اسْتَحْدَثَهُ) نَسْتَطِيْعُ أَنْ نَقُوْلَ: إِنَّ هَذَا النَّصَّ هُوَ عَلَى الْمُؤَلِّف لا لَهُ، لأَنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الجَامِعَ المَرْوَانِيَّ هَذَا ـ عَلَى فَرْضِ ثُبُوْتِ أَنَّهُ مَرْوَانِيٌّ ـ هُوَ غَيْرُ الجَامِعِ الهَرْثَمِيِّ، بِدَلِيْلِ أَنَّ مَرْوَانَ اسْتَحْدَثَ هَذَا الجَامِعَ أَيْ أَوْجَدَهُ حَدِيْثاً وَلَمْ يُجَدِّدْ عِمَارَةَ جَامِعٍ عَتِيْقٍ، يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ جَامِعُ هَرْثَمَةَ فَضْلاً عَنْ كَوْنِه هُوَ هُوَ بِصُوْرَةٍ قَطْعِيَّة.

ثُمَّ عَلَّقَ عَلَى مَا جَاءَ فِي مُعْجَمِ البُلْدَانِ بِقَوْلِه: [أَقُولُ: قَوْلُهُ عَلَى نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يُدْعِمُ التَّوَاتُرَ بَينَ أَهْلِ المَوْصِلِ أَنَّ جَامِعَ الْمُصَفِّيِّ وَالمِئْذَنَةَ مِنْ بَقَايَا الجَامِعِ القَدِيْمِ][2].

أَقُوْلُ: هَلْ عَلِمَ الْمُؤَلِّفُ الْمُدَقِّقُ مُؤَرِّخاً وَاحِداً أَوْ قَرَأَ نَصّاً تَارِيْخِيّاً وَاحِداً أَوْ سَمِعَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ عَامَّةِ المَوْصِلِيِّيْنَ أَوْ خَاصَّتِهِمْ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَى أَقْوَالِهِمْ فِي مِثْلِ هَذِه الأُمُوْرِ قَائِلاً وَاحِداً صَرَّحَ لَهُ بِأَنَّ جَامِعَ هَرْثَمَةَ كَانَ عَلَى نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ لِيَصِحَّ لَهُ الإِسْتِنَادُ عَلَى ذَلِكَ فَيَسُوَّغُ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِأَنَّ (جَامِعَ الْمُصَفِّيّ) مِنْ بَقَايَا المَسْجِدِ الجَامِعِ الهَرْثَمِيِّ القَدِيْمِ لِكَوْنِه وَاقِعاً عَلَى نَشْزٍ أَرْضِيٍّ!. وَعَلَيْه فَمُجَرَّدُ قَوْلِ الحَمَوِيِّ: (إِنَّ الجَامِعَ الّذِي يَحْسَبُهُ أَمَوِيّاً وَاقِعٌ عَلَى نَشْزٍ) لا يُثْبِتُ أَنَّهُ المَسْجِدُ الجَامِعُ الهَرْثَمِيُّ.

هَذَا، وَإِنَّ خُلاصَةَ النُّصُوْصِ التَّارِيْخِيَّة الّتِي سَاقَهَا الْمُؤَلِّف تَنْحَصِرُ كُلُّهَا فِي أَنَّ هَرْثَمَةَ بَنَى مَسْجِداً جَامِعاً فِي المَوْصِلِ، وَأَنَّ ابْنَ جُبَيْرٍ وَالحَمَوِيَّ شَاهَدَا فِيهَا جَامِعَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيْدٌ، وَالثَّانِي عَتِيْقٌ. يَقُوْلُ ابْنُ جُبَيْرٍ عَنِ العَتِيْقِ إِنَّهُ أُمَوِيٌّ، وَيَقُولُ الحَمَوِيُّ أَحْسَبُهُ أُمَوِيّاً، أَيْ إِنَّهُ لا يُحَقِّقُ أُمَوِيَّتَهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ لا يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ المَسْجِدَ الوَاقِعَ عَلَى نَشْزٍ أَرْضِيٍّ هُوَ المَسْجِدُ الجَامِعُ القَدِيْمُ الّذِي بَنَاهُ هَرْثَمَةُ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْنَا مَا يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ جَامِعَ الْمُصَفِّي هُوَ الجَامِعُ الأُمَوِيُّ الّذِي

---

[1] الحداثة نقيض القدم، واستحدثه أي أحدثه. البستاني، قطر المحيط ج1 ص368.

[2] ص9، وقد أهمل المؤلف كلمة .. (والمقبرة) من النص الذي انتخبه الصوفي لأنها لا تهم الباحث والقاريء في مجال التحقيق.

ذَكَرَهُ الحَمَويُّ بِصُوْرَة قَطْعِيَّة، فَضْلاً عَنْ كَوْنه الجَامعَ الهَرْثَميِّ الّذي أُسِّسَ وَبُنِيَ في خلافَــة عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب، إذْ لَيْسَ لَنَا منَ الأَدلَّة مَا نُعَيِّنُ به مَوقعَهُ[1] وَادِّعَاءُ المُؤَلِّف هَــا هُنَــا: (أَنَّ المَنارَةَ الحَاليَّةَ منْ بَقَايَا الجامع القَديْمِ) أَيِ الهَرْثَميِّ، إدِّعَاءٌ لا بُرْهَانَ لَهُ عَلَى إثْبَاته، ذَلكَ لأَنَّ المَآذنَ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوْفَةً في أَقْطَارِنَا هَذِه أَيَّامَ إنْشَاءِ الجَامعِ القَديْمِ المَذْكُوْرِ، وَإِنَّمَا عُرِفَتْ فيْهَــا

[1] عند هذه الفقرة أشار المؤلف الى ملحق في نهاية كتابه، لذا فقد وجب تقديم بقية البحث الى محله كما مبين في الفقرات التالية بمتن الكتاب حسب عناوينها الموسومة: المآذن في مصر والشام والعراق.

بَعْدَ سِنِيْنَ عَدِيْدَة، أَكَادُ أُجْزِمُ أَنَّهَا عُرِفَتْ أَيَّامَ العَبَّاسِيِّيْنَ[1]، فَهِيَ أَوَّلُ مَا عُرِفَتْ في الإِسْـــلامِ في مِصْرَ، ثُمَّ فِيْ الشَّامِ، ثُمَّ فِيْ الأَقْطَارِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرَى، وَدُوْنَكَ تَفْصِيْلُ ذَلِكَ[2]:

---

[1] يذكر المرحوم عبو في موسوعة الموصل الحضارية م3 ص273 اعتماداً على كتاب الموصل في العهـــد الأتابكي ص128وجوامع الموصل ص7 للمرحوم الديوه جي ما نصه: [ولعل أقدم العناصر الباقية هي المئذنة المعروفة (بمنارة الكوازين) ففيها من السمات، خاصة أسلوب رصف الآجر ما يـــوحي بأنهـــا ترجع الى العهد الأتابكي على الرغم من أنه كان للجامع مئذنة منذ العـــصر الأمـــوي ولا يعـــرف موضعها على وجه الدقة خلال العصر الأموي بان كان موضعها في موضـــع المئذنـــة الحاليـــة أم في موضع آخر]. وإن نص المرحوم الديوه جي ص6: (وبنى مروان في الجامع منارة، ولا نعلم موقعهـــا بالضبط فهل كانت في محل المنارة الحالية أم في محل غيره). اضافة الى نشره صورة لمنـــارة موصـــلية مشابهة لمنارة الكوازين من حيث الشكل الدائري والتصاقها بالدور لمنمنة زمن بدر الدين لؤلؤ انظر المصدر نفسه م3 ص239.

وما نشره أ.د أحمد قاسم الجمعة في موسوعة الموصل الحضارية م3 ص301 في موضـــوعه الموســـوم (المآذن) فانه يقول: (اتضح لنا مما تقدم أن أول ذكر لمئذنة الجامع الأموي هي التي استحدثت ســـنة 126هـــ... ولم تسعفنا الروايات التاريخية ولا الأدلة الأثرية عن وجود مئذنة للجـــامع قبـــل هـــذا التاريخ وإن كانت فكرة المئذنة وبوادرها الأولى وجدت في المسجد النبوي...وإن ما تبقى من المئذنة الأثرية الحالية يشير الى احتمال عودتها للفترة الأتابكية) وهذا رأي مؤيد لما ذهب إليه آل فـــرج في عدم توفر مصادر مبكرة تؤكد وجود ذكر مفصل لوضعية المآذن في الموصل بعد العصر الأموي. مع العلم أن الطراز الأموي ظل سائداً في أغلب البلدان الإسلامية طوال القرون الثلاثة الأولى، انظـــر الألفي، أبو صالح، الفن الاسلامي 145.

[2] فات آل فرج أن يذكر أن من أقدم المآذن في العالم الاسلامي هي مئذنة جامع عقبة بن نافع في مدينة القيروان بتونس وأنها نقطة البداية لتاريخ المآذن وتطورها الذي أنشأها عامل بني مروان في المدينـــة المذكورة وهو: بشر بن صفوان بين سنتي 105و 109هـــ وتعتبر أقدم مئذنة باقية على أصولها حـــتى اليوم. وأنها مستندة على قاعدة مربعة مع البدن مما يؤيد ما ذهب إليه آل فرج من كون منارة جامع المصفي هي بشكل مستدير الذي يؤكد كونها عباسية على أقرب تقدير، وأيد ذلك الدكتور مـــؤنس بقوله: [ومآذن العراق والجانب الشرقي من بلاد الإسلام تغلب عليها الهيئة الاسطوانية] علمـــاً أن

المَآذِنُ في مِصْرَ(1)

إنَّ أَوَّلَ جَامِعٍ أُسِّسَ وأُنْشِيءَ في مِصْرَ هُوَ جَامِعُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ[2] وَقَدْ كَانَ خُلْواً مِنَ المَنارَةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى المَآذِنَ في الإِسْلامِ هُوَ مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ الأَنْصَارِيِّ أَميرُ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ

المنائر المغربية هي عبارة عن أبراج مربعة القاعدة والبدن كما أسلفنا. أنظر مؤنس، المساجد ص131ــ 136؛ سامح، كمال الدين، العمارة في صدر الاسلام 147. وانظر الصورة الآتية:



(1) خطط المقريزي ج4 ص44.

[2] تذكر المصادر أنه بنى جامعه سنة 21هــ، وقد أورد البلاذري رواية عن إبن دقماق والمقريزي أن مسلمة بن مخلد ــ الذي كان عامل مصر لمعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وحفيده معاوية من 47 الى 62هــ ــ أنشأ سنة 53هــ أربع صوامع في أركان جامع عمرو بن العاص في الفسطاط لغرض الأذان، وأمر بأن تبنى منارات في معظم مساجد الفسطاط الأخرى، وأمر مؤذني جامع عمرو بان يبدأوا بالأذان للصلوات ثم يتلوهم المؤذنون في المنارات.

ويستطرد الدكتور مؤنس في المساجد ص130: وتلاحظ النصوص تفرّق هنا بين الصوامع التي بنيت في أركان جامع عمرو بن العاص، والمنارات التي بنيت في المساجد الأخرى التي تلي المسجد الجامع في المرتبة، وليست لدينا فكرة واضحة عن الشكل المعماري لهذه أو تلك، ولكننا نستنتج من نصوص أخرى أن الصوامع كانت أقرب الى الأبراج في ضخامة الهيئة، وأما المنارات فكانت أقل حجماً وربما أقل ارتفاعاً، واستعمال لفظ المنارة هنا يدل على أن المنارات كانت هيئات معمارية مقتبسة من المنارات التي كانت تنشأ على السواحل أو على قنن الجبال في العصور القديمة. وهذان الخبران يسمحان لنا بالقول بأن المآذن نشأت عن الصوامع (وهي الأبراج) والمنائر، ثم امتزج الطرازان معاً فظهرت مآذن المساجد الأولى التي بقي لنا بعضها الى اليوم. وانظر الألفي، الفن الإسلامي 162.

مُعَاوِيَةَ، بِأَمْرِ مُعَاوِيَةَ، كَمَا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ رَقَى مِئْذَنَةَ مِصْرَ لِلأَذَانِ هُوَ شَرَحْبِيْلُ بْنُ عَامِرٍ الْمُرَادِيِّ، وَقَدْ كَانَ أَصْلُ بِنَاءِ المَآذِنِ فِي مِصْرَ ـــ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ فَنُّ المِعْمَـــارِ ـــ مُقْتَبَـــساً مِـــنْ مَنَـــارَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، لأَنَّهَا بُنِيَتْ عَلَى شَكْلِهَا.

وَأَقْدَمُ مَآذِنِ مِصْرَ فِي العَصْرِ الحَاضِرِ (مِئْذَنَةُ جَامِعِ أَحْمَدَ بْنِ طُوْلونَ)[1] وَهِيَ حَلَزُوْنِيَّـــةُ الشَّكْلِ يَقَعُ سُلَّمُهَا مِنَ الخَارِجِ، وَقَدْ شُيِّدَتْ عَلَى نَسَقِ مِئْذَنَتَيْ جَامِعِ الحَاكِمِ[2] بِـــسَامِرَّا[3]

وكذا ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج1 ص133 أن أول من أحدث (المنـــار) بالمـــساجد والجوامع مسلمة بن مخلد.

[1] أنشأ جامعه سنة 263ـــ265هـــ/876ـــ879م، الألفي، الفن الإسلامي 170. وذكر أنها شبيهة بمنارة جامع سامراء، كما أنها تشبه منارة مسجد أبي دلف، وهي مكونة من قاعدة مربعة تقوم عليها طبقـــة اسطوانية عليها أخرى مثمنة، ويذكر أن المآذن التي بناها الأمير مسلمة بن مخلد الأنصاري في جـــامع عمرو كانت أولية وبسيطة لا تتفق والعظمة التي أرادها ابن طولون لمسجده الجامع، ويريد بذلك أن المنارة منسوبة إليه، انظر حسن، محمد زكي، الفن الإسلامي في مصر ج2 ص47. الجنابي، كـــاظم، مسجد أبي دلف ص20 و29ـــ36.

[2] بناه الحاكم أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وأكمله إبنه الحاكم بـــأمر الله ســـنة 380هـــ/990م، وفي سنة 401هـــ/1013م زيـــد في منـــارة جـــامع بـــاب الفتـــوح وفي ســـنة 702هـــ/1302م أصيبت المنطقة بزلزال وخربت قمتي المئذنتين وقيل أسقطت القمـــتين. وكانـــت المئذنة الاولى بَحْرية والثانية قِبْلية والاولى أطول من الثانية، ويسمى الجامع الأنور، الخطط المقريزيـــة ج4 ص55؛ مساجد مصر ج1 ص22 وص25.

[3] كتب المؤلف آل فرج عبارته على النحو الآتي: (على نسق مئذنتي جامع الحاكم بسمارا) واســـتدرك الصايغ في كتابه تاريخ الموصل ج3 ص124 وصححها على النحو: (على نسق مئذنتي جامع الخلفاء بسامرا) اعتماداً على تصحيح إبراهيم الواعظ الذي كان قد احتفظ بمخطوطات آل فـــرج لغـــرض نسخها ونشرها بعد وفاة صاحبها آل فرج ولكنهما لم يوفقا في التصحيح. والمتتبع لسياق العبارة يجد سقطاً لكلمات واقعة بين (الحاكم) و (بسامرا) وكأنه أراد أن يقول إن المئذنتين الـــشبيهتين بمئذنـــة الجامع الذي بني بسامرا.

وَيَلِيْهَا في التَّتَابُعِ الزَّمَنِيِّ مِئْذَنَةُ (جَامِعِ الجُيُوْشِ)[1] الّتِي شُيِّدَتْ سَنَةَ 478هـ ثُمَّ مِئْذَنَةُ (أَبِي الغَضَنْفَرِ)[2] الّتِي شُيِّدَتْ سَنَةَ 554هـ ثُمَّ مِئْذَنَةُ (جَامِعِ الحُسَيْنِ)[3] الّتِي شُيِّدَتْ سَنَةَ 634هـ ثُمَّ تَتْلُوْهَا مَآذِنُ أُخْرَى أَخَصُّهَا مِئْذَنَةُ (جَامِعِ فَاطِمَةَ خَاتُوْنٍ) الّتِي شُيِّدَتْ سَنَةَ 683هـ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى قَاعِدَتِهَا المُرَبَّعَةِ.

المَآذِنُ فِي الشَّامِ

لَقَدْ كَانَ لِلْجَامِعِ الأُمَوِيِّ بِدِمَشْقَ أَبْرَاجٌ فِي أَرْكَانِه الأَرْبَعَةُ، وَذَكَر ابْنُ الفَقِيه المُتَوَفَّى سَنَةَ 903م[4] أَنَّ هَذِه الأَبْرَاجَ اسْتُعْمِلَتْ مَآذِنَ بَعْدَ أَنْ ظَلَّتْ المَسَاجِدُ بِدُوْن مَآذِنَ إِلَى عَهْدِ الوَلِيْدِ، وَقَدْ كَانَ فِيْ البِلادِ الشَّامِيَّةِ أَبْرَاجٌ فِي كَنَائِسَ كَثِيْرَةٍ، فَتَأَثَّرَت المَآذِنُ فِي عَهْدِهَا بِشَكْلِ هَذِهِ الأَبْرَاجِ، ثُمَّ أُدْخِلَتْ عَلَيْهَا تَحْسِيْنَاتٌ جَمَّةٌ، فَصَارَ مِنْهَا الدَّائِرَةُ والمَخْرُوْطِيَّةُ والمُثَمَّنَةُ،

---

[1] أو الجيوشي بناه سنة 487هـ/1085م على حافة جبل المقطم الوزير الفاطمي بدر الجمالي الذي كان يشغل منصب أمير الجيوش وتعتبر مئذنته من أقدم المآذن الفاطمية بمصر، وهي تبدأ ببدنة مربعة، مساجد مصر ج1 ص27.

[2] أبو الغضنفر أسد الفائزي بنى مئذنته سنة 552هـ/1157م ويقع في الشمال الغربي من الجامع الأزهر، فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ص1.

[3] أو المشهد الحسيني الذي أنشيء سنة 549هـ/1023م لينقل إليه رأس سيدنا الإمام الحسين الشهيد ولم يبق منه الآن غير الباب المعروف بالباب الأخضر، ويقع شمال الجامع الأزهر، أما مئذنته المقامة فوق الباب فقد ثبتت عليه لوحة مؤرخة سنة البناء 634هـ/1237م في أواخر العصر الأيوبي ولم يبق منها سوى قاعدتها المربعة، وبعد تولي الخديوي إسماعيل سنة 1279هـ/1882م أمر بتجديد المسجد وتوسيعه وبديء العمل به سنة 1280هـ/1883م وكمل بناء المئذنة سنة 1295هـ/1898م، مساجد مصر ج1 ص33.

[4] الموافق سنة 291هـ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَقُوْلَ بَعْدَ هَذَا: إنَّ فِكْرَةَ المَآذن نَشَأَتْ في سُوْرِيَّا في عَهْدِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّة أَيْضاً، وَإنَّ أَوَّلَ مِئْذَنَة شُيِّدَتْ بِطَرِيْقَةٍ فَنِّيَّةٍ قَدْ أَخَذَتْ شَكْلَهَا مِنْ أَبْرَاجِ الكَنَائِسِ السُّوْرِيَّة[1].

المَآذِنُ في العِرَاقِ

في سَنَة 17هـ بُنِيَ أَوَّلُ جَامِعٍ فِيْ الكُوْفَة، وَأَوَّلُ جَامِعٍ في البَصْرَة، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُسَمَّى (مِئْذَنَةً)[2] وَلَمْ يَعْرِفِ التَّاريخُ مِئْذَنَةً بُنِيَتْ في العِرَاقِ في العَهْدِ الأُمَوِيِّ البَتَّةَ.

وَإنَّ أَوَّلَ مِئْذَنَةٍ عُرِفَتْ في عَاصِمَةِ العِرَاقِ (بَغْدَادَ) هِيَ مِئْذَنَةُ (جَامِعِ سُوْقِ الغَزْلِ)[3] الّذي كَانَ يُسَمَّى جَامِعَ الخُلَفَاءِ أَوْ جَامِعَ القَصْرِ الحَسَنِيِّ، ذَلِكَ القَصْرُ الّذي عَمَّرَهُ المُعْتَضِدُ سَنَةَ 280هـ وَالّذي هَدَمَ المُكْتَفِيُّ الّذي وُلِّيَ الخلافَةَ سَنَةَ 289هـ طَوَامِيْرَهُ كُلَّهَا، وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ مَوْضِعُهَا مَسْجِداً جَامِعاً، فَصَلَّى فِيْهِ النَّاسُ[4] ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ أُنْشِئَتْ فِيْهِ (المِئْذَنَةُ). قَالَ ابْنُ الأَثِيْرِ في الكَامِلِ: في حَوَادِثِ سَنَةِ 479هـ: (وَفِيهَا في رَبِيْعٍ الآخِرِ فَرَغَتِ المَنَارَةُ بِجَامِعِ

---

(1) مجلة الهلال ج3 س 39 عدد يناير 931ــ 12 شعبان سنة 1349ص397 من مقال للأديب عبد الله حبيب. [لم أعثر على هذا الموضوع في نسخة المجلة المذكورة وقد استل منه. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور مؤنس قد ذكر في بحثه (المساجد، ص131): أن المسجد الأموي أنشئت صوامعه أيام معاوية بن أبي سفيان على أنقاض معبد روماني ثم حوّل الى كنيسة ثم هجرت، فحولها المسلمون الى جامع، وبعد سنوات جدد عبد الملك بن مروان منار الجامع وأعطاه صورته الحالية وجدد أيضاً مظلات المآذن سنة 96هـ ولا يزال بعضها باقياً الى يومنا هذا].

[2] أورد البلاذري أن زياد بن أبيه وهو عامل معاوية على العراق بنى لجامع البصرة (منارة حجرية) سنة 45هـ وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعاد بناءه بالحجر، ويذكر الدكتور حسين مؤنس تعليقاً على ذلك بقوله: ويلاحظ أن اسم المنارة هو الذي أطلق على المآذن أول ما ظهرت في العمارة الإسلامية، المساجد، ص129. ويظن الألفي أنه كان لهذا المسجد منارة نقلاً عن كريزويل في كتابه العمارة الإسلامية المبكرة، انظر الألفي ص143.

[3] تقع في المحلة المسماة بسوق الغزل، انظر الهامش الآتي.

(4) مباحث عراقية ليعقوب سركيس ص137 وفيه بحث مطول نفيس عن منارة سوق الغزل وجامع القصر. [يبدأ البحث عن الجامع من ص133ــ 147].

القَصْرِ وَأُذِّنَ فيْهَا)[1]. وَقَدْ نَسَبَهَا بَعْضُهَمْ إِلَى الرَّشيْدِ وَهِيَ نسبَةٌ غَيْرُ صَحيْحَة.

أَمَّا في المَوْصِلِ العَرَبِيَّة الإِسْلامِيَّة الّتي تَوَسَّعَ عُمْرَانُهَا مُنْذُ عَهْدِ الخُلَفَاءِ الرَّاشديْنَ فَأَقْـدَمُ مئْذَنَة عَرَفْتُهَا فيْهَا هِيَ مئْذَنَةُ (جَامعِ أَبِيْ حَاضرٍ) الّتي صَعدَ عَلَيْهَا السُّلْطَانُ نُوْرُ الدِّيْنِ زَنْكـيٍّ وَأَطَلَّ منْهَا عَلَى الأَرْضِ الّتي عَمَّرَ عَلَيهَا جَامعَهُ وَمئْذَنَتَهُ البَديْعَة، وَهُوَ الجَامعُ المَعْرُوْفُ اليَـوْمَ بـ(الجَامعِ النُّوْرِيِّ) أَوْ (الجَامعِ الكَبِيْرِ) وَذَلكَ فِيْ سَنَة 568هـ[2] وَلَمْ يُحَدِّثْنَا التَّاريْخُ عَـنْ مئْذَنَة شُيِّدَتْ في المَوْصلِ قَبْلَ هَاتَيْنِ المئْذَنَتَيْنِ، لأَنَّ المَآذنَ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوْفَةً في هَذه الأَقْطَارِ.

فَادِّعَاءُ المُؤَلِّف أَنَّ هَذه المئْذَنَةَ الحَاليَّةَ المَوْجُوْدَةَ الآنَ فِيْ جَامعِ المُصَفِّيِّ هِيَ منْ بَقَايَا الجَامعِ القَديْمِ أَي الهَرْثَميِّ الّذي تَعَمَّرَ في عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَحْتَاجُ إِلَى بَـرَاهيْنَ يَـسْتَحيْلُ أَوْ يَصْعُبُ عَلَيْه العُثُوْرُ عَلَيْهَا.

عَلَى أَنَّ هَذه المئْذَنَةَ مَخْرُوْطيَّةَ الشَّكْلِ وَالمَآذنُ الّتي أُنْشئَتْ في العَهْد الأُمَوِيِّ كَانَتْ عَلَى شَكْلِ أَبْرَاجٍ كَمَا مَرَّ بكَ بَيَانُهُ آنفاً، فَهِيَ إِذَنْ لذَلكَ عَبَّاسيَّةُ المَنْشَأ عَلَى أَقَلِّ تَقْديْرٍ. ثُمَّ هَـلْ يَعْتَقدُ المُؤَلِّفُ ـ وَهُوَ العَالمُ الآثَاريُّ ـ أَوْ يَسْتَطيْعُ أَنْ يُخْبِرَنَا أَنَّ مئْذَنَةً بُنِيَتْ مـنَ الجَـصِّ وَالحجَارَة فَقَط كَمَنَارَة جَامعِ المُصَفِّيّ هَذه اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُقَاوِمَ العَوَارضَ الطَّبِيْعيَّة مُنْذُ عَهْـد الرَّاشديْنَ حَتَّى الآنَ! فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ـ وَلَنْ يَسْتَطِيْعَ ـ فَلْيَذْكُرْ لَنَا إِذَنْ مئْذَنَةً وَاحدَةً وَلْتَكُنْ أُمَوِيَّةً ـ وَلَوْ كَانَتْ قَدْ بُنِيَتْ منْ أَقْوَى مَوَادِ البِنَاءِ ـ قَدْ قَاوَمَتْ هَذه العُـصُوْرَ الطَّوِيْلَـةَ، وَبَقِيَتْ خَالدَةً إِلَى هَذَا العَصْرِ.

إِذَا عَلِمْتَ هَذَا عَلمْتَ أَنَّ قَوْلَ المُؤَلِّف: [وَلَمَّا اسْتَوْلَى الأُمَوِيّوْنَ عَلَى المَوْصلِ وَسَّـعُوْهُ (يَعْني جَامعَ هَرْثَمَةَ) وَأَضَافُوا عَلَيْه بَعْضَ المَبَاني][3] لا يَسْتَنِدُ عَلَى مُبَرَّرٍ وَإِلاّ فَلْيَأْتنَا بِبُرْهَـانٍ

---

[1] ج10 ص65. القاهرة 1301هـ (المطبعة الأزهرية).

[2] كتب المؤلف سنة (5هـ) وترك مسافة لإكمالها ولم يتمها. وانظر إبن الأثير، الكامـل في التـاريخ ج11 ص163.

[3] ص9.

عَلَى مَا يُؤَيِّدُ قَوْلَهُ هَذَا. كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: [وَأَصْبَحَ يُسَمَّى بِالجَامِعِ الأُمَوِيِّ][1] لا يَسْتَطِيْعُ إِثْبَاتَهُ بِحُجَّةٍ تَارِيْخِيَّةٍ، ثُمَّ عَقَّبَ بِقَوْلِه: [وَيَتَّضِحُ أَنَّ قَصْرَ الأَمَارَةِ كَانَ بِجَانِبِ المَسْجِدِ الجَامِعِ وَيَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الرَّابِيَةِ المَعْرُوْفَةِ الآنَ بـ قليْعات][2].

أَقُوْلُ: أَمَّا كَوْنُ قَصْرِ الأَمَارَةِ هُوَ بِجَانِبِ المَسْجِدِ الجَامِعِ فَهُوَ صَرِيْحُ مَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ الأَثِيْرِ بِقَوْلِه: (إِنَّ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الَّذِي سَيَّرَهُ السَّفَّاحُ إِلَى المَوْصِلِ نَزَلَ قَصْرَ الأَمَارَةِ بِجَانِبِ المَسْجِدِ الجَامِعِ)[3] وَهَذَا مِمَّا لا كَلامَ لَنَا فِيْه. وَأَمَّا أَنَّ القَصْرَ كَانَ عَلَى الرَّابِيَةِ المَعْرُوفَةِ الآنَ بِقليْعات، فَهَذَا مِمَّا لا دَلِيْلَ لَهُ عَلَيْه، إِذَنْ مِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ أَنَّ المَسْجِدَ الجَامِعَ الهَرْثَمِيِّ كَانَ عَلَى هَذِهِ الرَّابِيَةِ (قليْعات)؟ لِيَغْلِبَ عَلَى ظَنِّه بِسَبَبِ ذَلِكَ أَنَّ القَصْرَ كَانَ بِجَانِبِه عَلَى تِلْكَ الرَّابِيَةِ.

وَإِنَّنَا نَسْتَطِيْعُ مِنْ ظَنِّه هَذَا أَنْ نَسْتَنْتِجَ أَنَّ كُلَّ مَا أَوْرَدَهُ فِي هَذَا البَابِ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِه، ذَلِكَ لأَنَّهُ لَمْ يَجْزِمْ بِأَنَّ القَصْرَ الوَاقِعَ بِجَانِبِ المَسْجِدِ الجَامِعِ كَانَ وَاقِعاً عَلَى الرَّابِيَةِ (قليْعات) وَإِنَّمَا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّه ذَلِكَ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ المَسْجِدَ الجَامِعَ لا يُعْرَفُ مَوقِعُهُ. وَمَتَى كَانَ مَوقِعُهُ مَجْهُولاً، فَإِنَّنَا لا نَسْتَطِيْعُ أَنْ نَقُوْلَ إِنَّهُ كَانَ وَاقِعاً عَلَى نَشْزٍ، وَعَلَيْه فَإِنَّ جَامِعَ هَرْثَمَةَ لا يُعْرَفُ مَوْقِعُهُ البَتَّةَ. وَكَذَلِكَ الجَامِعُ الأُمَوِيُّ لا يُمْكِنُنَا تَعْيِيْنُ مَوقِعِه، وَقَوْلُ الحَمَوِيِّ إِنَّهُ وَاقِعٌ عَلَى نَشْزٍ لا يَدُلُّ بِصَرَاحَةٍ عَلَى أَنَّهُ كَانَ وَاقِعاً عَلَى الرَّابِيَةِ (قليْعات) لأَنَّ النَّشْزَ الَّذِي عَلَيْه أُشِيْدَ الجَامِعُ لا نَعْرِفُهُ.

فَقَوْلُ المُؤَلِّفِ إِنَّ جَامِعَ المُصَفِّيّ هُوَ الجَامِعُ الأُمَوِيُّ، وَالجَامِعُ الأُمَوِيُّ هَذَا هُوَ المَسْجِدُ الجَامِعُ الَّذِي بَنَاهُ هَرْثَمَةَ لا يُمْكِنُ تَحْقِيْقُهُ.

---

[1] ص9.

[2] ص10.

[3] نقل المؤلف النصّ بتصرف، أنظر الكامل في التاريخ ج5 ص212 في حوادث سنة 132هـ.

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ المُؤَلِّفُ قَائلاً: [أَمَّا الأَتَابكيُّونَ[1] فَشَيَّدُوا قُصُوْرَهُمْ شِمَالَ البَلْدَةِ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَلا تَزَالُ بَقَايَا قَصْرِ بَدْرِ الدِّيْنِ لُؤْلُؤٍ شَاخصَةٌ للأَعْيُنِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا][2].

أَقُوْلُ: وَنَحْنُ مَا يَعْنِيْنَا مِنَ الأَتَابكيِّينَ وَمِنْ مَوْقِعِ قُصُوْرِهِمْ فِي هَذَا البَابِ؟ وَمَا الّذي دَعَاهُ إِلَى ذِكْرِهِمْ وَذِكْرِ قُصُوْرِهِمْ فيْهِ؟. الحَقُّ أَنَّ هَذه العبَارَةَ الأَتَابكيَّةَ ارْتبَاكيَّةٌ لَيْسَ لَهَا عَلاقَةٌ بالجَامعِ الّذي عَلَيْه مَدَارُ البَحْث البَتَّةَ، فَهَلاّ كَانَ عَدَمُ ذكْرِهَا هَا هُنَا أَجْدَرُ بِمُؤَلِّفنَا النِّحْرِيْرِ فِي التَّحْرِيْرِ وَالحَصِيْفِ فِي التَّأْلِيْفِ، ثُمَّ مَا هُوَ مُرَادُهُ بقَوْله فيْهَا عَنْ بَقَايَا قَصْرِ بَدْرِ الدِّين لُؤْلُؤٍ [لا تَزَالُ شَاخصَةً للأَعْيُنِ] وَلأَيِّ علَّةٍ بَلاغيَّةٍ عَدَلَ عَنْ نَحْوِ قَولِهِمْ (شَاخصَةً للْعَيَانِ) إِلَى قَوْلِهِ هَذَا الّذي هُوَ صَرِيْحٌ بِأَنَّ بَقَايَا القَصْرِ شَاخصَةٌ لأَعْيُنٍ قَلِيْلَةٍ لا كَثيْرَةٍ كَمَا هُوَ المَفْهُوْمُ منْ جَمْعه (العَيْنَ) جَمْعَ قِلَّةٍ لا جَمْعَ كَثْرَةٍ، وَالحَقُّ، أَنَّ هَذه البَقَايَا شَاخِصَةٌ للْعَيَانِ لا لأَعْيُنٍ قَلِيْلَةٍ، وَبَاديَةٌ ظَاهِرَةٌ لكُلِّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ: [أَمّا الجَامعُ المُصَفِّيُّ الحَالِيُّ فَهُوَ جُزْءٌ منَ الجَامعِ القَدِيْمِ بَعْدَ انْهِدَامه][3].

أَقُوْلُ: أَيُّ جَامعٍ قَديْمٍ يَعْنِيْه؟ وَكَمْ كَانَتْ سعَةُ هَذَا الجَامعِ إذَنْ إذَا كَانَ هَذَا الجَامعُ الوَاسِعُ الحَالِيُّ جُزْءً منْهُ؟ وَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ، لأَنَّنَا قُلْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ إِنَّ الجَامعَ القَدِيْمَ الهَرْثَمِيَّ مَوقعُهُ غَيْرُ مَعْلُوْمٍ.

وَقَالَ عَنْ جَامعِ المُصَفِّيِّ هَذَا: [ثُمَّ عُمِّرَ ثَانيَةً سَنَةَ 1225هـ منْ قِبَلِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى يُسَمَّى (الحَاجُّ مُحَمَّد مُصَفِّيّ الذَّهَبِ)][4].

---

[1] الأتابك: الذي يربي أولاد الملوك، فالأتا بالتركية هو الأب، وبكْ هو الأمير، فأتابك مركب من هذين المعنين. انظر هارون، عبد السلام، معجم مقيدات ابن خلكان ص14.

[2] ص10.

[3] ص10. [وينطقه أهل الموصل بتشديد الصاد والفاء].

[4] ص10.

أَقُوْلُ: الصَّوَابُ أَنْ يَقُوْلَ: (ثُمَّ جَدَّدَ عِمَارَتَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى يُسَمَّى الحَاجّ مُحَمَّد) لأَنَّ قَوْلَهُ (مِنْ قِبَلِ)[1] لا قِبَلَ لَهُ عَلَى تَوْجِيْهِ وَتَصْحِيْحِ إِيْرَادِهِ هَا هُنَا. ذَلِكَ لأَنَّ كَلَمَةَ (قِبَلَ) لَهَا مَعَانٍ ثَلاثَةٌ:

الأَوَّلُ: إِنَّهَا بِمَعْنَى (عِنْدَ)، تَقُوْلُ: إِنَّ لِي قِبَلَ فُلانٍ مَالاً أَيْ عِنْدَهُ. الثَّانِي: إِنَّهَا بِمَعْنَى (جِهَةً) تَقُوْلُ جَاءَنِي الخَيْرُ مِنْ قِبَلِهِ أَيْ مِنْ جِهَتِهِ. وَالثَّالِثُ: بِمَعْنَى الطَّاقَةِ وَالقُدْرَةِ، تَقُوْلُ: لا قِبَلَ لِي بِهِ أَيْ لا قُدْرَةَ وَلا طَاقَةَ لِي بِهِ، وَهَذِهِ المَعَانِي الثَّلاثَةُ غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي جُمْلَةِ المُؤَلِّفِ هَذِهِ.



جامع المصفّي سنة 2007

ثُمَّ قَالَ: [وَيُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ جُبَيْرٍ الَّذي كَانَ زَارَ المَوصِلَ سَنَةَ 580هـ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ سَاقِيَةً تَمُرُّ بِالجَامِعِ القَدِيْمِ (الأُمَوِيِّ) وَمِنْهُ تَذْهَبُ إِلَى الجَامِعِ الجَدِيْدِ وَتَنْتَهِي بِجَامِعِ الرَّبَضِ (جَامِعِ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ)][2].

[1] راجع المآذن في مصر حيث استخدم كلمة (من قِبَلِ) ولعله نقلها عن الأصل.

[2] ص11. [وهذا أيضاً قول القس سليمان الصائغ في تاريخه ج1 ص219 ويبدو أن الصوفي أخذها عنه وكلاهما لم يستدركا عزو النص الى مظانه].

أَقُوْلُ: لَيْسَ فِي كَلامِ ابْنِ جُبَيْرٍ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ ذَلِكَ البَتَّةَ، وَمَنْ عَرَفَ البُعْدَ الشَّاسِعَ بَيْنَ هَذِهِ الجَوَامِعِ الثَّلاثَةِ عَلِمَ أَنَّ مَا فَهِمَهُ المُؤَلِّفُ مِنْ كَلامِ ابْنِ جُبَيْرٍ لا يَكَادُ يُفْهَمُ لأَنَّه ضَرْبٌ مِنَ المُحَالِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ[1].

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ كَلامِهِ عَلَى سَاقِيَتِهِ الوَهْمِيَّةِ الخَيَالِيَّةِ هَذِهِ نَقَلَ عَنْ تَارِيْخِ المَوْصِلِ أَنَّ هَذَا الجَامِعَ: [كَانَ الأَتَابكيُّوْنَ قَدْ جَدَّدُوْا عِمَارَتَهُ][2].

أَقُوْلُ: كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ عِمَارَةَ الأَتَابكيِّينَ هَذِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ السَّابِقِ: [وَقَدْ جُدِّدَتْ عِمَارَةُ جَامِعِ المُصَفِّيّ فِي أَدْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ][1]. وَأَنْ يُقَدِّمَهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى عِمارَةِ إِلْيَاسَ بكْ وَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ المُصَفِّيّ اللّذَينِ ذَكَرَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا جَدَّدَا عِمَارَتَهُ لأَنَّ الأَتَابكِيِّيْنَ جَدَّدُوهُ قَبْلَهُمَا(2)[3].

---

[1] ودونك نص إبن جبير (540ــ614هــ) ص188: (وللمدينة جامعان احدهما جديد والآخر من عهد بني أمية، وفي صحن هذا الجامع قبة داخلها سارية رخام قائم قد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي أعلاها خصّة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنه قضيب من البلور معتدل ثم ينعكس الى أسفل القبة).

ويؤيد ذلك نص ابن بطوطة (703ــ779هــ) ص249: (وفي صحن الحديث منهما قبة في داخلها خصة رخام مثمنة، مرتفعة على سارية رخام، يخرج منه الماء بقوة وانزعاج، فيرتفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن).

أما قول آل فرج بأن مرور ساقية بالجامع الأموي حتى صحن جامع المجاهدي ضرب من المحال في ذلك العصر، فأقول إن الوالي الحر بن يوسف الأموي وفي حدود سنة 107هــ ولأكثر من أربع عشرة سنة حفر نهراً من نهر دجلة قرّبه الى المدينة خدمة لأهل الموصل، وعلى صعوبة ذلك ومرور فترة زمنية طويلة على التنفيذ فانه أمر واقع لم يحتج الأمر إلاّ إلى الحفر وإزالة المخلفات وتغيير المجرى وهذا بالإمكان وقد حدث فعلاً، ولكن يبقى الأمر محيراً في معرفة مصدر الماء المندفع بهذه القوة والإنزعاج من مصدر واطيء الى نشز عال اذا قلنا أنه آت من نهر دجلة، ولأن القبة والساقية المقصودة هي في الجامع الأتابكي. أنظر الأزدي في تاريخه عن نهر الحر في حوادث سنة 107ــــ121هــ. وكذا الامر مع قلعة نجم المطلة على نهر الفرات.

[2] ص11.

[1] ص10. وقد ذكر الباحث يوسف في تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور أن الأتابكيين جددوا عمارة المنارة والأقسام الأخرى من الجامع وأنه منارة الكوازين تشابه منارة الجامع النوري التي بنيت بعده بربع قرن، ص260.

ومن الجدير بالذكر أن الموصل كانت خراباً قبل أن يتولاها عماد الدين زنكي وكان الجامع الأموي ودار الإمارة والعرصات ترى من غير حائل من العمارات اذا وقف أحدهم قرب محلة الطبالين، انظر ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص180.

(2) وَهَذَا الجَامعُ الّذي سَمَّاهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخينَ (الجَامِعَ العَتيقَ) كَانَ قَدْ سَكَنَهُ الْمُفَسِّرُ الكَوَاشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِذْ قَدْ جَاءَ في النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ 7 ص348و 349 مَا نَصُّهُ: (وَفيهَا سَنَةَ 680هـ تُوُفِّيَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يُوْسَفَ المَعْرُوفُ بِالكَوَاشيِّ (نِسْبَةً إِلَى كَوَاشَةَ: قَلْعَةٌ بِالمَوْصِلِ) الإِمَامُ العَالِمُ الْمُفَسِّرُ صَاحِبُ التَّفْسيرِ الكَبيرِ والتَّفْسيْرِ الصَّغيْرِ وَهُمَا مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسيْرِ، وَكَانَتْ لَهُ اليَدُ الطُّوْلَى في القِرَاءَاتِ وَمُشَارَكَةٌ فيْ غَيْرِ ذَلكَ منَ العَلُوْمِ، وَكَانَ مُقيْماً بالجَامِعِ العَتيْقِ بالمَوْصِلِ، مُنْقَطعاً عَنِ النَّاسِ مُجْتَهِداً فيْ العِبَادَاتِ، لا يَقْبَلُ لأَحَد شَيْئاً، وَكَانَ يَزُوْرُهُ المَلِكُ وَمَنْ دُوْنَهُ، فَلا يُقيْمُ لَهُمْ وَزْناً وَلا يَقُوْمُ لَهُمْ وَلا يَعْبَأُ بِهِمْ، وَكَانَ لَهُ مُجَاهَدَاتٌ وَكُشُوْفٌ وَكَرَامَاتٌ، وَلإِهْلِ تلْكَ البِلادِ فيْه عَقيْدَةٌ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فيْ سَابِعَ عَشَرَ جَمَادَى الآخِرَةِ بالمَوْصِلِ وَدُفِنَ بهَا، وَقيْلَ فيْ سَابعِ رَجَب وَقيْلَ فيْ سَابعِ عَشَرَ رَجَب). أَقُوْلُ: وَفيْ جَامِعِ الحَاجِّ حُسَيْنِ بَاشَا الجَليْليِّ بِالمَوْصِلِ أَحَدُ هَذيْنِ التَّفْسيْرَينِ وَهُوَ الْمُسَمَّى (التَّبْصِرَةُ) في مُجَلَّدَينِ تَاريْخُ كتَابَته سَنَةَ 1107.

[3] ومن الجدير بالذكر أن الشاعر هبة الله بن محمد، أبو الكرم الموصلي المولود بها سنة 599هـ نظم أبياتاً فيما آلت إليه وضعية المسجد الجامع العتيق في زمنه بحدود سنة 620هـ وفي عصر الملك بدر الدين لؤلؤ كما نقله ابن الشعار في قلائده 153/9:

أَطْلالُ مَدْرسةِ الحُرِّ الأُمَوِيِّ[1]

فَتَحَ المُؤَلِّفُ لِهَذِهِ المَدْرَسَةِ المُبَارِكَةِ في كِتَابِهِ الثَّمِيْنِ هَذَا بَاباً وَاسِعاً أَدْخَلَ فِيْهِ كُلَّ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عَلاقَةٌ. إِنَّهُ حَشَرَ فِيْهِ تَرْجَمَةً مُطَوَّلَةً لِلْحُرِّ بْنِ يُوسُفَ الأُمَوِيِّ الّذي زَعَمَ أَنَّهُ مُؤَسِّسُ هَذِهِ المَدْرَسَةِ الّتِي فَتَحَ لِقُرَّائِهِ بَابَهَا عَلَى مِصْرَاعَيهِ، فَلَمَّا دَخَلُوْهُ بَاحِثِيْنَ عَنِ الأَدِلَّةِ وَالنُّصُوْصِ التَّارِيْخِيَّةِ الّتِي كَانُوا يُؤَمِّلُوْنَ أَنْ يَجِدُوْهَا فِيْهِ وَاضِحَةً في تَأْيِيْدِ نِسْبَةِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ المَزْعُوْمَةِ إِلَى الحُرِّ بْنِ يُوسُفَ المَذْكُوْرِ لَمْ يَجِدُوْا مِنْهَا شَيْئاً مَذْكُوْراً يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ، بَلْ كُلُّ مَا وَجَدُوْهُ فِيْهِ بَعْدَ التَّحَرِّي وَالتَّنْقِيْبِ هُوَ جُمَلٌ مُتَنَافِرَةٌ رَكِيْكَةٌ تُشْغِلُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ هَذَا البَابِ الوَاسِعِ وَلَكِنَّهَا لا تَمُتُّ إِلَيْهِ بِصِلَةِ البَتَّةَ.

أَمَّا مَا يَخُصُّ المَدْرَسَةَ فَلَمْ يَجِدُوْا فِيْهِ إِلاّ نَصّاً وَاحِداً وَلَكِنَّهُ غَيْرَ أَوَّلِيٍّ نَقَلَهُ المُؤَلِّفُ عَنِ الأَمِيْرِ عَلِيٍّ الهِنْدِيِّ[2] قَدْ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ نَصَّيْنِ اثْنَيْنِ نَقَلَهُمَا عَنْ كَامِلِ ابْنِ الأَثِيْرِ لَمْ يُشِيْرَا وَلَوْ

شَكَا جَامِعُ الحَدْبَا العَتِيقُ لِرَبِّهِ ... وَقَالَ إِلَهِيْ مَنْ بِثَأْرِيَ آخِذُ

وَمَنْ لِيْ مُجِيرٌ مِنْ يَدَيْ شَرِّ مَعْشَرٍ ... بُلِيْتُ بِهِمْ دَهْرِيْ وَمَنْ لِيَ نَاقِذُ

أُنَاسٌ هُمُ شِيْعَةُ الشَّيَاطِينِ حيثُ مَا ... اسْتَقَلُّوا وَإِنِّيْ مِنْهُمُ بِكَ عَائِذُ

إِذَا حَلَّ هَذَا فَهْوَ بِالدُّهْنِ عَابِثٌ ... وَإِنْ حَلَّ هَذَا كَانَ لِلْحُصْرِ جَابِذُ

وَكُلٌّ يَقُولُ المُلْكُ مَا فِيْهِ أُجْرَةٌ ... خَرَابٌ وَمَابِيْ مِنْ أُوْلِي الأَمْرِ لائِذُ

وَمَا فِيْهِمُ إِلاّ لِحَقِّكَ جَاحِدٌ ... وَمَا مِنْهُمُ إِلاّ لإِمْرِكَ نَابِذُ

وَفِيْ زَمَنِ المَلْكِ الرَّحِيْمِ وَعَدْلِهِ ... أَيَجْمُلُ أَنْ أَعْرَى وَتُكْسيْ الجَهَابِذُ

[1] ص12.

[2] أمير علي بن سعادت علي الهندي (1265ــ1347هـ)(1849ــ1928م): ولد في الهند من أسرة عربية تنتمي الى البيت النبوي الشريف، تعلم في كلكتا ولندن، كل إصداراته باللغة الإنجليزية، الزركلي، الأعلام م2 ص13.

مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ إِلَى هَذه المَدْرَسَةِ المَزْعُوْمَة. كَانَ الأَجْدَرُ بِه أَنْ يَجْمَعَهُمَا فِي الذِّكْرِ لا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا بِالنَّصِّ المَذْكُوْرِ الّذي نَقَلَهُ عَنِ الأَمِيْرِ عَلِيٍّ لأَنَّهُمَا كِلَيْهِمَا وَارِدَانِ فِي حَفْرِ النَّهْرِ وَبِنَاءِ المَنْقُوْشَةِ، وَلَيْسَ لَهُمَا صِلَةٌ وَلا عَلاقَةٌ بِالمَدْرَسَة.

وَهَذَا النَّصُّ الّذي أَوْرَدَهُ المُؤَلِّفُ عَنِ الأَمِيْرِ عَلِيٍّ وَإِنْ كَانَ مُعْظَمُهُ هُوَ أَيْضاً فِي إِثْبَاتِ بِنَاءِ المَنْقُوْشَةِ وَحَفْرِ النَّهْرِ إِلاّ أَنَّهُ فِي أَوَّلِه كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَمَسَّكَ بِهَا المُؤَلِّفُ المُحَقِّقُ كَنَصٍّ قَاطِعٍ أَوَّلِيٍّ فِي إِثْبَاتِ مُدَّعَاهُ فِي نِسْبَةِ هَذه المَدْرَسَةِ الخَيَالِيَّةِ إِلَى الحُرِّ الأُمَوِيِّ المَذْكُوْر.

أَمَّا المَدَارِسُ بِمَعْنَاهَا الحَالِيّ، فَالحَقُّ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَعْرُوْفَةً فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ خَاصَّةً فِي أَوَائِله وَهُوَ العَصْرُ الّذي كَانَ الحُرُّ مُنْتَسِباً إِلَيْه، وَإِنَّمَا كَانَت الدِّرَاسَةُ مَوْجُودَةً فِي المَسَاجِد وَالجَوَامِعِ وَالكَتَاتِيْبِ كَمَا هِيَ مَعْرُوْفَةٌ حَتَّى الآنَ فِي كَثِيْرٍ مِنَ المَسَاجِدِ الإِسْلامِيَّةِ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَقْطَارِ المُسْلِمَة.

وَقَدْ تَحَرَّيْنَا كَثِيْراً مِنَ الكُتُبِ التَّارِيْخِيَّةِ الّتي تَبْحَثُ عَنِ المَدَارِسِ وَتَارِيْخِهَا فَلَمْ نَجِدْ فِيْهَا مُؤَرِّخاً وَاحِداً يَذْكُرُ فِيْهَا أَنَّ المَدَارِسَ بِمَعْنَاهَا الحَالِيِّ وَبِالمَعْنَى المُصْطَلَحِ عَلَيْه الآنَ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي العَهْدِ الأُمَوِيِّ، وَقَدْ رَأَيْنَا المُحَقِّقَ جُرْجِيَّ زَيْدَانَ فِي كِتَابِه تَارِيْخُ التَّمَدُّنِ الإِسْلامِيِّ يَقُوْلُ[1]: إِنَّ الأَمِيْرَ السَّيِّدَ عَلَيٍّ هَذَا نَقَلَ كَلامَهُ عَنِ الفِرَنْجَةَ الّذينَ يُطْلقُونَ إِسْمَ (مَدْرَسَة) عَلَى كُلِّ مَحَلِّ دِرَاسَةٍ سَوَاءٌ كَانَ جَامِعاً أَوْ مَعْهَداً أَوْ غَيرَ ذَلِكَ، وَعَلَيْه فَإِنَّ أَغْلَبَ المَسَاجِدِ

---

[1] ج3 ص197، والأمير علي صاحب كتاب (تاريخ الاسلام في الانكليزية) وفي طبعة أخرى من كتاب سيد أمير هو صاحب كتاب (روح الاسلام). ذكره الصوفي في كتابه بالطبعة الاولى ص19 وأنه بعنوان: (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي) ومن تعريب رياض رأفت، كما أن آل فرج قد ذكر النص المحصور بين معقوفين بتصرف دل معناه على أن (الافرنج) ربما يعنون مدارس المساجد.

أما النسخة التي بين يدي فهي: (مختصر تاريخ العرب) ومن تعريب عفيف البعلبكي وأنه هو: سيد أمير علي. حيث ذكر في ص158 عن الموصل أسطراً يسيرة بقوله: (...فقد ابتنى الحرّ الذي حكم مدينة الموصل إحدى عشرة سنة في عهد هشام، كلية ونزلاً، كما ابتنى لإقامته الخاصة قصراً بالغ الجمال يدعى بالمنقوشة...).

الإِسْلامِيَّة فِي ذَلِكَ العَصْرِ إِلَى عَصْرٍ قَرِيْبٍ مِنْ عَصْرِنَا هَذَا كَانَتْ أَكْثَرُهَا مَـدَارِسَ بِـالمَعْنَى اللُّغَوِيِّ أَيْ مَحَلَّ دِرَاسَة وَاسْتِفَادَة.

وَعَلَيْه فَإِطْلاقُ إِسْمِ (مَدْرَسَةً) عَلَى هَذَا المَسْجِد بِخُصُوْصه لَيْسَ لَهُ مُبرِّرٌ، بَلْ إِنَّ ذَلِـكَ تَخْصِيْصٌ بِلا مُخَصِّصٍ، فَلَوْ عَنْوَنَ المُؤَلِّفُ بَحْثَهُ هَذَا بِـ (أَطْلالُ مَسْجِد أُمَوِيِّ) لَكَانَ أَوْلَـى مِنْ أَنْ يُعَنْونَهُ بِـ (أَطْلالُ مَدْرَسَة الحُرِّ الأُمَوِيِّ)، هَذَا إِن اسْتَطَاعَ أَنْ يُثْبِـتَ لَنَـا أَنَّ هَـذَا المَسْجِدَ هُوَ أُمَوِيُّ التَّأْسِيسِ وَالبِنَاءِ فَضْلاً عَنْ كَوْنه أُمَوِيّاً مِنْ إِنْشَاءِ وَبِنَاءِ الحُرِّ بْـنِ يُوْسُـفَ الأُمَوِيِّ، وَأَعْتَقِدُ جَازِماً أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيْعَ إِثْبَاتَ ذَلِكَ أَبَداً، إِذْ كُلُّ مَا أَوْرَدَهُ لإِثْبَاتِ أُمَوِيَّةِ هَذَا المَسْجِد الّذي سَمَّاهُ (مَدْرَسَةً) هُوَ:

أَوَّلاً: النَّصُّ الّذي أَوْرَدَهُ عَنِ الأَمِيْرِ عَلِيٍّ، وَهُوَ: [إِنَّ الحُرَّ بَنَىْ مَدْرَسَةً فِي المَوْصِلِ][1].

ثَانِياً: وُجُوْدُ أَلْوَاحٍ فِي المَسْجِدِ يَدَّعِيْ المُؤَلِّفُ أَنَّ طَرْزَ نُقُوْشِهَا وَزُخْرُفِهَا أُمَوِيٌّ[2].

ثَالِثاً: كَوْنُ هَذَا المَسْجِد مَقْصُوْرَ التَّوْلِيَةِ عَلَىْ آلِ الرَّحْمَانِيِّ الأُمَوِيِّيْنَ[3] وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ فِيْهِ مَا يُؤَيِّدُ مُدَّعَاهُ، ذَلِكَ لِلأَسْبَابِ التَّالِيَةِ:

---

[1] لم يذكر الصوفي عزو النص الى الأمير عليّ في الطبعة الثانية من كتابه وإنما ذكـره في الطبعـة الأولى ص19 على النحو الآتي: (ويقال إن الحرّ الذي حكم الموصل إحدى عشر سنة في عهد هشام أسـس فيها مدرسة وقصراً منيف الذرى، أبدى الفنانون في بنائه مهارة وإبداعاً ...).

[2] ص14ذكرها آل فرج بتصرف.

[3] من الأخطاء الشائعة في نسب هذه العائلة الكريمة والتي كان لها أثر في الحياة الثقافية في الموصـل في القرن الثالث عشر الهجري أنها أموية الانتساب وقد ذكرها بذلك كل من أحمد الـصوفي وسـعيد الديوه جي ونقل عنهما العديد من الباحثين، وهذا الرأي بلا دليل. أما وقد نقلنا نسب هذه العائلة في كتابنا الموسوم [المكتبات العامة الموصلية]، وعائلة الرّحماني نسبة الى الحاج محمد الرحماني الفـاطمي العلوي الاسماعيلي عن أبيه الحاج مصطفى عن أبيه الحاج عبد الرحمن الرحماني ساكن الموصل وعرفوا به، كما عرفت عائلة أخرى وهي فرع عنهم أي (الرحماني) عرفوا باسم (آل الحكيم) نسبة الى محمود افندي الحكيم (الطبيب) بن عبد الرزاق الرحماني بن محمد الرحماني صاحب النسب، والحكيم هذا قد درّس في مدرسة العادلية التي أنشأها عادلة خاتون سنة 1246هـ كما ورد في وثيقة بحوزة الـسيد

أَوَّلاً: إنَّ الأَمِيْرَ عَلِيّاً لَمْ يُعيِّنْ مَوْقِعَ هَذِهِ المَدْرَسَةِ فَهِيَ لِذَلِكَ ـــ إنَ صَـــحَّ وُجُوْدُهَـــا ـــ مَوْقِعُهَا مَجْهُوْلٌ وَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَقُوْلَ إِنَّهَا هِيَ هَذَا المَسْجِدُ بِعَيْنِه، كَمَـــا إنَّ كَلامَهُ عَنْهَا لَيْسَ لَهُ قِيْمَةٌ عِلْمِيَّةٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْهُ لَنَا عَنْ مَصْدَرٍ تَارِيْخِيٍّ يُعْتَدُّ بِه.

ثَانِياً: إِنَّ طَرْزَ النُّقُوْشِ الأُمَوِيَّة غَيْرُ مَعْرُوْفٍ عِنْدَنَا فِي المَوْصِلِ[1] وَالمُؤَلِّـــفُ لَـــمْ يَكُـــنْ عَالِماً(2) أَثَرِيّاً مُخْتَصّاً بِعِلْمِ الآثَارِ لِيَكُوْنَ كَلامُهُ فِيْهَا حُجَّةً، فَادِّعَاؤُهُ أَنَّ نُقُوْشَ هَـــذَا المَسْجِد أُمَوِيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَا يُؤَيِّدُهُ وَيُثْبِتُهُ.

ثَالِثاً: كَوْنُ المُتَوَلِّيْنَ عَلَيْهِ وَهُمْ آلُ الرَّحْمَانِيِّ هُمْ مِنْ بَنِيْ أُمَيَّةَ لَيْسَ بِدَلِيْلٍ عَلَـــى أَنَّ هَـــذَا المَسْجِدَ بُنِيَ فِي أَيّامِ بَنِيْ أُمَيَّةَ.

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ كَلامِه الطَّوِيْلِ العَرِيْضِ عَنِ المَنْقُوْشَة وَعَنْ نَهْرِ الحُرِّ اللَّذَيْنِ لَيْسَ لَهُمَا أَيَّةُ عَلاقَة بِمَدْرَسَتِه الَّتِيْ يَبْحَثُ عَنْهَا شَرَعَ فِي بَيَانِ مَوْقِعِهِمَا فَبَيَّنَ مَجْرَىْ هَذَا النَّهْـــرِ وَقَـــالَ: [إِنَّهُ كَانَ يَجْرِيْ مِنْ وَرَاءِ دَيْرِ مَارْمِيْخَائِيْلَ حَتَّى يَصِلَ البَنْجَةَ ثُمَّ يَدْخُلُ المَوْصِلَ][3].

أَقُوْلُ: إِنَّ هَذَا الكَلامَ بِعَيْنِه مَنْقُوْلٌ عَنْ تَارِيْخِ المَوْصِلِ ج1 ص65 وَلَكِنَّهُ لمْ يَعْزُهُ إِلَيْه كَمَا هُوَ دَيْدَنُهُ فِي كَثِيْرٍ مِمَّا يَنْقُلُهُ. ثُمَّ طَفِقَ بَعْدَ ذَلِكَ يُرِيْـــدُ تَعْيِـــيْنَ مَوْقِـــعِ (المَنْقُوْشَـــة) فَـــأَتَى بِالتَّحْقِيْقَاتِ الدَّقِيْقَةِ فِي تَعْيِيْنِ مَوْقِعِهَا حَيْثُ قَالَ: [وَفِي المَوْصِلِ مِنَ العُلَمَاءِ مَـــنْ يَـــدَّعِيْ أَنَّ المَنْقُوْشَةَ كَانَتْ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي عَلَيْهَا دَارُ جِرْجِيْسَ عَبْدِ النُّوْرِ الحَالِيَّةِ][4].

عدنان عبد الله عبد الرزاق الرحماني ولكن عند زيارتي لأطلال مدرسة الحجيات وجدت على شـــاهد قبريهما لوحتان الاولى عتيقة تبين وفاة والد الحجيتين عبد الفتاح باشا الجليلي، والثانية حديثة تؤرخ وفاهما اثنتيهما سنة 1231هـــ وهذا خلاف ما جاء بالوثيقة المذكورة.

[1] لم يكن الطراز أموياً وإنما أتابكي كما سيتبين لنا.

(2) قَالَ العلاّمة اسكندر معروف يُقال للعالِم بالأثار (أثريّ)، وقال الدكتور مصفى جواد: الأثري نـــسبة الى الأثر وهو الحديث النبوي، والعالم بالآثار يقال له (آثاري) أو (اثّار) كعطّار حتى لا يلتبس بالعالم بالأثر أي الحديث النبوي.

[3] ص13 نقل المؤلف النصّ بتصرف لم يضر بفحواه.

[4] ص13.

أَقُوْلُ: إِنَّنِي أَتَحَدَّىْ الْمُؤَلِّفَ الْمُحَقِّقَ أَنْ يَذْكُرَ لَنَا عَالِماً وَاحِداً مِنْ هَؤُلاءِ العُلَمَاءِ الّــذِيْنَ يَزْعُمُ أَنَّهُمْ يَدَّعُوْنَ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ــ وَلَنْ يَسْتَطِيْعَ ــ ذَلِكَ، فَقَوْلُهُ هَــذَا إِذَنْ غَيْــرُ مُسْتَنِدٍ عَلَى مَا يُؤَيِّدُهُ، وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَعُدَّهُ كَلاماً غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ أَلْقَاهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ.



محراب مسجد قاسم أغا الشهير

بمسجد الرحماني الموجود في مديرية

آثار نينوى (وثائق عدنان الرحماني)

وَقَالَ: عَنْ مَوْقِعِ الْمَنْقُوْشَةِ الْمَذْكُوْرَةِ: [وَالْمَوْقِعُ الْمَذْكُوْرُ هُوَ نَشْزٌ فِي شَرْقِ جَنُوبِيِّ سُــوْقِ الشَّعَّارِيْنَ الَّتِي حَافَظَتْ عَلَى اسْمِهَا حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا][1].

أَقُوْلُ: لَمْ يَتَقَدَّمْ ذِكْرٌ لأَيِّ مَوْقِعٍ كَانَ فِي كَلامِهِ السَّابِقِ عَنِ الْمَنْقُوْشَــةِ لِيَقُــوْلَ عَنْــهُ: [وَالْمَوْقِعُ الْمَذْكُوْرُ هُوَ نَشْزٌ] وَهُوَ بِلا رَيْبٍ يُرِيْدُ مَوْقِعَ الْمَنْقُوْشَةِ، فَكَانَ الأَوْلَــى أَنْ يَقُــوْلَ: [وَمَوْقِعُ الْمَنْقُوْشَةِ هُوَ نَشْزٌ ...]، وَدَعْوَى أَنَّ سُوْقَ الشَّعَّارِيْنَ الَّتِي بِجَانِبِ الْمَنْقُوْشَةِ هِيَ عَيْنُهَا الَّتِي كَانَتْ أَيَّامَ الأُمَوِيِّينَ، وَقَدْ حَافَظَتْ عَلَى اسْمِهَا حَتَّى الآنَ كَمَا يَزْعُمُهُ الْمُؤَلِّفُ دَعْــوَى لا دَلِيْلَ لَهُ عَلَيْهَا، أَلا تَرَى أَنَّ (الْمَيْدَان) الحَالِيَّ وَسُوْقَهُ الْمَعْرُوْفَةَ اليَوْمَ هُوَ غَيْرُ الْمَيْدَانِ الَّذِي كَانَ

---

[1] ص14.

مَعْرُوْفاً في العَهْدِ العَبَّاسِيِّ؟ إِذْ مَيْدَانُ اليَوْمِ شَرْقَ مَدِيْنَة المَوْصِلِ وَفِيْهِ سُوْقٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ يُقَـــالُ لَهَا: (سُوْقُ المَيْدَان). وَالمَيْدَانُ العَبَّاسِيُّ كَانَ غَرْبَهَا[1] ثُمَّ إِنَّ فِي جُمْلَتِه هَـــذِه مِـــنْ تَكْرِيْـــرِ الإِضَافَاتِ مَا بَلَغَ بِهَا حَدَّ الإِعْجَازِ فِي البَلاغَة، فَللَّهِ دَرُّهُ مَا أَفَصَحَهُ ثُمَّ مَا أَبْلَغَهُ.

ثُمَّ قَالَ: [وَّأَمَّا سُوْقَا القَتَّابِيْنَ وَالأَرْبعَاء فَلَيْسَتَا مَعْرُوْفَتَيْنِ الآنَ][2].

أَقُوْلُ: التَّعْبِيْرُ الصَّحِيْحُ هُوَ أَنْ يَقُوْلَ: [وَأَمَّا سُوْقُ القَتَّابِيْنَ وَالأَرْبِعَاء...]، وَلَعَلَّهُ عَـــدَلَ عَنْ ذَلِكَ لأَمْرٍ بَلاغِيٍّ اقْتَضَتْهُ الحَالُ لا نُحِيْطُ بِهِ عِلْماً، إِذْ أَنَّهُ مِنْ أَئِمَّةِ الكَلامِ، وَكُبَّارِ حَمَلَـــةِ الأَقْلامِ.

ثُمَّ قَالَ: عَنِ السُّوْقَيْنِ المَذْكُوْرَتَيْنِ [وَلا بُدَّ أَنَّهُمَا إِسْمَان قَدِيْمَان للأَسْوَاقِ المُجَاوِرَة][3].

أَقُوْلُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ: هُمَا اسْمَان لِسُوْقَين مُجَاوِرَتَيْنِ لِلْمَنْقُوْشَة فَخَانَهُ التَّعْبِيْرُ وَإِلاّ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُوْضَعَ اسْمَان لِعِدَّة أَسْوَاقٍ كَمَا يَقُوْلُ؟ ثُمَّ إِنَّهُ سَاقَ قَوْلاً لِلدُّكْتُوْر دَاوُد الجَلَبِيِّ[4] عَنْ مَقْبَرَة قُرَيْشٍ المُلاصِقَة لِجَامِعِ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ لا عَلاقَةَ لَهُ بِالمَنْقُوْشَـــةِ وَلا بِنَهْـــرِ الحُرِّ وَلا بِمَدْرَسَتِهِ الوَهْمِيَّةِ الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا.

---

[1] الميدان السابق هو في منطقة باب سنجار الذي يضم مقبرة المعافى بن عمران وغيره.

[2] ص14. ومن الجدير بالذكر أن الصوفي استدرك كلامه في جزازة مذيلة بتوقيعه في نسخة كتابه الـــتي أهداها الى المرحوم عبد الله الملاح يقول فيها: [وقد اتضح لي أخيراً بعد التحري والتنقيب أن ســـوق القتابين هو سوق النجارين الحالية الواقعة بالقرب من سوق الميدان. أما سوق الاربعاء الوارد ذكـــره في التاريخ فهو سوق الموصل الحالية، ومن أراد المزيد فليراجع كتابنا خطط الموصـــل الجـــزء الاول صحيفة 30و 31و 32 المؤلف).

[3] ص14.

[4] مخطوطات الموصل ص204 بقوله: (وقد بان لي من مطالعة الكتب أن المقبرة المتصلة بالجامع خارجـــاً هي مقبرة قريش التي يرد لها ذكر في كتب التاريخ ولم يكن يخترقها الطريق في جنوبيهـــا ويـــشطرها شطرين كما هي الآن بل كانت قد استحالت زمناً ما الى بستان دعيت ببستان باقي وكان الطريـــق من المحل الذي هو مصلى الشوافع الآن..).

ثُمَّ شَرَعَ بِالاسْتِدْلالِ عَلَى إِثْبَات دَعْوَاهُ أَنَّ المَدْرَسَةَ هِيَ مَدْرَسَةُ الحُرِّ الأُمَوِيِّ فَقَالَ: [وَمِنَ الْمُسْتَنَدَات التَّارِيخِيَّة الّتي تُؤَيِّدُ بِأَنَّ هَذَا المَسْجِدَ هُوَ مِنْ بَقَايَا مَدْرَسَةِ الحُرِّ الأُمَوِيِّ الّتي شَيَّدَهَا قُرْبَ المَنْقُوْشَةِ][1].

أَقُوْلُ: أَتَى بِمِنْ التَّبْعِيْضِيَّةِ لِيُوهِمَ أَنَّ الْمُسْتَنَدَاتِ التَّارِيْخِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى دَعْوَاهُ كَثِيْرَةٌ، مَعَ أَنَّهُ لا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِيْرَاد مُسْتَنَد تَارِيْخِيٍّ وَاحِد لِذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: [انَّ هَذَا المَسْجِدَ هُوَ مِنْ بَقَايَا مَدْرَسَةِ الحُرِّ] يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ المَدْرَسَةَ كَانَتْ كَبِيْرَةً وَاسِعَةً جِدّاً ذَاتَ بِنَايَة فَخْمَة ضَخْمَة، وَهَذَا المَسْجِدُ الحَاضِرُ المَوْجُوْدُ الآنَ هُوَ مِنْ بَقَايَاهَا، وَهُوَ مِمَّا لا يَسْتَطِيْعُ إِثْبَاتَهُ، ثُمَّ إِنَّ المَدَارِسَ عَلَى فَرْضِ وُجُوْدِهَا فِي العَهْدِ الأُمَوِيِّ لا بُدَّ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ وَاسِعَةً كَبِيْرَةً بِهَذَا الشَّكْلِ الكَبِيْرِ الّذي وَصَفَهُ الْمُؤَلِّفُ لأَنَّهَا قَد اتَّسَعَ عُمْرَانُهَا فِي بَغْدَادَ أَيَّامَ نِظَامِ الْمُلْكِ وَزِيْرِ السَّلاجِقَة الّذي بَنَى المَدَارِسَ الوَاسِعَةَ فِي الأَقْطَارِ الإِسْلامِيَّة عَامَّةً وَفِي بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ خَاصَّةً وَفِي عَهْدِ القَائِد جَوْهَرٍ الصِّقِلِّيِّ الّذي بَنَى الأَزْهَرَ الأَنْوَرَ فِي القَاهِرَة المُعَزِّيَّة فِي مِصْرَ أَيْضاً، أَمَّا فِي العَهْدِ الأُمَوِيِّ فَلَمْ يَعْرِف التَّارِيْخُ مَدْرَسَةً كَبِيْرَةً أَخْنَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ، لَهَا بَقَايَا، كَهَذِه المَدْرَسَةِ الّتي يَزْعُمُ الْمُؤَلِّفُ أَنَّ مِنْهَا هَذَا المَسْجِدَ الحَاضِرَ الآنَ لأَنَّ المَدَارِسَ فِي هَذَا العَهْدِ ــ إِنْ وُجِدَتْ ــ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَدَارِسَ صَغِيْرَةً، لأَنَّهَا فِي بَدْءِ التَّكْوِيْنِ وَالإِيْجَاد.

ثُمَّ إِنَّهُ عَدَّى الفِعْلَ (تُؤَيِّدُ) فِي قَوْلِهِ [الّتي تُؤَيِّدُ بِأَنَّ هَذَا المَسْجِدَ] بِالبَاءِ وَهُوَ مُتَعَدٍّ بِنَفْسِه.

ثُمَّ قَالَ: [وَيَتَّضِحُ ...أَنَّ بِنَايَةَ الْمُصَلَّى جُدِّدَتْ عِمَارَتُهَا مِنْ قِبَلِ الشَّيْخِ قَاسِمِ الرَّحْمَانِيِّ سَنَةَ 742هــ][2].

---

[1] ص14.

[2] ص14 وقد ربط المؤلف كلمة (ويتضح) بـــ (أن بناية) مباشرة في حين أسقط عبارات لم تؤثر على نص ما أورده الصوفي، وعليه وضعتُ بين الكلمتين الواردتين نقاطاً ثلاث.

أَقُوْلُ: الأَوْلَى حَذْفُ قَوْلِه (مِنْ قِبَلِ) مِنْ جُمْلَته هَذِه، وَأَنْ يَقُوْلَ مَثلاً: (جَدَّدَ عِمَارَتَهَا الشَّيْخُ قَاسِمُ) إِذْ لا مَعْنَى لِلْقِبَلِ هُنَا كَمَا ذَكَرْنَا ذَلكَ وَبَيَّنَّا أَسْبَابَهُ آنفاً. وَادِّعَاؤُهُ أَنَّ هَذَا الجَامِعَ جَدَّدَ عِمَارَتَهُ الشَّيْخُ قَاسِمُ المَذْكُوْرُ لَمْ تُؤَيِّدْهُ الكِتَابَةُ المَوْجُوْدَةُ عَلَى اللَّوْحَة، وَنَصُّهَا: (تَطَوَّعَ بِعِمَارَةِ هَذَا المَسْجِدِ المُبَارَكَ.. الخ) وَهِيَ صَرِيْحَةٌ بِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ عَمَّرَ هَذَا المَسْجِدَ وَأَنْشَأَهُ لا أَنَّهُ تَطَوَّعَ بِتَجْدِيْدِ عِمَارَته بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَ. وَإِلاّ لَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَةِ المَرْمَرِيَّةِ المَذْكُوْرَةِ (تَطَوَّعَ بِتَجْدِيْدِ عِمَارَةِ هَذَا المَسْجِدِ المُبَارك).

وَعَلَيْه فَإِنَّ هَذَا المَسْجِدَ الشَّرِيفَ قَدْ أُنْشِيءَ بَعْدَ العَبَّاسِيِّينَ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ القَانِيةِ أَوِ الجَلائِرِيَّة فِي أَيَّامِ الشَّيْخِ حَسَنِ الجَلائِرِيِّ المُتَوَفَّى سَنَةَ 757هـ 1356م لا فِي أَيَّامِ الأُمَوِيِّينَ كَمَا يَزْعُمُهُ المُؤَلِّفُ المُحقِّقُ[1].

[1] ولعل أول من كتب عن هذا المسجد هو نيقولا سيوفي في كتابه الموسوم: (مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل) عندما عمل فيه على جمع معلوماته للفترة المحصورة بين سنة 1878م ـ 1893م وهي فترة خدمته في القنصلية الفرنسية بالموصل حيث ذكر في الصفحة 57 ما نصه: (... هذا ما تطوع بعمارة هذا المسجد المبارك الشريف قاسم أغا في سنة اثنتين وستين وسبعمائة). مع العلم أن الصوفي قد حدد سنة البناء في سنة 742هـ (رقماً وكتابة) في ص14 وص15 من كتابه، وفي هذا النص خطأ من جهتين، مرة من جهة المؤلف وأخرى من جهة الناشر، وبسببها غلط آل فرج وحدد زمن إنشاء الجامع في أيام حسن الجلائري ولم يوفق في تقديره، فهو أتابكي العصر ويمكن مناقشة الأمر كما يأتي:

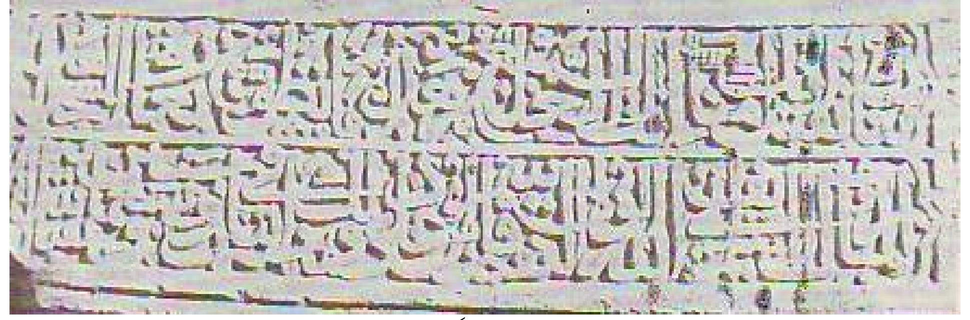
1. إن المسجد عرف باسم مسجد الرحماني ولا عكس، لأن التجديد كان من نصيب الملا مصطفى الشهير بالهواراتي وكان أميناً لمكتبة المدرسة الأمينية وهو ابن الشيخ عبد الرحمن الملقب بالرحماني الذي جدده سنة 1183هـ كما ذكر الديوه جي في ص198 في ملحق مجموع الكتابات لسيوفي، وتوفي سنة 1214هـ وقد ذكر لي أنه دفن في مسجده بجانب قبر قريء على شاهده اسم قاسم فقط . أنظر العمري، ياسين، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ص327؛ سيوفي، مجموع الكتابات ص56 هامش 3؛ آل فرج، قصي حسين، المكتبات العامة الموصلية ص18. وشغل مكان المسجد الآن محل تجارة.

جَامِعُ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ[1]

يَدَّعي المُؤَلِّفُ أَنَّ الأَرْضَ الّتي شُيِّدَ عَلَيهَا الجَامِعُ الأَنْوَرُ الجِرْجِيْسِيُّ كَانَتْ مَقْبَرَةَ قُـريْشٍ الّتِيْ تَرَدَّدَ ذِكْرُهَا في كُتُبِ التَّاريخِ مُسْتَدِلاً عَلَىْ ذَلِكَ بِقَوْلَيْنِ اثْنَيْنِ نَقَلَهُمَا عَنْ مَخْطُوْطَـاتِ المَوْصِلِ لِلدُّكْتُوْرِ دَاوُدِ الجَلَبِيِّ[2] وَعَنْ تَارِيْخِ المَوْصِلِ لِلقَسِّ سُلَيْمَانَ صَـائِغٍ، مَـعَ أَنَّ كِـلا

---

2. إن قراءة سنة التعمير كتبت بشكل مغلوط فيها حيث نشرت السنة هكذا: (اثنتين وستين وسـبعمائة 762، والـصحيح هـو سـنة (اثنـتين وسـتين وتـسعمائة 962).



3.كتب الناشر: (وآل الرحماني هم من أسرة الحكيم أيضاً) والصحيح أن آل الحكيم هو فـرع عـن آل الرحماني لأن محمود بن عبد الرزاق الرحماني هو الحكيم الذي اشتهر به لامتهانه الطب في زمنه وهـو أخ لثلاثة إخوة عرفوا ببيت الرحماني.

4ـ ذكر الديوه جي في ص197 ضمن ملحقه في عزو الباني بقوله: (... الفقير الى الله قاسم بـن علـي الرحماني) حيث أضاف الرحماني الى علي بعد حصرها بمعقوفتين ولم يبين لنا كيف علم أن نسبه الى آل الرحماني، ولعله لما عثر على نص التجديد لآل الرحماني المار في الفقرة رقم (1) فحسب أن قاسم بـن علي هو رحماني أيضاً، والذي يتتبع العمود النسبي لا يعثر على قاسم وفي ذلك احتمالات ظنيـة لا داعي لذكرها. أما أصل النص بعد ذكر الآية الكريمة فهو كما يأتي: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم هذا ما تطوع بعمارة هذا المسجد المبارك الشريف الى الله الولي الفقير قاسم بن علي وذلك في سنة إثنان وستين وتسعمائة وتقبل الله به) انظر مجلة سومر، م23 / لسنة 1967ص233.

[1] ص17.

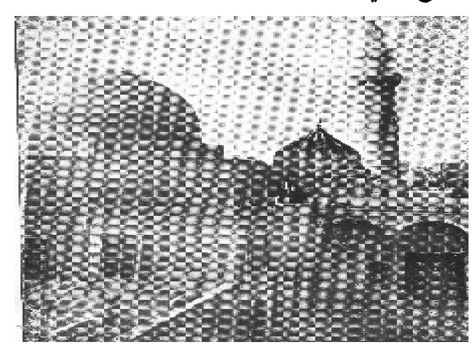
[2] ص204.

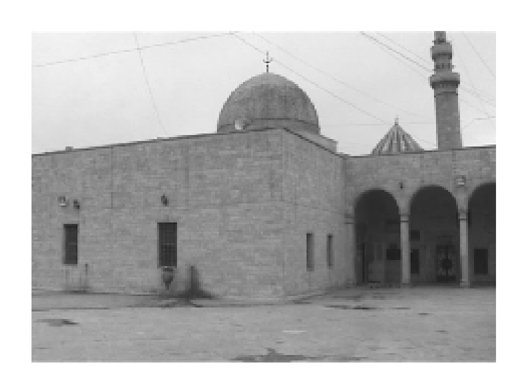
القَوْلَينِ هَذَيْنِ نَاطِقَانِ بِأَنَّ المَقْبَرَةَ القُرَشِيَّةَ مُتَّصِلَةٌ بِهَذَا المَسْجِدِ الجَامِعِ خَارِجاً لا أَنَّهَا هِيَ أَرْضُ الجَامِعِ، وَعِبَارَةُ تَارِيْخِ المَوْصِلِ تُعَيِّنُ مَوْقِعَهَا قَائِلَةً: (إِنَّهَا تُلاصِقُ مُصَلَّى الحَنَفِيَّةِ)[1] أَيْ مِنَ الخَارِجِ.

---

[1] ج1 ص64. وأوردها الصوفي في ص17.

جامع النبي جرجيس سنة 1935 وتظهر فيها المقبرة





جامع النبي جرجيس سنة 2007 أزيلت القبور سنة 1974

وَبِرُغْمِ كَوْنِ المُؤَلفِ نَقَلَ هَذَينِ القَوْلَيْنِ بِيَدِهِ وَكَتَبَهُمَا بِقَلَمه، وَرُغْمِ كَوْنِ المَقْبَرَةِ لَمَّا تَزَلْ مَوْجُودَةً حَتَّى الآن[1] وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى مَا كَانتْ عَلَيْهِ خَارِجَ الجَامِعِ، فَإِنَّ المُؤَلِّفَ يَستَدلُّ بِالقَوْلَينِ الآنِفَينِ عَلَى أَنَّ الأَرْضَ الّتي شُيِّدَ عَلَيْهَا الجَامِعُ هِيَ مَقْبَرَةُ قُرَيْشٍ. وَأَنْتَ تَرَىْ أَنَّ اسْتِدْلالَهُ بِهِمَا اسْتِدْلالٌ بِمِا لا يَدُلُّ.

[1] رفعت المقابر من أماكنها في منتصف السبعينات من القرن العشرين، وانظر الى الفرق الحاصل في بناء جامع النبي جرجيس من حيث القبتين والمنارة والرواق في الصورتين .

وَمِنَ العَجِيْبِ أَنَّهُ سَمَّى القَوْلَيْنِ المَذْكُوْرَيْنِ (مُسْتَنَدَات تَارِيْخِيَّةً)[1] مَعَ أَنَّهُمَا قَــوْلانِ لا ثَالِثَ لَهُمَا كَمَا قُلْنَا لا مُسْتَنَدَاتٌ تَارِيْخِيَّةٌ كَمَا قَالَ. وَلَعَلَّهُ لا يُفَرِّقُ أَوْ لا تَفْرِيْقَ عِنْــدَهُ بَــيْنَ المُثَنَّىْ وَالمَجْمُوْعِ.

ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ هُوَ قَبْرُ الحُرِّ الأُمَوِيِّ مُسْتَدِلاًّ عَلَىْ ذَلِكَ بِقَوْلِه: [وَإِنَّ المَشْهَدَ المَوْجُوْدَ الآنَ فِي الجَامِعِ المَذْكُوْرِ رُبَّمَا يَكُوْنُ قَبْرَ الحُرِّ بْنِ يُوْسُفَ الأُمَوِيِّ، وَقَــدْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ المَوْصِلِ الوَاقِفِيْنَ عَلَىْ تَارِيْخِهَا أَنَّ العَبَّاسِيِّيْنَ لَمَّا قَرَضُــوْا الدَّوْلَــةَ الأُمَوِيَّةَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى البِلادِ أَخَذُوْا يَحْفُرُوْنَ قُبُوْرَ بَنِيْ أُمَيَّةَ وَيُحَرِّقُوْنَ عِظَامَ مَوْتَاهُمْ فَأَشْــفَقَ أَهْلُ المَوْصِلِ مِنْ حَفْرِ قَبْرِ الحُرِّ الأُمَوِيِّ لِمَا لَهُ مِنَ الأَيَادِي البَيْضَاءَ عَلَيْهِمْ فَأَطْلَقُوْا عَلَىْ هَــذِهِ المَقْبَرَةِ اسْمَ مَقَامِ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ][2].

أَقُوْلُ: إِنَّ قَوْلَهُ (أَشْفَقَ) هُوَ مِنْ بَابِ أَفْعَلَ بِمَعْنَىْ خَافَ وَحَذَرَ، وَلَمْ أَدْرِ لِمَ خَافَ أَهْــلُ المَوْصِلِ مِنْ حَفْرِ القَبْرِ المَذْكُوْرِ، مَعَ أَنَّ الحَفْرَ لا تُؤْذِيْ إِلاَّ مَنْ يَقُوْمُ بِهِ مِنَ الحَفَّارِيْنَ وَذَلِــكَ بِالتَّعَبِ وَالكُلْفَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ المَوْصِلِ فَلا مُبَرِّرَ لإِشْفَاقِهِمْ كُلِّهِمْ مِنْهُ. فَلَوْ قَالَ: (فَأَشْــفَقَ أَهْــلُ المَوْصِلِ مِنَ العَبَّاسِيِّيْنَ عَلَى القَبْرِ خَشْيَةَ أَنْ يَحْفُرُوْهُ وَيُحَرِّقُوْا عِظَامَهُ لَصَحَّتْ عِبَارَتُهُ).

وَلَوْ قَالَ: (لِمَا لِلْحُرِّ مِنَ الأَيْدِي البِيْضِ) بَدَلَ قَوْلِه: (مِنَ الأَيَادِي البَيْضَاء) لَــسَلِمَ مِــنَ اللَّحْنِ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ، لأَنَّ (الأَيَادِيَ) مَعْنَاهَا النِّعَمُ عَلَى الأَكْثَرِ وَالأَشْهَرِ، وَهِيَ هَا هُنَا غَيْــرُ مَقْصُوْدَةٍ بِدَلِيْلِ وَصْفِهَا بِالبَيَاضِ، لأَنَّ البَيَاضَ إِنَّمَا تُوْصَفُ بِهِ الأَيْدِيْ لا الأَيَادِيْ، اللَّهُــمَّ إِلاّ عَلَىْ طَرِيْقِ التَّشْبِيْهِ وَالاسْتِعَارَةِ وَالمُؤَلِّفُ البَلِيْغُ لَمْ يَدْرُسْ شَيْئاً مِنْ عُلُوْمِ البَلاغَةِ شَيْئاً البَتَّــةَ. وَوَصْفُهُ الجَمْعَ وَهُوَ (الأَيَادِيْ) بِالمُفْرَدِ وَهُوَ (البَيْضَاءُ) غَيْرُ صَحِيْحٍ، إِذْ يُقَالُ: يَدٌ بَيْضَاءُ، وَأَيْدٍ بِيْضٌ، ثُمَّ أَيَّدَ ادِّعَاءَهُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ هُوَ قَبْرُ الحُرِّ الأُمَوِيِّ، بِمَا نَقَلَهُ عَنْ ابْنِ جُبَيْرٍ القَائِلِ: إِنَّهُ لَمَّا زَارَ المَوْصِلَ شَاهَدَ قَبْرَ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ فِي إِحْدَىْ زَوَايَا مَــسْجِدٍ اتُّخِــذَ عَلَيْهِ.

---

[1] ص18.

[2] ص18.

ثُمَّ عَلَّقَ المُؤَلِّفُ عَلَى ذَلكَ بقَوْلِه: [في حيْنِ أَنَّ الكُتُبَ التَّاريخيَّةَ الّتِيْ تَبْحَثُ عَنِ المَوْصِلِ لَمْ تَذْكُرْ أَنَّ فيْهَا مَسْجداً للنَّبِيِّ جرْجيْسَ وَلَمْ تَقُلْ إِنَّهُ تُوُفِّيَ فيْهَا][1].

أَيْ إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَقُوْلَ: إِنَّ هَذَا المَسْجدَ الجرْجيْسيَّ كَانَ مَوْجُوْداً في المَوْصلِ قَبْلَ أَنْ يَزُوْرَهَا ابْنُ جُبَيْرٍ، وَلِهَذَا لَمَّا جَاءَهَا زَائراً وَجدَهَ فيْهَا، لَكنَّ الكُتُبَ التَّاريخيَّةَ لَمْ تَذْكُرْهُ، فَهُوَ لذَلكَ غَيْرُ مَوْجُوْد. فَهُوَ إِذَنْ مَوْجُوْدٌ وَغَيْرُ مَوْجُوْد، مَوْجُوْدٌ لأَنَّ ابْنَ جُبَيْرٍ شَاهَدَهُ فَذَكَرَهُ، وَغَيْرُ مَوْجُوْد لأَنَّ الكُتُبَ التَّاريخيَّةَ لَمْ تَذْكُرْهُ، وَهَذَا تَنَاقُضٌ بَيِّنٌ، وَفَلْسَفَةٌ دَقِيْقَةٌ في التَّعْبِيْرِ. عَلَى أَنَّ ادِّعَاءَ المُؤَلِّفِ هَذَا يُمْكنُنَا أَنْ نُوْرِدَ عَلَيْه عدَّةَ أُمُوْرٍ، هيَ:

أَوَّلاً: إِنَّ العُلَمَاءِ الّذيْنَ أَخْبَرُوْهُ أَنَّ هَذَا القَبْرَ هُوَ قَبْرُ الحُرِّ لا قَبْرُ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ مَجْهُوْلُوْنَ، وَبِنَاءُ حُكْمٍ تَاريْخيٍّ عَلَى مَجْهُوْلٍ سَرِيْعُ الانْهيَارِ.

ثَانياً: إِنَّ هَؤُلاءِ العُلَمَاءَ منْ أَهْلِ عَصْرِنَا هَذَا، أَدْرَكَهُمُ المُؤَلِّفُ نَفْسُهُ، وَمَا أَخْبَرُوهُ به عَنْ هَذَا القَبْرِ لَمْ يُسْندُوهُ إِلَى مَصْدَرٍ تَاريْخيٍّ، فَإِخْبَارُهُمْ إِيّاهُ بذَلكَ غَيْرُ مَقْبُوْلٍ.

ثَالثاً: إِنَّ عَدَمَ ذكْرِ المُؤَرِّخيْنَ هَذَا القَبْرَ ـ قَبْرَ النَّبِيِّ جرْجيْسَ ـ لا يَمْنَعُ وُجُوْدَهُ، إِذْ يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ الشَّيءُ مَوْجُوْداً، وَهُوَ غَيْرُ مَبْحُوْث عَنْهُ، ثُمَّ إِنَّ المُؤَلِّفَ لَمْ يَدْرِ أَنَّ الدَّلِيْلَ لا يُقَامُ عَلَى العَدَمِ إِنَّمَا الأَدلَّةُ للإِثْبَات لا للنَّفْي، وَلَوْ عَرَفَ آدَابَ البَحْث وَالمُنَاظَرَةِ لَمَا حَاوَلَ هَذه المُحَاوَلَة، ثُمَّ إِنَّ عَدَمَ العِلْمِ لَيْسَ عِلْماً بِالعَدَمِ يَا أُسْتَاذَ التَّاريْخِ.

رَابعاً: إِدِّعَاءُ المُؤَلِّف أَنَّ الكُتُبَ التَّاريْخيَّةَ لَمْ تَبْحَثْ عَنْ هَذَا القَبْرِ، ادِّعَاءٌ فَارِغٌ، إِذْ لا نُسَلِّمُ أَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَيْهَا كُلِّهَا فَلَمْ يَجدْ لَهُ فيْهَا ذكْراً.

خَامساً: إِنَّ المُؤَلِّفَ نَقَلَ عَنْ تَاريْخِ المَوْصلِ [أَنَّ في سَنَة 1918م رُمِّمَ مُصَلَّى الجَامعِ الجرْجيْسيِّ، وَفي أَثْنَاءِ الحَفْرِ عَثَرُوْا عَلَى لَحْد فيْه رُفَاتٌ، وَقَدْ فَكَّرَ الوَاقفُوْنَ عَلَى دَقَائقِ التَّاريْخِ في أَنَّ هَذَا اللَّحْدَ هُوَ قَبْرُ الحُرِّ بْنِ يُوْسُفَ..][2].

---

[1] ص18.

[2] ص17و 18.

وَقَد ارْتَضَىْ المُؤَلِّفُ هَذَا القَوْلَ وَاعْتَمَدَهُ، وَلِذَلكَ لَمْ يُعَلِّقْ عَلَيْه بِمَا يَجْرَحُهُ، وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ التَّرْمِيْمَ في المُصَلَّى المَذْكُوْرِ لَمْ يَكُنْ فِي الحُجْرَةِ الّتِيْ فِيْهَا القَبْرُ الحَالِيِّ، وَإِنَّمَا كَانَ في مُصَلَّىْ الجَامِعِ. إِذَنْ فَهَذَا الرُّفَاتُ الّذيْ سَلَّمَ المُؤَلِّفُ أَنَّهُ رُفَاتُ الحُرِّ بْنِ يُوْسُفَ قَدْ وُجِدَ فِي لَحْدٍ هُوَ غَيْرِ لَحْدِ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ وَفِي قَبْرٍ غَيْرِ قَبْرِه.

وَعَلَيْه فَالقَبْرُ المَنْسُوْبُ إِلَى النَّبِيِّ جِرْجِيْس هُوَ غَيْرُ قَبْرِ الحُرِّ، لأَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ في حُجْرَته الخَاصَّة به المَوْجُوْدَة الآنَ وَهِيَ فِي مَعْزِلٍ عَنِ المُصَلَّىْ، وَاللَّحْدُ الّذيْ فِيْهِ الرُّفَاتُ الّذيْ قَالَ إِنَّهُ رُفَاتُ الحُرِّ هُوَ في المُصَلَّىْ.

ثُمَّ فَرَّعَ المُؤَلِّفُ عَلَىْ ذَلكَ بِقَوْلِهِ: [فَأَطْلَقُوْا عَلَىْ هَذه المَقْبَرَةِ (مَقْبَرَةَ قُرَيْشٍ) إِسْمَ مَقَامِ النَّبِيِّ جرجِيْسَ][1].

أَقُوْلُ: لَكنَّهُ لَمْ يُعَرِّفْنَا باسْمِ مَقَامِ النَّبِيِّ جِرْجِيسَ هَذَا الّذيْ أَطْلَقُوْهُ عَلَى المَقْبَرَةِ المَذْكُوْرَة، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ: (فَأَطْلَقُوْا عَلَيْهِ اسْماً هُوَ مَقَامُ النَّبِيِّ جِرْجِيْس). عَلَىْ أَنَّ (مَقَامَ النَّبِيِّ جرْجِيْسَ) إِنَّمَا يَجُوْزُ إِطْلاقُهُ عَلَى قَبْرٍ وَاحدٍ لا عَلَىْ مَقْبَرَةٍ كَبِيرَةٍ وَاسعَة ذَات قُبُوْرٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَثيْرَةٍ كَمَا أَطْلَقَهُ عَلَيْهَا مُؤَلِّفُنَا البَلِيْغُ. وَمِنْ بَلِيْغِ قَوْله المُعجزِ عبَارَتُهُ السَّالفَةُ الّتِيْ نَقَلْنَاهَا لَكَ آنفاً، وَنَصُّهَا: [فَيَتَّضِحُ منْ قَوْلِ إِبْنِ جُبَيْرٍ إنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ جرْجِيْسَ كَائنٌ في مَحلِّه قَبْلَ مَجِيءِ ابْنِ جُبَيْرٍ، فِي حِيْنِ أَنَّ الكُتُبَ التَّارِيْخِيَّةَ الّتِي تَبْحَثُ عَنِ المَوْصِلِ لَمْ تَذْكُرْ أَنَّ فِيْهَا مَشْهَداً لِلنَّبِيِّ جرْجِيْسَ][2].

أَقُوْلُ: وَأَنْتَ تَرَىْ أَنَّ فِيْهَا مِنَ الرَّكَاكَةِ وَالتَّعْقِيْدِ مَا وَصَلَ بِهِمَا مُنْتَهَىْ حَدِّ الإِعْجَازِ في الإِسْفَاف، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ: (فَيَتَّضِحُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ جُبَيرٍ أَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ كَانَ مَوْجُوْداً في مَحلِّه الّذي هُوَ فِيْهِ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَزُوْرَهُ، وَلَكِنَّ الكُتُبَ التَّارِيْخِيَّةَ لَمْ تَذْكُرْهُ).

---

[1] ص18.

[2] ص18.

وَقَوْلُهُ في عِبَارَته هَذه: (في حِيْنِ أَنَّ الكُتُبَ.. الخ) يَزِيْدُهَا إِسْفَافاً، إِذِ الظَّرْفِيَّةُ الزَّمَنِيَّةُ الَّتِي تَدُلُّ عَليهَا كَلِمَةُ (حِيْنَ) غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِيْهَا، إِذِ العَرَبُ تَقُوْلُ: جِئْتُ حِيْنَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ في حِيْنِ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ.

وَقَالَ: [وَقَدْ ظَهَرَ لِيْ بِأَنَّ الَّذي جَعَلَ عَامَّةَ النَّاسِ في المَوْصِلِ يَعْتَقِدُوْنَ بِوُجُوْدِ قَبْرِ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ عِنْدَهُمْ.. الخ][1].

أَقُوْلُ: إِنَّ قَوْلَهُ (وَقَدْ ظَهَرَ لِي) مُقْحَمٌ لا فَائِدَةَ فِيْهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَقُوْلَ: (وَالَّذيْ جَعَلَ النَّاسَ يَعْتَقِدُوْنَ) كَمَا أَنَّهُ لا فَائِدَةَ مِنَ البَاءِ في قَوْلِه: (بِأَنَّ الَّذيْ جَعَلَ) وَلا البَاءِ الأُخْرَىْ في قَوْلِه: (يَعْتَقِدُوْنُ بِوُجُوْدِ) لأَنَّ الفِعْلَ (يَعْتَقِدُوْنَ) يَتَعَدَّى بِنَفْسِه فَلا حَاجَةَ إِلَى تَعْدِيَته بِالبَاء.

ثُمَّ قَالَ: [وَيُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ جُبَيرٍ أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ جِرْجِيْسَ قَدْ بَقِيَ عَلَىْ حَالَته إِلَى أَنِ اسْتَوْلَىْ تَيْمُوْرْلَنْكَ عَلَىْ هَذه البِلادِ][2].

أَقُوْلُ: المَفْهُوْمُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ رَأَىْ لِلنَّبِيِّ جِرْجِيْسَ مَسْجِداً في المَوْصِلِ، وَلَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ أَنَّ المَسْجِدَ المَذْكُوْرَ بَقِيَ عَلَىْ مَا هُوَ عَلَيْهِ في عَهْده إِلَى أَيّامِ تَيْمُوْرْلَنْكَ ثُمَّ تَوَسَّعَتْ عِمَارَتُهُ في أَيَّامِه حَتَّى صَارَ مَسْجِداً كَمَا يَدَّعِيْ ذَلِكَ المُؤَلِّفُ.

وَفِيْ قَوْلِه: [فَعَمَّرَ (يَعْنِيْ المَسْجِدَ) عَلَى شَكْلِ جَامِعٍ][3] فِيْهِ مِنْ دِقَّةِ التَّعْبِيْرِ مَا يَعْجَزُ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِه فَطَاحِلُ الكُتَّابِ، إِذْ لَسْتُ أَدْرِيْ لِمَ عَمَّرَ المَسْجِدَ عَلَى (شَكْلِ جَامِعٍ) وَلَمْ يُعَمِّرْ (جَامِعاً)؟!.

وَقَالَ: [وَيُنْزَلُ إِلَيْهَا (يُرِيْدُ حُجْرَةَ القَبْرِ) بِأَرْبَعِ دَرَجَاتٍ مَكْتُوْبٌ فَوْقَ بَابِهَا ... (هَذه قِطْعَةٌ شِعْرِيَّةٌ)][4].

---

[1] ص19.

[2] ص20.

[3] ص20.

[4] ص22. لم يذكر المؤلف آل فرج عبارة (فوق بابها على لوح من المرمر هذه قطعة)، وعليه أضفت نقاط ثلاث لغرض الاطلاع.

أَقُوْلُ: أَنَا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذه الجُمْلَةَ (هَذه قِطْعَةٌ شعْرِيَّةٌ) مَكْتُوْبَةٌ فَوْقَ البَــاب المَــذْكُوْر. وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ: مَكْتُوْبٌ فَوْقَ بَابِهَا (هَذِهِ القِطْعَةُ الشِّعْرِيَّةُ) فَخَانَتْهُ بَلاغَتُهُ المُعْجِزَة. ثُــمَّ ذَكَرَ أَبْيَات ثَلاثَةً ثَانِيْهُمَا هُوَ:

لأَعْتَابِهِ فَــأْتِ وَلُــذْ بِجَـــــــانِبِهِ بِنِيَّةِ إِخْلاصٍ مَعَ الصِّدْقِ فِيْ الــسِّرِّ

وَالشَّطْرُ الأَوَّلُ مِنْهُ غَيْرُ مُسْتَقِيْمِ الوَزْنِ، لأَنَّ عَرُوْضَهُ مَغْلُوْطٌ فِيْهِ، وَتَصْوِيْبُهُ هَكَذَا[1]:

لأَعْتَابِهِ فَــأْتِيْ وَلُــذْ بِجَنَـــــــابِهِ بِنِيَّةِ إِخْلاصٍ مَعَ الصِّدْقِ فِيْ الــسِّرِّ

وَلَكِنَّ المُؤَلِّفَ الأَدِيْبَ لا يَهْتَمُّ بِالعَرُوْضِ وَلا بِاسْتِقَامَةِ الوَزْنِ، لِذَلِكَ اسْــتَبْدَلَ الجَانِــبَ بِالجَنَابِ فَجَانَبَهُ الصَّوَابُ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ الأَبْيَاتِ الثَّلاثَةِ قَائِلاً: [يَتَّضِحُ مِنَ التَّارِيخِ المَوْضُوْعِ تَحْتَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ أَنَّ البَابَ قَدْ جُدِّدَتْ عِمَارَتُهُ فِيْ هَذَا التَّارِيْخِ][2].

وَنَحْنُ نَقُوْلُ: مَا هُوَ التَّارِيْخُ المَوْضُوْعُ تَحْتَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ وَلِمَاذَا لَمْ يَذْكُرْهُ[3] وَلِمَاذَا لَمْ يَقُلْ (المَكْتُوْبُ تَحْتَ هَذِهِ الأَبْيَات) وَكَيْفَ اسْتَنْتَجَ مِنْهُ أَنَّ التَّارِيْخَ المَــذْكُوْرَ كَــانَ تَارِيْخــاً لِتَجْدِيْدِ عِمَارَةِ البَابِ وَحْدَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ مِنْ جُدْرَانِ المَسْجِدِ أَوِ المَسْجِدِ نَفْسِهِ؟.

---

[1] ذكر الصوفي في الطبعة الأولى (بجنابه) ولعل ما حصل في الطبعة الثانية كان خطأ مطبعياً، ووقع الخطأ في البيت الثالث. وقد وهم آل فرج في كتابة العجز من البيت وذكره: (بنية إخلاص مع الـصدق والسر) والصحيح ما أثبتناه وكما هو مدون على الرخامة. وكذلك كتب في الرخامة كلمة (فــأتِيْ) لغرض إشباع الكسرة وتحقيق الوزن.

[2] ص22. وقد ذكر الصوفيّ: ان الباب قد جددت عمارته في هذا التاريخ.

[3] لَمْ يذكر سيوفي الأبيات الثلاثة وإنما استدركها الديوه جي في ملحقه بشكل صحيح مع سنة الـنظم وهي 1208هــ. أنظر مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل ص75ــ78و 181. والرخامــة مــا زالت قائمة على مدخل غرفة الضريح، والبيت الأول هو:

زِيَارَةُ جِرْجِيْسِ النَّــبِيِّ بِشَارَةٌ لِنَيْــلِ مُرَادٍ وَالمَرَامِ مَعَ اليَسْرِ

الحَقُّ: إنَّ هَذَا الاتِّضَاحَ الّذي يَدَّعِيْهِ المُؤَلِّفُ مِنْ ذَلِكَ التَّاريْخِ المَجْهُوْلِ غَيْرُ وَاضِحٍ بَــلْ هُوَ عَمَاءٌ في خَفَاءٍ أَوْ خَفَاءٌ في عَمَاءٍ.

جَامِعُ النَّبِيِّ يُوْنُسَ u



جامع النبي يونس ومنارته التي بناها عبد الله باشعالم سنة 1271هــ/1854م بحوض واحد

والبيت الثالث كما يأتي وقد دون تحت كلمة عسر سنة البناء:

فَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ مَنْ قَدْ دَعَا بِهِ يُجِيْبُ دُعَاهُ ثُمَّ يُنْجِيْهِ مِنْ عُسْرِ1208



المنارة نفسها وقد سقط القسم العلوي منها بعد سنة 1918 وبنيت المنارة الحالية بحوضين عام 1341هـ/ 1923(وثائق غزوان الحيالي)

قَالَ عَنْهُ: [يَقَعُ الجَامِعُ فِيْ شَرْقِيِّ المَوْصِلِ][1].

أَقُوْلُ: الأَوْلَى أَنْ يَحْذفَ اليَاءَ مِنْ كَلِمَة (شَرْقِيِّ) فَيُقَالُ: (يَقَعُ شَرْقَ المَوْصِلِ).

وَقَالَ: [وَهُوَ عَلَىْ تَلٍّ كَبِيْرٍ يُقَالُ إِنَّ مَعْبَدَ نَيْنَوَىْ القَدِيْمِ كَانَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ مِحْرَابَ القَبْرِ المَوْجُوْدِ الآنَ فِي هَذَا الجَامِعِ هُوَ مِحْرَابُ ذَلِكَ المَعْبَدِ][2].

---

[1] ص24. وفي الطبعة الأولى: شرق الموصل.

[2] ص24. ذكر الصوفي في الطبعة الأولى والثانية: وإن محل القبر. [وقد نشر المؤرخ سعيد الديوه جي مقالاً بعنوان: العراق في القرن السابع عشر/جامع النبي يونس، وهو كتاب للرحالة تافرنييه، بين فيه موضوع قدم جامع النبي يونس وهل زامن دير يونان أو دير يونس أن بني على أنقاضه، وقد أشار الديوه جي الى كتاب مروج الذهب ج1 ص133 عند كلامه عن مدينة نينوى بقوله (ونينوى في زماننا هذا سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لأهلها وظاهر المدينة تل عليه مسجد وهنا عين تعرف بعين يونس u) وبذلك لا نعلم بالضبط من عمر هذا المسجد سوى ما

أَقُوْلُ: أَلْقَى الْمُؤَلِّفُ كَلامَهُ هَا هُنَا بلا تَفْكِيْرٍ وَبِدُوْنِ رَوِيَّةٍ، وَإِلاّ فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَـا مَنْ هُوَ القَائِلُ مِنَ الْمُؤَرِّخِيْنَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ مَعْبَدَ نَيْنَوَىْ القَدِيْمِ كَانَ عَلَى تَلِّ التَّوْبَةِ، وَمَنْ مِـنْهُمُ الّذِيْ أَنْبَأَهُ أَوْ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ مِحْرَابَ القَبْرِ النَّبَوِيِّ المَوْجُوْدِ الآنَ هُوَ مِحْرَابُ ذَلِكَ الْمَعْبَدِ؟ ثُمَّ هَلْ لِلْمَعَابِدِ الوَثَنِيَّةِ مَحَارِيْبُ؟ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُوْنَ لِلْقَبْرِ الشَّرِيْفِ مِحْرَابٌ كَمَا يَزْعُمُ؟.

وَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ البَلِيْغِ (إِنَّ مِحْرَابَ القَبْرِ المَوْجُوْدِ الآنَ هُوَ مِحْرَابُ ذَلِكَ المَعْبَدِ) صَـرِيْحٌ بِأَنَّهُ أَرَادَ بِالمِحْرَابِ المِحْرَابَ الْمُتَعَارَفَ عِنْدَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَهُوَ (مَقَامُ الإِمَامِ مِنَ المَـسْجِدِ أَوْ مَـا يُشْبِهُهُ) وَإِلاّ لَمَا أَضَافَ المِحْرَابَ إِلَى المَعْبَدِ وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ فَاتَهُ أَنَهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى مَعْبَدٍ وَثَـنِيٍّ آثُوْرِيٍّ لَيْسَ فِيْهِ مِحْرَابٌ! نَعَمْ، إِنَّ المَحَارِيْبَ وَرَدَ لَهَا ذِكْرٌ فِي القُرْآنِ المَجِيْدِ، وَقَـدْ ذَكَـرَ القُرْآنُ أَنَّهَا كَانَتْ مَوْجُوْدَةً فِي بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ وَلأَنْبِيَائِهِمْ بِهَا عَلاقَةٌ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِهَا القُـصُوْرَ الفَخْمَةَ وَالمَعَابِدَ، قَالَ تَعَالَى: M E F G H I J K L [1] أَيْ صَعِدُوْا وَعَلَوْا المِحْرَابَ أَيِ البَيْتَ الّذِي كَانَ يَدْخَلُ فِيْهِ دَاوُدُ u لِلْعِبَادَةِ، وَالمَعْنَى أَنَّهُمْ أَتَوُا المِحْرَابَ مِنْ سَوْرِهِ وَهُوَ أَعْلاهُ، وَلِهَذَا فَزِعَ مِنْهُمْ، وَقَالَ تَعَـالَى عَـنْ زَكَرِيَّـا u M فَخَرَجَ عَلَىٰ ´ µ ¶ L [2] أَيْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْبَدِهِ وَمَوْضِعِ صَلاتِهِ، وَقَال تَعَالَى عَنِ الجِنِّ الّـذِيْنَ سَخَّرَهُمْ لِسُلَيْمَانَ u M يَعْمَلُونَ ´ µ ¶ ¸ مَحَارِيبَ L [3] أَيْ قُصُوْرٍ فَخْمَةٍ وَمَجَـالِسَ شَرِيْفَةٍ مَصُوْنَةٍ مِنَ الابْتِذَالِ، وَسُمِّيَتْ مَحَارِيْبَ ــ كَمَا فِي الكَشَّافِ ــ لأَنَّهُ يُحَـامِيْ عَلَيْهَـا وَيَذُبُّ عَنْهَا، أَوْ هِيَ المَسَاجِدُ أَيْ نَفْسُهَا (لا مَقَامُ الإِمَامِ فِيْهَا) وَلا أَيُّ مَحِلٍّ خَاصٍّ فِيْهَا.

ذكر من تجديد الأميرة جميلة الحمدانية في القرن 4هـ. انظر التفاصيل في مجلة الرابطة، العدد 19 في 1945/2/7 ص452.

[1] سورة ص، 21.

[2] سورة مريم، 11.

[3] سورة سبأ، 13.

وَأَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَ المِحْرَابَ في الإِسْلامِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، قَالَ الشَّرِيْفُ السَّمْهُوْدِيُّ: (إنَّ المَسْجِدَ الشَّرِيْفَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِحْرَابٌ في عَهْدِهِ r ولا في عَهْدِ خُلَفَائِه بَعْـدَهُ، وَأَوَّلُ مَـنِ اتَّخَذَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ في عَمَارَةِ الوَلِيْدِ، وَإِذَا قِيْلَ مِحْرَابُ النَّبِيِّ فَـالمُرَادُ بِـهِ مَكَـانُ مُصَلاّهُ)[1].

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلك: [وَيَظْهَرُ أَنَّ صَنْدُوْقَ القَبْرِ هَذَا (يَعْنِيْ قَبْرَ نَبِـيِّ اللهِ يُـوْنُسَ u) مُحْدَثٌ أَقِيْمَ أَثْنَاءَ عِمَارَتِه مِنْ قِبَلِ إِبْرَاهِيْمَ الخُتَنِيِّ][2].

أَقُوْلُ: أَمَّا إِنَّهُ مُحْدَثٌ فَمُسَلَّمٌ، وَأَمَّا إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ هَذَا قَدْ أَحْدَثَهُ فَلا دَلِيْلَ لَـهُ عَلَيْـه، إِذْ يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ القَبْرُ الشَّرِيْفُ وَصُنْدُوْقُهُ كَانَا مَوْجُوْدَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُجَدِّدَ إِبْرَاهِيْمُ الخُتَنِيِّ عِمَارَةَ هَذَا الجَامِعِ الشَّرِيْف.

ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَدِلُّ عَلَى حُدُوْثِ هَذَا الصُّنْدُوْقِ بِقَوْلِه: [فَإِنَّ ابْنَ جُبَيْـرٍ وَابْـنَ بَطُّوْطَـةَ وَغَيْرَهُمَا لَمْ يَذْكُرَا قَبْراً هُنَاكَ][3].

أَقُوْلُ: إِنَّ سُكُوْتَ ابْنِ بَطُّوْطَةَ وَابْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ذِكْرِ القَبْرِ لا يُنَافِيْ وُجُوْدَهُ لِجَوَازِ أَنْ يَكُوْنَ مَوْجُوْداً وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَاهُ، ثُمَّ إِنَّ عَدَمَ ذِكْرِهِمَا إِيَّاهُ لا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الـصُّنْدُوْقَ أَحْدَثَـهُ إِبْرَاهِيْمُ الخُتَنِيِّ كَمَا يَدَّعِيْه المُؤَلِّفُ.

فَإِذَا جَازَ لَنَا أَنْ نَقُوْلَ: إِنَّ القَبْرَ الشَّرِيْفَ كَانَ مَوْجُوْداً قَبْلَ زَمَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَقَبْلَ زِيَارَتِه المَوْصِلَ جَازَ أَنْ يَكُوْنَ عَلَيْه صُنْدُوْقٌ أَيْضاً، وَعَلَيْهِ فَإِسْنَادُ إِحْدَاثِ الصُّنْدُوْقِ إِلَـى إِبْـرَاهِيْمَ الخُتَنِيِّ بِصُوْرَةٍ قَطْعِيَّةٍ لَمْ يَقُلْ بِه أَحَدٌ مِنَ المُؤَرِّخِيْنَ، وَلا دَلِيْلَ لَنَا عَلَيْه البَتَّـةَ، إِذْ يَجُـوْزُ أَنْ يَكُوْنَ الخُتَنِيِّ هُوَ الّذِي أَحْدَثَهُ أَوْ أَنَّهُ أُحْدِثَ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ، وَأَنَا لا أَدْرِيْ كَيْفَ جَزَمَ المُؤَلِّـفُ بِأَنَّ الخُتَنِيِّ أَحْدَثَهُ وَأَقَامَهُ، مَعَ أَنَّهُ نَقَلَ بِيَدِهِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى مُدَّعَاهُ هَذَا عَنِ الـدُّكْتُوْرِ دَاوُدَ

(**1**) وفاء الوفاء ج1 ص264.

[2] ص24.

[3] ص24.

الحَلَبِيِّ فَقَالَ مَا نَصُّهُ: [وَمِنَ المَعْلُوْمِ أَنَّ بِنَاءَ النَّبِيِّ يُوْنَسَ جُدِّدَ عَلَى عَهْدِ تَيْمُوْرْلَنْكَ مِنْ قِبَلِ وَزِيْرِهِ إِبْرَاهِيْمَ الخُتَنِيِّ، فَيَظْهَرُ أَنَّ صُنْدُوْقَ القَبْرِ أُقِيْمَ فِي ذَلِكَ الحِيْنِ أَوْ بَعْدَهُ...][1].

وَأَنْتَ تَرَى أنَّ الدُّكْتُوْرَ الحَلَبِيَّ لَمْ يَجْزِمْ بِتَعْيِيْنِ زَمَنِ إِقَامَتِه، هَلْ هُوَ حِيْنَ بَنَى الخُتَنِيُّ الجَامِعَ اليُوْنُسِيَّ أَمْ بَعْدَهُ؟ فَضْلاً عَنْ جَزْمِهِ بِأَنَّ الخُتَنِيَّ هُوَ الّذِيْ قَدْ أَقَامَهُ، إِذَنْ فَقَوْلُ المُؤَلِّفِ إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ الخُتَنِيِّ قَدْ أَقَامَهُ لا دَلِيْلَ لَهُ عَلَيْهِ البَتَّةَ، هَذَا وَلَعَلَّ الوَزِيْرَ الخُتَنِيِّ هَذَا جَدَّدَ عِمَارَةَ هَذَا الجَامِعَ الشَّرِيْفَ بِالنِّيَابَةِ عَنْ مَلِيْكِهِ تَيْمُوْرَ الّذِيْ كَانَ مُوْلَعاً بِإِنْشَاءِ المَسَاجِدِ وَإِقَامَةِ الجَوَامِعِ لِلْعِبَادَةِ وَالصَّلاةِ، إِلاّ أَنَّهُ فِي الوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ كَثِيْرَ التَّدَيُّنِ وَالإِيْمَانِ، وَلا كَانَ يُقِيْمُ لأَقْوَالِ الفُقَهَاءِ وَالعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَزْناً.

وَلَعَلَّ أَرَادَ[2] أَنْ يَسْتَقِيْمَ لَهُ الخُلُوْدُ بِفَنٍّ مِنْ فُنُوْنِ العِمَارَةِ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى مِثْلِهِ أَوْ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ وَذَلِكَ فِي هَذِهِ الأَهْرَامَاتِ[3] الّتِي كَانَ يُقِيْمُهَا فِي حُرُوْبِهِ مِنْ رُؤُوْسِ أَهْلِ المُدُنِ الّتِي يُمَكِّنُهُ اللهُ مِنْ الغَلَبَةِ عَلَيْهَا وَفَتْحِهَا، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ غَرِيْبَةٌ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عَدَدَ هَذِهِ الرُّؤُوْسِ كَانَ يَبْلُغُ فِي بَعْضِ الأَحَايِيْنِ إِلَى السِّتِّيْنَ وَالسَّبْعِيْنَ أَلْفاً، وَهَذَا مُنْتَهَى الإِغْرَاقِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ مِمَّا لَيْسَ فِي التَّارِيْخِ مَا يُمَاثِلُهُ أَوْ يُقَابِلُهُ.

قَالَ العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ سُلْطَانِ بْنُ مُحَمَّدِ الخُجَنْدِيِّ المَعْصُوْمِيِّ فِي كِتَابِهِ (البُرْهَانُ السَّاطِعُ فِي تَبَرُّؤِ المَتْبُوْعِ مِنَ التَّابِعِ)[4] مَا هَذَا نَصُّهُ: (الأَمِيْرُ تَيْمُوْرُ الكَوْرَكَانُ الأَعْرَجُ، كَانَ مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُوْلُ اللهِ r ، وَكَانَ رَافِضِيّاً مُتَعَصِّباً، فَإِنَّهُ رَأَى مِنْ مُقْتَضَى سِيَاسَتِهِ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى قُبُوْرِ مَنْ يَزْعُمُوْنَهُ وَلِيّاً قِبَاباً عَالِيَةً، وَعِمَارَاتٍ شَامِخَاتٍ، لِيُشْهِرَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ مُحِبُّ الأَوْلِيَاءِ، وَنَاصِرُ دِيْنِ اللهِ، فَيُحِبَّهُ النَّاسُ وَيَخْدِمُوْنَهُ وَيَنْصُرُوْنَهُ، وَيُفْدُوْنَهُ بِنَفْسِهِمْ وَنَفِيْسِهِمْ، فَبَنَى لِهَذَا الغَرَضِ البِنَايَاتِ العَالِيَاتِ وَالقُبَبِ الشَّامِخَاتِ عَلَى قَبْرِ قُثَمَ بْنِ عَبَّاسٍ

---

[1] ص26.

[2] يبدو أن الكلمة (أراد) قد سقطت من المؤلف سهواً.

[3] ستودارد، لوثروب، حاضر العالم الاسلامي م1 ص18.

[4] هو رسالة البرهان الساطع ص44.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي سَمَرْقَنْد، وَيَسمُّوْنَهُ (شَاهُ زَنْدَه) أَيْ (المَلِكُ الحَيُّ) وَقَدْ صَرَفَ وَأَسْرَفَ فِيهَا مَلايِيْنَ الدَّنَانِيرِ. وَكَذَا أَمَرَ بِبِنَاءِ قُبَّة عَالِيَة عَلَى قَبْرِ نَفْسه إِذَا مَاتَ، فَبَنَوْا مَا هُوَ المَعْرُوْفُ منَ القُبَّة الكَبِيْرَة الشَّامخَة المشْهُوْرَة بِـ (كُوْرمير) أَيْ قَبْر الأَمِيْر، وَكَذَا أَمَرَ بِبِنَاء قُبَّة عَظيْمَة وَعمَارَات كَبِيْرَة فِي بَلْدَة (يسي) المَشْهُوْرَة بِتُرْكُسْتَانَ، وَ(حَضْرَة سُلْطَان) عَلَى قَبْرِ الخَوَاجَة أَحْمَدَ البَسَوِيِّ المَعْرُوْف عِنْدَهُمْ حَضْرَة سُلْطَان العَارِفِيْنَ وَغَيْر ذَلِكَ. وَبِذَلِكَ اكْتَسَبَ لِنَفْسه مَحَبَّةَ النَّاسِ الغَوْغَاءَ حَتَّى اعْتَقَدُوْا فِيه أَنَّهُ وَلِيُّ الله) إِنْتَهَى مَاقَالَهُ الخُجَنْدِيُّ عَنْهُ.

ثُمَّ أَوْرَدَ المُؤَلِّفُ مَا أَوْرَدَهُ المَقْدسِيُّ وَصَاحِبُ كِتَاب البُلْدَان وَابْنُ جُبَيْرٍ وَابْنُ بَطُّوْطَة وَالدُّكْتُوْرُ دَاوُدُ الجَلَبِيِّ عَنْ هَذَا الجَامِعِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلكَ: [يَتَّضحُ مِنَ هَذه المُسْتَنَدَات التَّارِيْخيَّة أَنَّ مَحلَّ جَامع النَّبِيِّ يُوْنُسَ كَانَ فِي الأَصْلِ مَعْبَداً آشُوْرِيّاً][1].

أَقُوْلُ وَنَحْنُ لَدَى مُرَاجَعَتنَا المُسْتَنَدَات التَّارِيْخيَّة الّتِيْ عَنَاهَا المُؤَلِّفُ لَمْ نَجدْهَا تَدُلُّ وَلَوْ دلالَةً الْتزَاميَّةً أَوْ تُشيْرُ منْ طَرْف خَفيٍّ إِلَى أَنَّ مَحلَّ جَامعِ النَّبِيِّ يُوْنُسَ u كَانَ مَعْبَداً آشُوْرِيّاً وَإِنَّمَا يُفْهَمُ منْ كَلامِ الدُّكْتُوْرِ الجَلَبِيِّ (أَنَّ بَيْنَ دهْلِيْزِ هَذَا الجَامعِ وَدهْلِيْزِ آشُوْرِيٍّ فِي الشِّرْقَاط وَجْهَ شَبَه هُوَ اتِّجَاهُهُمَا منَ الغَرْب إِلَى الشَّرْق، وَهُوَ وَجْهُ شَبَه بَعيْدٌ جدّاً يُشَارِكُهُمَا فِيْه كَثِيْرٌ منْ مُخْتَلَف أَنْوَاعِ الأَبْنيَة العَتيْقَة وَالجَديْدَة ممَّا لا يَكَادُ يُحْصيْه قَلَمُ الحَاسبِ كَثْرَةً، غَيْرَ أَنَّ الدُّكْتُوْرَ قَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهُمَا لا يَتَشَابَهَان فِي الإِمْتدَاد وَمَوَاد البنَاء فَاسْتَفْهَمَ بِقَوْله: فَهَلْ كَانَ هَذَا الدِّهْلِيْزُ أَخَاً لدهْلِيْزِ الشِّرْقَاط؟ وَهَلْ أُنْشئَا لغَايَة وَاحدَة؟).

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَجْزمْ بِكَوْنِهمَا أُنْشئَا لغَايَة وَاحدَة وَإِلاّ لَمَا اسْتَفْهَمَ عَنْ ذَلكَ، فَكَيْفَ إِذَنْ تَجرَّأَ المُؤَلِّفُ هَا هُنَا عَلَى الحُكْمِ بِأَنَّ جَامعَ النَّبِيِّ يُوْنُسَ u كَانَ مَعْبَداً آشُوْرِيّاً؟.

ثُمَّ قَفَّىْ عَلَىْ ذَلكَ بِقَوْله: [وَكَانَتْ بِعْثَةُ شِيْكَاغُوْ طَلَبَتْ منْ مُديْريَّة الآثَارِ القَديْمَة بِالسَّمَاحِ لَهَا بِزِيَارَة بَعْضِ الجَوَامعِ][2].

---

[1] ص27.

[2] ص27. وأما ما نشره الصوفي في الطبعة الأولى ص39 أن بعثة جامعة بنسلفانيا جاءت لتنقب في أطلال (تبّه كوره) بقرية الفاضلية وكان الصوفي ممثلاً عنها كما نشر في جريدة فتى العراق العدد

أَقُوْلُ: الصَّوَابُ هُوَ أَنْ يَقُوْلَ: إِنَّ بعْثَةَ شيْكَاغُوْ طَلَبَتْ إِلَى مُديْرِيَّة الآثَارِ بَدَلاً منْ قَوْلِـهِ (طَلَبَتْ منْهَا)، كَمَا أنَّ الفعْلَ (طَلَبَ) يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُوْله (السَّمَاحَ) بنَفْسه لا بالبَاء.

وَقَالَ أَيْضاً: [فَعَلمْتُ منْهُمْ (أَيْ منَ البعْثَة) أَنَّ مَوْقعَ مَعْبَد مَديْنَة نَيْنَوَىْ هُوَ مَحلُّ جَـامعِ النَّبِيِّ يُوْنُسَ، وَأَنَّ جَميْعَ المَعَابد الآشُوْرِيَّة كَانَتْ مُتَّجهَةً منَ الغَرْب إِلَى الشَّرْق][1].

أَقُوْلُ: إِنَّ مُجَرَّدَ كَلامِ هَؤُلاءِ الغَرْبِيِّيْنَ منْ رجَال هَذه البعْثَة لَيْسَ بحُجَّة يَصُحُّ الاعْتمَادُ عَلَيْهَا في تَحْقيْقِ مثْلِ هَذه الأُمُوْر، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَا يَقُوْلُهُ الغَرْبِـيُّ يَجِـبُ أَنْ يُؤْخَـذَ بنَظَـرِ الاعْتبَارِ، لأَنَّهُ كَغَيْرِه يُخْطِيءُ وَيُصيْبُ، وَالدَّعَاوَىْ مَهْمَا كَانَ نَوْعُهَا إِنَّمَـا تَثْبُـتُ بِـالحُجَجِ القَاطعَة وَالبَرَاهيْنِ السَّاطعَة لا بمُجَرَّد الأَقْوَال.

فَعَلَيْه كَيْفَ سَاغَ للْمُؤَلِّف أَنْ يَعْتَمدَ أَقْوَالَ رجَالِ هَذه البَعْثَة الّتي لَمْ تُسْنَدْ عَلَىْ بُرْهَـانٍ يُؤَيِّدُهَا ثُمَّ يَبْنِيْ عَلَيْهَا حُكْماً تَارِيْخيّاً أَثَرِيّاً؟.

فَادِّعَاؤُهُمْ إِذَنْ أَنَّ مَوْقعَ مَعْبَد نَيْنَوَىْ هُوَ مَحلُّ جَامعِ النَّبِيِّ يُوْنُسَ ــ إِنْ صَحَّ أَنَّهُمْ ادَّعَوْا ذَلكَ ــ لَمْ يَسْتَندْ عَلَى مَا يُثْبِتُهُ، فَلذَلكَ لا يُلْتَفَتُ إِلَيْه.

ثُمَّ قَالَ: [وَيَظْهَرُ أَنَّ أَوَّلَ مَسْجدٍ شُيِّدَ فِيْ نَيْنَوَىْ كَانَ عَلَىْ عَهْد خلافَة المُعْتَضد بالله][2].

---

267 في 1936/10/13. وماذكره في الطبعة الثانية فكانت بعثة شيكاغو المذكورة جاءت للتنقيب في أطلال (خورصاباد). وأوضح القس سليمان الصايغ أن البعثات الأمريكية كانـت مـن جـامعتي فيلادلفيا وبنسلفانيا لقرية الفاضلية والتي اختتمت أعمالهما سنة 1937ــ 1938 تاريخ الموصل ج3 ص59.وقد اختصر آل فرج النص بشكل لم يؤثر في نص الصوفي.

[1] ص27.

[2] ذكر الصوفي نصه: (على عهد خلافة المعتصم بالله العباسي) في ص39 من الطبعـة الأولى وص27 من الطبعة الثانية، وقد استدرك آل فرج النص أعلاه: (....عهد خلافة المعتضد بالله) اسـتناداً الى ص5 من كتاب الصوفي وكما مبيّن. علماً أن المعتصم وهو أبو اسحق محمد بن هـارون الرشـيد الذي تولى الخلافة سنة 218هــ ومات سنة 227هــ.

أَقُوْلُ: يُفْهَمُ مِنَ النَّصِّ الّذي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي كِتَابِه هَذَا آنفاً (ص5) نَقْلاً عَـــنْ كِتَـــابِ البُلْدَانِ أَنَّ مَسْجِدَ تَلِّ التَّوْبَةِ كَانَ بِأَزَاءِ البِنَاءِ الّذيْ بَنَاهُ الْمُعْتَضِدُ[1] حَسْبُ، وَلا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ أَوَّلَ مَسْجِدٍ شُيِّدَ فِي نَيْنَوَىْ كَانَ عَلَى عَهْدِ الْمُعْتَضِد، وَدُوْنَكَ النَّصَّ الْمَذْكُوْرَ:

[قَالَ: بِهَا (بِالمَوْصِلِ) نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الحُرِّ احْتَفَرَهُ الحُرُّ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ الحَكَمِ بْـــنِ أَبِيْ العَاصِ وَفِيْ الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا عَلَىْ جَبَلٍ بِأَزَاءِ البِنَاءِ الّذيْ بَنَاهُ الْمُعْتَضِدُ بِاللهِ مَسْجِدٌ يُقَالُ لَهُ (مَسْجِدُ التَّوبَةِ) يَخْرُجُ النَّاسُ لِلصَّلَوَاتِ فِيْهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ].

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا النَّصَّ لا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ أَوَّلَ مَسْجِدٍ شُيِّدَ فِي نَيْنَوَىْ كَانَ عَلَـــىْ عَهْـــدِ خِلافَةِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ العَبَّاسِيِّ كَمَا يَقُوْلُهُ الْمُؤَلِّفُ، وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ لِلْمُعْتَضِدِ بِنَاءٌ يَقَـــعُ أَزَاءَ مَسْجِدِ تَلِّ التَّوْبَةِ، أَمَّا المَسْجِدُ هَذَا فَيُرَجَّحُ أَنَّهُ كَانَ مَوْجُوْداً قَبْلَ عَهْدِ الْمُعْتَضِد، ثُمَّ هَلْ هَـــذَا المَسْجِدُ الّذي كَانَ أَزَاءَ بِنَايَةِ الْمُعْتَضِدِ هُوَ عَيْنُ مَسْجِدِ الأَمِيْرَةِ جَمِيْلَةِ ابْنَـــةِ نَاصِـــرِ الدَّوْلَـــةِ الحَمْدَانِيَّةِ؟ أَيْ هَلْ هِيَ الّتِيْ جَدَّدَتْ عِمَارَتَهُ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَ وَمَضَىْ عَلَىْ إِنْشَائِهِ وَبَدْءِ عِمَارَتِهِ مَا يَقْرُبُ مِنْ نَحْوِ قَرْنَيْنِ؟ ذَلِكَ لأَنَّ الْمُعْتَضِدَ وَلِيَ الخِلافَةَ سَنَةَ 219هــ وَلا بُدَّ أَنَّ المَسْجِدَ هَـــذَا كَانَ مَوْجُوْداً قَبْلَ ذَلِكَ عَلَىْ الأَرْجَحِ، وَمَسْجِدُ نَبِيِّ اللهِ يُوْنُسَ u هَذَا الآنَ قَدْ بَنَتْهُ الأَمِيْرَةُ جَمِيْلَةُ ابْنَةُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الحَمْدَانِيَّةِ الْمُحْسِنَةُ التَّقِيَّةُ الّتِيْ أَغْرَقَهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ البُوَيْهِيُّ فِي دِجْلَةَ حَوَالِي سَنَةَ 371هــ ذَكَرَ ذَلِكَ المَقْدِسِيُّ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ مَسْجِدَ يُوْنُسَ u بِـــسَوَادِ المَوْصِـــلِ، وَآثَارَهُ عِنْدَ نَوْنَوَىْ القَدِيْمَةِ فِيْ مَوْضِعٍ يُسَمَّى تَلُّ تَوْبَةٍ، عَلَى رَأْسِهِ مَسْجِدٌ بَنَتْهُ جَمِيْلَةٌ وَأَوْقَفَتْ عَلَيْهِ أَوْقَافاً جَلِيْلَةً)[2].

وَذَكَرَ مِثْلَهُ آدَمُ مِتزْ فِيْ كِتَابِهِ الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ (ج2 ص73) قَائِلاً: (وَمِمَّا لَهُ دِلالَتُهُ أَنَّ البَعْضَ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ سَبْعَ زَوْرَاتٍ لِمَسْجِدِ يُوْنُسَ u قُرْبَ نَيْنَوَى القَدِيْمَةِ وَهُوَ المَـــسْجِدُ الّذيْ بَنَتْهُ جَمِيْلَةٌ بِنْتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يَعْدِلْنَ حَجَّةً)[3].

---

[1] هو أبو العباس بن أبي محمد الموفق بالله بن المتوكل، سمي المعتضد بالله وتولى الخلافة سنة 279هــ.

[2] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص146.

[2] ذكر متز عبارته ضمن الفصل التاسع عشر بعنوان: الدين.

فَهَلْ بَنَت الأَميْرَةُ هَذه مَسْجدَهَا اليُوْنُسيَّ هَذَا أَزَاءَ المَسْجد الّذيْ كَــانَ مَوْجُــوْداً فيْ العَهْدِ المُعْتَضدِيِّ الّذيْ حَدَّثَكَ عَنْهُ صَاحِبُ كِتَابِ البُلْدَان آنفاً أَمْ بَنَتْهُ عَلَى أَنْقَاضه مُجَــدِّدَةً عِمَارَتَهُ؟.

كُلٌّ مُحْتَمَلٌ، لَكنَّ عِبَارَةَ المَقْدسيِّ يَفْهَمُ منْهَا المُتَأَمِّلُ أَنَّ مَسْجدَ يُوْنُسَ u ـ الّــذيْ يُرَجَّحُ أَنْ يَكُوْنَ المَسْجدُ الّذيْ كَانَ فيْ عَهْد المُعْتَضد ـ قَدْ تَهَدَّمَ، وَقَدْ بَقيَتْ آثَارُهُ فيْ تَــلِّ التَّوْبَة ذَلكَ التَّلُّ الّذيْ عَلَىْ رَأْسه بَنَت الأَميْرَةُ جَميْلَةٌ مَسْجدَهَا، وَمَعْنَى ذَلكَ، أَنَّهَا لَمْ تُجَدِّدْ عمَارَةَ ذَلكَ المَسْجد المُتَهَدِّمِ بَلْ عَمَّرَتْ مَسْجدَهَا أَزَاءَهُ.

وَفيْ عَهْد تَيْمُوْرْلَنْكَ جَدَّدَ وَزيْرُهُ إبْرَاهيْمُ الخُتَنيُّ عمَارَةَ المَسْجد اليُوْنُسيِّ أَيْضاً، وَنُــرَجِّحُ أَنَّهُ هُوَ الّذيْ وَسَّعَهُ وَأَوْصَلَهُ إلَى مَا هُوَ عَلَيْه الآنَ منَ السِّعَة وَجَعَلَهُ مَسْجداً جَامعاً.

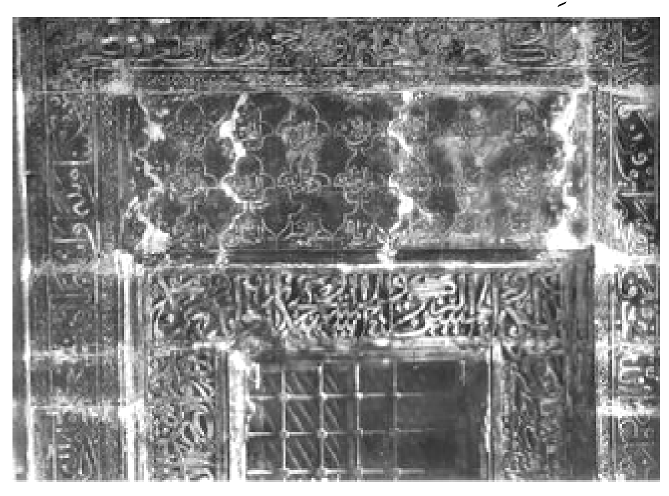
هَذَا، وَلسَيِّدنَا يُوْنُسَ u مَا عَدَا قَبْرهُ هَذَا فيْ مَسْجده هَذَا الّذيْ عَمَّرَهُ إبْرَاهيْمُ الخُتَنيُّ قَبْرَان هُمَا في فلَسْطيْنَ أَحَدُهُمَا فيْ قَرْيَة (حَلْحُوْل) ذَكَرَهُ ابْنُ خَيْرِ الله العُمَــريِّ فيْ كتَــاب مَسَالك الأَمْصَارِ ج1 ص176فَقَالَ: (قَبْرُ يُوْنُسَ بْنِ مَتَّى u بقَرْيَة حَلْحُوْلَ عَلَــى يَــسَارِ الذَّاهبِ منْ بَلَد القُدْسِ إلَى بَلَد الخَليْلِ u وَيُعَرِّجُ الزَّائرُ إلَيْه، وَعَلَيْه بنَاءٌ وَقُبَّةٌ، وَلَهُ خَادمٌ، زُرْتُهُ مَرَّات، وَآخرُ عَهْديْ به فيْ ذيْ الحجَّة سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعيْنَ وَسَبْعَمائَة).

وَثانيْهُمَا ذَكَرَهُ نَاصرُ خُسْرُوْ عَلَويّ فيْ رحْلَته (سَفَرْنَامَه ص18) وَنَــصُّ عبَارَتــه: (وَفيَ طَبريَّةَ... يَقَعُ قَبْرُ أَبيْ هُرَيْرَةَ t خَارجَ المَديْنَة نَاحيَةَ القبْلَة، وَلَكنْ لا يَسْتَطيْعُ أَحَدٌ زيَارَتَهُ لأَنَّ السُّكَّانَ هُنَاكَ شيْعَةٌ، فَإذَا ذَهَبَ أَحَدٌ لزيَارَته تَجَمَّعَ الأَطْفَالُ وَتَحَرَّشُوْا به وَضَرَبُوْهُ بالحجَارَة، وَسرْتُ بَعْدَ ذَلكَ إلَى قَرْيَة تُسَمَّى (كَفْرُ كَنَّه) بجَانبهَا تَلٌّ بُنيَتْ عَلَى قمَّته صَوْمَعَةٌ جَميْلَةٌ بهَا قَبْرُ النَّبيِّ يُوْنُسَ u وَعَلَيْهَا بَابٌ مَتيْنٌ، بقُرْبه بئرٌ مَاؤُهَا عَذْبٌ).

أَقُوْلُ: إِنَّ نَاصِرَ خُسْرُوْ كَانَ قَدْ زَارَ فِيْ سِيَاحَتِه فِلَسْطِيْنَ وَزَارَ قَبْرَ النَّبِـــيِّ يُـــوْنُسَ u هَذَا سَنَةَ 438هـــ (مارسَ 1047م) الْمُوَافِقَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ وَالعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ الْمُعَظَّـــمَ تَقْرِيْباً[1].

[1] سفرنامة ص16.

مَسْجِدُ وَمَرْقَدُ الإمامِ إبْرَاهيمَ



(اللوحة التي تبين العمود النسبي للإمام ابراهيم المجاب بشباك مسجد الإمام ابراهيم)

نَقَلَ المُؤَلِّفُ عَنْ كِتَابِ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ لِلْعُمَرِيِّ[1] أَنَّ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ هَذَا هُوَ ابْنُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ u مُرْدِفاً ذَلِكَ بِمَا رَآهُ هُوَ نَفْسُهُ مَكْتُوْباً عَلَى نَافِذَةِ مَرْقَدِ هَذَا الإِمَامِ، وَنَصُّهُ: [هَذَا مَسْجِدُ الإِمَامِ إِبْرَاهِيْمَ المُجَابِ بْنِ جَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْنِ العَابِدِيْنَ عَلِيٍّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ][2].

وَلَكِنَّ المُؤَلِّفَ المُحَقِّقَ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى ذَلِكَ بِدَعْوَىْ أَنَّ صَاحِبَ كِتَابِ: نُوْرُ الأَبْصَارِ فِيْ مَنَاقِبِ آلِ البَيْتِ الأَخْيَارِ[3] عِنْدَ بَحْثِهِ عَنْ أَوْلادِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ لَمْ يَذْكُرْ لَهُ وَلَداً اسْمُهُ إِبْرَاهِيْمَ[4].

---

[1] محمد أمين، ج2 ص63.

[2] ص29، هكذا ذكره آل فرج بتصرف لم يؤثر على نص الصوفي.

[3] هو: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي ص147.

[4] ص29.

وَنَحْنُ مَعَ اعْتِرَافِنَا بِأَنَّ الإِمَامَ جَعْفَراً u لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ إِبْرَاهِيْمَ نَقُوْلُ: إِنَّ عَـــدَمَ ذِكْرِ صَاحِبِ نُوْرُ الأَبْصَارِ المَذْكُوْرِ آنِفاً لَهُ وَلَداً بِهَذَا الاسْمِ لا يَمْنَعُ وُجُوْدَهُ، فَالمُؤَلِّفُ إِذَنْ قَدِ اسْتَدَلَّ بِمَا لا يُؤَيِّدُ مُدَّعَاهُ.

ثُمَّ نَقَلَ نَصّاً آخَرَ عَنْ كِتَابِ نُوْرِ الأَبْصَارِ المَذْكُوْرِ يَذْكُرُ فِيْهِ أَنَّ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ هَذَا هُوَ إِبْنُ مُوْسَى الكَاظِمِ لا إِبْنُ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، مَفَادُ هَذَا النَّصِّ: [انَّ لِمُوْسَـــى الكَـــاظِمِ سَــبْعَةً وَثَلاثِيْنَ وَلَداً، وَهُمْ عَلِيٌّ الرِّضَا وَإِبْرَاهِيْمُ وَالعَبَّاسُ وَ وَ ...إِلَخْ][1] وَفَرَّعَ عَلَى هَذَا الــنَّصِّ قَائِلاً: [إِذَنْ فَإِنَّ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ هُوَ الإِبْنُ الثَّانِيْ لِمُوْسَىْ الكَاظِمِ وَجَعْفَرَ الصَّادِقَ جَدُّهُ][2].

أَقُوْلُ: اعْتَبَرَ المُؤَلِّفُ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ هَذَا الابْنَ الثَّانِي لِلإِمَامِ مُوْسَى الكَــاظِمِ ذَلِــكَ لأَنَّ صَاحِبَ نُوْرُ الأَبْصَارِ ذَكَرَ مِنْ أَوْلادِهِ عَلِيّاً أَوَّلاً وَإِبْرَاهِيْمَ ثَانِياً أَيْ ذَكَرَهُ بَعْدَ عَلِــيٍّ الرِّضَـــا، وَلَيْسَ فِيْ ذَلِكَ دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيْمَ هُوَ ثَانِي أَوْلادِ مُوْسَى الكَاظِمِ، عَلَى أَنَّ الكَـــاظِمَ لَـــهُ وَلَدَانِ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسَمَّى (إِبْرَاهِيْمَ) أَحَدُهُمَا إِبْرَاهِيْمُ الأَكْبَرُ وَالآخَرُ إِبْرَاهِيْمُ الأَصْــغَرُ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الأَوَّلَ هُوَ المُلَقَّبُ بِإِبْرَاهِيْمَ المُرْتَضَى، فَأَيُّ الإِبْرَاهِيمَيْنِ مِنْهُمَا هُوَ دَفِيْنُ المَوْصِلِ عَلَىْ رَأْيِ المُؤَلِّفِ الّذِيْ أَدَّاهُ تَحْقِيْقُهُ إِلَى أَنَّ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ هَذَا هُوَ ابْنُ مُوْسَى الكَاظِمِ يَا تُرَىْ؟.

ثُمَّ أَيَّدَ هَذَا النَّصَّ الّذِي نَقَلَهُ عَنْ نُوْرِ الأَبْصَارِ، وَهُوَ أَنَّ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ هُوَ ابْنُ مُوْسَـــى الكَاظِمِ بِنَصٍّ آخَرَ نَقَلَهُ عَنْ سَالْنَامَةِ المَوْصِلِ فَقَالَ: [وَصَحَّحَتْ سَالْنَامَةُ المَوْصِلِ نَسَبَهُ فَقَالَتْ: الإِمَامُ إِبْرَاهِيْمُ المُجَابُ هُوَ ابْنُ مُوْسَى الكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ..][3].

أَقُوْلُ: إِنَّ التَّصْحِيْحَ الّذِيْ نَسَبَهُ المُؤَلِّفُ هَا هُنَا إِلَى السَّالْنَامَةِ المَوْصِلِيَّةِ وَارْتَضَاهُ بِعَـــدَمِ اعْتِرَاضِهِ عَلَيْهِ غَيْرُ صَحِيْحٍ، ذَلِكَ لأَنَّ الإِمَامَ إِبْرَاهِيْمَ المُجَابِ هُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ العَابِدِ بْنِ مُوْسَى

---

[1] ص30، ذكره آل فرج بشكل لم يؤثر على نص الصوفي. وحين مراجعة كتاب عمدة الطالب لابــن عنبة ص196 وجدت ان النص ورد هكذا: [وولد موسى الكاظم u ستين ولداً، سبعة وثلاثين بنتاً وثلاثة وعشرين إبناً...] منهم: ابراهيم المرتضى ومحمد العابد.

[2] ص30.

[3] ص30.

الكَاظِمِ، فَالكاظِمُ إِذَنْ جَدُّهُ لا أَبُوْهُ، وَتَفْصِيْلُ ذَلِكَ رَاجِعْهُ فِيْ كِتَابِ عُمْدَةِ الطَّالِبِ فِيْ أَنسَابِ آلِ أَبِيْ طَالِب[1].

ثُمَّ عَقَّبَ عَلَى ذَلكَ بقَوْله:[هَذَا مَا أمْكَنَنا العُثُوْرُ عَلَيْه بحَقِّ الإمَامِ إبْرَاهِيْمَ][2].

أَقُوْلُ: الصَّوَابُ هُوَ أَنْ يَقُوْلَ: هَذَا مَا أَمْكَنَنا العُثُوْرُ عَلَيْه منْ نَسَبِ الإِمَامِ إِبْرَاهِيْمَ بَدَلَ قَوْلِه [بحَقِّ الإِمَامِ إِبْرَاهِيْمَ] إِذْ لا مُنَاسَبَةَ لِذِكْرِ (الحّقِّ) هَا هُنَا البَتَّةَ، وَلأَنَّ البَحْثَ كَانَ عَنْ نَسَبِه لا عَنْ حَقِّه.

ثُمَّ قَالَ: [مِنْ أَهَمِّ الوَثَائِقِ التَّارِيخِيَّةِ الّتِيْ تُثْبتُ أَثَرَ هَذَا المَوْقِعِ][3].

أَقُوْلُ: إِنَّ هَذَا المَوْقِعَ مَوْجُوْدٌ بِعَيْنِه كَاملاً مُشَاهَداً بِالعَيَانِ، وَالأَثْرُ هُوَ بَقِيَّةُ الشَّيءِ فَكَيْفَ يُثْبِتُهُ المُؤَلِّفُ بِأَهَمِّ وَثَائِقِه التَّارِيْخيَّةِ [إِثْرُ هَذَا المَوْقِعِ أيْ بَقِيَّتُهُ] مَعَ أَنَّهُ مَوْجُوْدٌ كُلُّهُ كَاملاً ؟.

ثُمَّ قَالَ: [وَعَلَيْهِ فَمَرْقَدُ الإِمَامِ إِبْرَاهِيْمَ مِنْ أَقْدَمِ المَرَاقِدِ المَوْجُوْدَةِ فِيْ المَوْصِلِ][4].

---

[1] أنظر ص216 من كتاب عمدة الطالب الذي يؤيد كون ابراهيم المجاب هو ابن محمد العابد بن موسى الكاظم، وأن ابراهيم المرتضى شخصية أخرى وهو ابن موسى الكاظم. ومن خلال ما تقدم من الأدلة التي قدمها المؤلفان نجد أن رأى المرحوم سعيد الديوه جي في تعليقه على مسجد الإمام إبراهيم موضوع الفقرة أن له رأياً مخالفاً جداً، هذا نصه: [المدفون في هذا المرقد هو الشيخ ابراهيم المهراني الجراحي صاحب قلعة الجراحية، ومن أتباع الشيخ عدي بن مسافر الهكاري، كان قد عمر المسجد سنة 498هـ واتخذ بجانبه تربة لزوجته حسنة خاتون بنت القرابلي كما هو مكتوب عليها، ثم ان الشيخ ابراهيم بعد وفاته دفن في هذه التربة. وان بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيه مشهداً للامام ابراهيم بن جعفر الصادق t] انظر منهل الأولياء 64/2هامش 1. إلاّ أن ما استدركه الباحث يوسف ذنون ونشره في مجلة سومر م23 / لسنة 1967 ليؤكد لنا أن سنة إتمام البناء هو 998 كما في الرسم رقم (4) ص237.

[2] ص30.

[3] ص30.

[4] ص31.

أَقُوْلُ: وَالأَقْدَمُ مِنْهُ المَرَاقِدُ الشَّرِيْفَةُ لِبَنَاتِ سَيِّدِنَا الحُسَيْنِ السِّبْط u ، وَهِيَ مَرْقَدُ السِّتِّ نَفِيْسَةَ بِنْتِ الحُسَيْنِ فِيْ مَحَلَّةِ بَابِ السِّرَايْ[1] وَمَرْقَدُ أُخْتِهَا أُمِّ كُلْثُومٍ فِي مَحَلَّةِ

---

[1] رباط قديم يسمى الست نفيسة، وهو مسجد صغير يضم محراباً نفيساً من المرمر خالياً من الكتابة، يذكره الناس بأنه مقام الست نفيسة، ذكره الديوه جي في ملحق (مجموع الكتابات لسيوفي) ص170، ويذكر في هامشه للصفحة 26 من الكتاب المذكور أنه كان مسجداً باسم حمام السراي داخل الحصن الذي أسسه المغول قريباً من السراي، وهو عبارة عن مسجد صغير ينخفض عن الأرض المحيطة به بمقدار مترين وقد ثبت تاريخه سيوفي سنة 1057 كما في أعلى باب المصلى. وفي سنة 1345هـ كان قد كتب علي بابه: هذا مسجد الصوفية ومقام السيدة نفيسة بن علي رضي الله عنهما..). وذكر العمري في منيته ص110:(مقام الست نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن.. في موضعين وعندهما مسجدان وليس فيهما قبور تزار).وذكر العمري في منهله211/2 وجود مسجد عرف بمسجد السيدة نفيسة بمحلة باب العراق قريباً من السور.

أما من خلال متابعتي الميدانية عن هذا الرباط بتاريخ 16/كانون الأول 2006: فوجدته قد جددته (صديقة بنت احمد بكر حمو الحاج خليل سنة 1403هـ وأكمل سنة 1405هـ الموافق سنة 1985م) ويقع المزار ــ كما كتبت اللوحة الحجرية عليه ــ في محلة حوش الحمّام والمسمى حالياً بمحلة النبي جرجيس/ رقم المحلة 220 زقاق 19 واللوحة مثبتة فوق باب حديدي يقع جنوب البناء الذي يضم المسجد المشترك مع مسجد شيخ السبعة المعروف في مصادره بحمّام السراي ــ ولعل قول آل فرج بمحلة باب السراي أتت من هذه التسميةـ وعند يمين مدخل هذا الباب أي بظهر المحراب سرداب رمم حديثاً وبجانبه عدد من القبور، وفي إحدى زوايا المقبرة يسار المدخل قبران أحدهما دفن فيه الحاج محمود علي أمين المعاضيدي 1931ـ 2005 والقبر الثاني لامرأة.

أما من الجهة الشمالية فهناك باب حديد آخر فوقه لوحة حجرية كتب عليها: [(مسجد شيخ السبعة (حمام السراي)] عمّره الشيخ يونس سنة 1057هـ، ورمم سنة 1345هـ، وجددته صديقة بنت احمد بكر حمو الحاج خليل رحمها الله سنة 1405هـ. ولم أدر لِمَ سمي بـ (شيخ السبعة) فهو إما أنه كان في هذا المسجد شيخ لتدريس القراءات القرآنية السبع، وإما كان شيخاً لسالكي طريقة صوفية عددهم سبعة، وإما نسبة لشيوخ الأصناف الخاصة بالتجارة.

وهذا المسجد المشترك مع المزار الذي لا يفصله شيء عن مزار الست نفيسة يضم في الجهة اليمنى من خارج المسجد قبوراً تزيد على عشرة قبور، منها السيدة: أسّومة عبد الحافظ المتوفية سنة 1327هـ،

الخَاتُوْنِيَّةِ[1] وَمَرْقَدُ السِّتِّ فَاطِمَةَ قُرْبَ الإِمَامِ يَحْيَى أَبِيْ القَاسِمِ[2] وَبَعْدَ أَنْ قَالَ: (فَمَرْقَدُ الإِمَامِ إِبْرَاهِيْمَ مِنْ أَقْدَمِ المَرَاقِدِ شَرَعَ يُبِيِّنُ زَمَنَ عِمَارَةِ مَسْجِدِهِ فَقَالَ:

والمقتول ظلماً: حمزة بن محمد الحاجي خليل سنة 1245هـ، وعلي بن حيو بن محمد الحاجي خليل سنة 1304هـ، وعلي بن احسين العلي، ومحمد بن حسين.

وقد أورد ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج2 ص185: أن السيدة نفيسة هي ابنة أمير المدينة المنورة الأمين الحسن بن زيد بن الحسن بن أبي طالب انتقلت مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق من المدينة الى مصر وماتت ودفنت فيها سنة 208هـ، وكانت صاحبة الكرامات والبرهان.

كما ذكر صاحب الانتصار في مخطوطه في الورقة 210 ما نصه: (وفي الموصل أمكنة عديدة متعددة يسمى كل واحد منها بمقام السيدة نفيسة، مكان قريب من السور في مسجد قديم ومكان آخر بقرب السوق ومكانان آخران وليس فيها قبور، والظاهر إنها أمكنة سكناها ومتعبداتها رضي الله تعالى عنها، أو متعبد نفيسة أخرى من أهل البيت النبوي المطهر). فضلاً عن كل ما ورد فقد ذكر السيد طه عبد الرؤوف وهو أحد الأزهريين في كتابه الموسوم (السيدة نفيسة) أن هنالك نفيستان كبرى وصغرى، وأن الكبرى هي عمة الصغرى بنت الحسن الأنور، ص14.

[1] لم تذكره المصادر التي بين أيدينا، وقد ذكر صاحب الانتصار في الورقة 210 عن الست كلثوم ما نصه: (هي بنت الإمام الحسين ... هذا هو المشهور المتواتر في بلدتنا وعند ساداتنا الحسينية، ولها مشهد قديم محترم من بناء بعض الملوك المتقدمين، تهدم فعمّره بعض الناس، ولعل هذه السيدة الطاهرة المطهرة هي أم الإمام الهمام يحيى ابن القاسم التي تزوج بها أبوه القاسم في أرض كربلاء). ولم يبين لنا محل المشهد ولعله تهدم بعد ذلك وأهمل.

أما العمري في منيته ص105: (مرقد أم كلثوم قرب القلعة) علق عليها الديوه جي بقوله: (زرت المكان وهو عبارة عن قبة صغيرة مائلة الى الانهدام خالية من الكتابات وقد اتخذ حولها محلات لبيع الأخشاب يجاورها قبور قليلة والمكان في الوقت الحاضر مقبرة لآل مسطوني). والقلعة هي ايج قلعة بمحلة الميدان، ولعل ما ذكره آل فرج من أنها في محلة الخاتونية أنها مرقد آخر بالتسمية نفسها والله اعلم.

والعمري في منهله ص76: (لها مقام قريب من قلعة الموصل).

[2] ذكر صاحب الانتصار في الورقة 210 عن الست فاطمة ما نصه: (هي بنت الإمام الحسين.. هكذا مكتوب على باب مشهدها المحترم، وهو مشهد قديم محترم من بناء الملوك المتقدمين تاريخ عمارته سنة

... وأربعمائة من الهجرة هكذا رأيت مكتوباً على باب مشهدها المحترم بالخط القديم وليس في داخله قبر، فالظاهر انه قد سكنت هناك أياماً... فتشرف ذلك المكان بسكناها فبنوا عليه هذا المشهد لــئلا تندرس آثارهم). أما العمري في منهله ج2 ص139: (السيدة فاطمة من آل البيت لها قبر في مسجد الإمام عبد المحسن، ولا أعلم أي الفواطم هي، فلعلها بنت الحسين التي تزوجها الحسن المــثنى. ومــا أظن تلك طَرَقَتِ الموصل، والظاهر أنها بعض السيدات المتصلة نسبتها بآل رسول الله).

ومن خلال المسح الميداني له فقد وجدت المرقد ضمن أرض تعود لآل النقيب حيث قام السيد نــزار النقيب بإنشاء قاعة للمناسبات سماها باسم ولده عليّ على أرض المرقد وجميعها ضمن جامع الإمــام محسن، وهو على نشز من الأرض جدده السيد رؤوف النقيب سنة1383هــ وأحاطه بسياج، كمــا تضم المساحة التي فيها المرقد مقبرتان صبتا بخرسانة، ومقبرة أخرى خارجه، والمرقد في سرداب عليه قبة مخروطية بسيطة، والقبر في السرداب مغطى بصندوق خشب ينزل إليه بدرجات سبع، وقد ذكر لي بأن السرداب فيه أكثر من قبر أخرجت شواهدها منه، ومن الشواهد الحجرية داخل الــسرداب بيتان من الشعر نظما في سنة 1304هــ وهما:

إِلَى بَابِــكَ العَــالِيْ رَفَعْــتُ حَــوَائِجِيْ   وَجِئْــتُ بِطَــــهَ الْمُــصْطَفَى أَتَــشَفَّعُ

سَأَلْتُكَ الفَضْــلَ الّــذيْ أَنْــتَ أَهْلَــهُ   وَإِنْ لَمْ أَكُــنْ أَهْــلاً لِمَــا فِيْــهِ أَطْمَــعُ

وبيتان آخران نظما سنة 1346هــ وهما:

إِلَهِيْ بِمَــزَارٍ سَــلَتْهُ رَحْمَــةً لَنَـــــا   وَمَنْ هُــوَ فِيْ العَاصِــيْنَ عِنْــدَكَ يَــشْفَعُ

أَجِرْنِيْ مِــنَ الكَــرْبِ العَظــيْمِ فَــإِنَّنِيْ   إِلَــى بَابِكَ رَبِّيْ جِئْتُ بِالــذُّلِّ أَضْــرَعُ

وبيتان في حق زوجة حسن النقيب كما مدون فيهما:

أُمُّ النَّقِيْــبِ وَكُفْــــؤُ ذَاكَ الْمُنْتَقَـــى   حَــــسَنٌ نَقِيْــبُ الــسَّادَةِ العَلَوِيَّـــة

سُرَّتْ جِنَــانُ الخُلْــدِ يَــوْمَ وُرُوْدِهَــا   وَأَقَامَـــــتْ لأَرْوَاحِ رَسْـــــمٍ تَحِيَّـــة

كما عثرت على رخامة بقي منها العجزين الآتيين:

....   رزْء يَجِــــلُّ بِمَــوْتِ خَيْــرِ عَقِيْلَــة

....   وَالفِعْلُ يُنْبِــيءُ عَــنْ زَكَــاءِ أَرُوْمَــة

[يُصَادفُ ذَلكَ فِيْ أَيّامِ حُكْمِ السَّلاجقَة فِيْ المَوْصلِ][1].

غَيْرَ أَنَّهُ أَتَى بعبَارَته هَذه مُعقَّدَةً رَكيْكَةً لا يَكَادُ القَارِيءُ يَفْهَمُ مُرَادَهُ منْهَا بوُضُوْحٍ، لأَنَّ اسْمَ الإشَارَة (ذَلكَ) لَمْ نَدْرِ هَلْ هُوَ فَاعلٌ أَوْ مَفْعُوْلٌ به للْفعْلِ (يُصَادفُ)، وَلا نَعْلَمُ مَا هُوَ المُشَارُ إلَيْه به إنْ كَانَ يَعْنِيْ به المَرْقَدَ ــ لأَنَّهُ تَقدَّمَ لَهُ ذكْرٌ فِيْ جُمْلَته السَّابقَة ــ فَكَيْفَ يَتمَكَّنُ المَرْقَدُ وَهُوَ الرَّدْمُ وَالحجَارَةُ أَنْ يُصَادفَ أَيْ يَجدَ وَيُلاقِي غَيْرَهُ ؟. ثُمَّ مَا هُوَ (المُصَادَفُ) أَعْنِيْ المَفْعُوْلَ به الّذيْ يَتطَلَّبُهُ الفعْلُ المُتعَدّيّ (يُصَادفُ)؟ وَلأَيِّ سَبَبٍ بَلاغيٍّ حَذَفَهُ بدُوْنِ قَريْنَةٍ تَدُلُّ عَلَى حَذْفه؟ وَلمَاذَا خُصِّصَتْ هَذه المُصَادَفَةُ بأَيَّامِ حُكْمِ السَّلاجقَة؟.

وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ:{أُنْشئَتْ عمَارَتُهُ (المَرْقَدُ) أَيَّامَ حُكْمِ السَّلاجقَة فِيْ المَوْصلِ} فَلَمْ يُوَاته التَّعْبيْرُ. ثُمَّ إنَّهُ نَقَلَ عَنْ تَاريْخِ المَوْصلِ مُدَّةَ حُكْمِ السَّلاجقَة فِيْ المَوْصلِ وَانْتَقَلَ إلَى ذكْرِ مَدْرَسَة الطُّغْرَائيِّ، وَتَكَلَّمَ عَلَى مُنْشئهَا، وَكُلُّ ذَلكَ لَيْسَ لَهُ عَلاقَةٌ بالإمَامِ إبْرَاهيْمَ وَلا بمَرْقَده وَلا بمَسْجده.

ثُمَّ قَالَ: عَنْ حَسْنَةَ خَاتُوْن ابْنَةَ القَرَابلي الّتِيْ لَهَا تُرْبَةٌ بجَانبِ تُرْبَة الإمَامِ إبْرَاهيْمَ: [أَمَّا حَسْنَةُ خَاتُوْن بنْت القَرَابلي فَقَدْ عَثَرْنَا عَلَىْ اسْمِ أَبيْهَا فِيْ تَاريْخِ الكَاملِ حَيْثُ قيْلَ: إنَّهُ منْ قَبيْلَةٍ منَ التُّرْكُمَان يُقَالُ لَهَا سلْفَرْكَانْ][1].

وقد كتب على رخامة بخط الثلث الجميل الأبيات الآتية:

يَاأَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِيْ مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمِمِ

وَلَنْ يَضيْقَ رَسُوْلُ اللهِ جَاهُكَ بِيْ ... إِذَا الكَرِيْمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مِنْتَقِمِ

وقد دفن معظم ذراري آل النقيب فيه كما بقي من شواهدهم، منهم: السيد محمد جواد بن السيد حسين سنة 1312هـ، والسيد محمد تقي بن السيد حسن النقيب في شعبان سنة 1313هـ، والسيد حيدر بن السيد عبد الغني في شهر شوال سنة 1346هـ وقد أرخ وفاته إسماعيل الكبير سنة 1366هـ انظر كتابنا بالعنوان نفسه ص224، وخديجة كمال خاتون بنت شريف.

[1] ص31.

أَقُوْلُ: ذَكَرَ حَسْنَةَ خَاتُوْنٍ هَذه أَنَّهُ عَثَرَ عَلَىْ اسْمِ أَبيْهَا فِيْ الكَامِلِ وَلَكنَّهُ لـــمْ يَـــذْكُرْهُ. وَدَعْوَىْ عُثُوْرِه عَلَيْه فِيْ الكَامِلِ غَيْرُ صَحيْحَة لأَنَّ الكَاملَ ذَكَرَ أَنَّ القَرَابلي هُوَ مِـــنْ قَبيْلَـــة سلْفَركَان التُّرْكُمَانيَّة فَقَطْ وَسَكَتَ عَنْ ذكْرِ اسْمه. أَمَّا كَلمَةُ (القَرَابلي) فَهِيَ كَلمَةٌ تُرْكيَّـــةٌ مَعْنَاهَا (المَعْرُوفُ بِالأَسْوَد) أَوْ (البَيِّنُ السَّوَاد) وَلَيْسَتْ هِيَ اسْمُ أَبِيْ حَسْنَةَ خَاتُوْنٍ كَمَا يَزْعُمُهُ المُؤَلِّفُ، فَهُوَ إِذَنْ لَمْ يَعْثَرْ عَلَى اسْمِه أَبَداً، وَلَوْ قَالَ: (أَمَّا حَسْنَةُ خَاتُوْنٍ فَقَدْ عَثَرْنَا عَلَى ذكْرٍ لأَبيْهَا فِيْ الكَامِلِ) لَصَحَّتْ عبَارَتُهُ.

[1] ص36.



باب مزار الست نفيسة سنة 2007



مقبرة السيدة فاطمة سنة 2007

الجَامِعُ النُّوْرِيُّ/ الجَامِعُ الكَبِيْرُ



صورة نادرة للجامع النوري الكبير 1912 قبل هدم مسجده (وثائق غزوان الحيالي)

لَمَّا أَوْشَكَ هَذَا الجَامِعُ الأَنْوَرُ أَنْ يَنْهَارَ[1] وَيَتَدَاعَىْ بُنْيَانُهُ اهْتَمَّ المَوْصِليُّوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَقْلامِهِمْ بِشَأْنِه، وَطَفِقُوْا يَطْلُبُوْنَ إِلَى الحُكُوْمَة أَنْ تَهْتَمَّ بِتَجْدِيْدِه وَتَعْمِيْرِه، فَسُرْعَانَ مَا لَبَّتْ طَلَبَهُمْ هَذَا لِوَجَاهَتِه، وَخَصَّصَتْ لِتَعْمِيْرِه المَالَ الكَافِيَ وَرَجَتِ السَّرِيَّ الأَمْثَلَ مُصْطَفَىْ بْنَ الحَاجِّ مُحَمَّد الصَّابُوْنِيَّ [2] أَنْ يَقُوْمَ بِالإِشْرَاف عَلَىْ عِمَارَتِه وَعَلَى الإِنْفَاقِ عَلَيْهَا، فَقَامَ ــ جَزَاهُ اللهُ خَيْراً ــ بِمَا اضْطَلَعَ بِه مِنَ الإِشْرَاف عَلَيْهِمَا خَيْرَ قِيَامٍ، وَعَمَّرَهُ بِنَفَقَة لَوْ كَانَ غَيْرُهُ يَقُوْمُ بِهَا لأَنْفَقَ أَضْعَافَ مَا أَنْفَقَهُ هُوَ عَلَيْه، ذَلِكَ لأَنَّهُ ذُوْ اطِّلاعٍ وَاسِعٍ فِيْ الهَنْدَسَةِ العُمْرَانِيَّةِ، وَذُوْ خِبْرَةٍ تَامَّةٍ فِيْ الإِنْفَاقِ عَلَى العُمْرَانِ.

---

[1] هدم الجامع النوري سنة 1939.

[2](1885ــ1954) مصطفى الصابونجي من التجار المبرزين في الموصل، له مبرات عديدة منها: تعمير الجوامع والمساجد وارسال البعثات من طلاب العلم المواصلة الى الأزهر الشريف على نفقته الخاصة.

وَمِمَّا هُوَ جَدِيْرٌ بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ أَنَّهُ عَمَّرَ هَذِه المَنَائِرَ الارْبَعَةَ المَوْجُوْدَةَ الآنَ عَلَى سَطْحِ الجَامِعِ فِيْ زَوَايَاهُ الارْبَعِ مِنْ خَالِصِ مَالِه الخَاصِّ، وَكُنْتُ قَدْ أَرَّخْتُ إِنْشَاءَهَا بِهَذِه الأَبْيَاتِ[1]:

أَفَهَكَذَا تُبْنَى المَآثِرْ	وَتُشَادُ فِيْ الدُّنْيَا المَفَاخِرْ
هَذِيْ مَنَائِرُ مُصْطَفَى	قَدْ وَحَّدَتْهُ فِيْ الأَكَابِرْ
قَدْ أَكْبَرَتْ ذِكْراً لَهُ	مُذْ فَوْقَهَا كَبَّرَ ذَاكِرْ
هُوَ إِنْ يَكُنْ قَدْ شَادَهَا	لَكِنْ عَلَى رُغْمِ المُكَابِرْ
أَرَّخْتُ شِيْدَ لِمُصْطَفَى	فِيْ جَامِعِ النُّوْرِيْ مَنَايِرْ

وَقَدْ أَرَادَ السَّرِيُّ المَذْكُوْرُ السَّيِّدُ مُصْطَفَى الصَّابُوْنِيُّ أَنْ يُخَلِّدَ اسْمَ مُنْشِئِه وَهُوَ المَغْفُوْرُ لَهُ السُّلْطَانُ نُوْرُ الدِّيْنِ زَنْكِيُّ فِيْ كِتَابَةِ اسْمِه عَلَى رُخَامَةٍ يَضَعُهَا فِيْ الجَامِعِ فِيْ مَحَلٍّ بَارِزٍ فِيْه، فَأَشَارَ عَلَيْه مُؤَلِّفُ هَذَا الكِتَابِ الّذِيْ تَفَرَّغْنَا لِنَقْدِه وَهُوَ أَحْمَدُ الصُّوْفِيُّ بْنُ عَلِيٍّ المَوْصِلِيُّ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى الرُّخَامَةِ مَعَ اسْمِ السُّلْطَانِ نُوْرِ الدِّيْنِ زَنْكِيٍّ عَلَيْه الرَّحْمَةُ اسْمَ مَنْ وَلاَّهُ عِمَارَةَ جَامِعِه هَذَا وَهُوَ عَلَى زَعْمِه مُحَمَّدٌ المَلاَّءُ المَوْصِلِيُّ وَاسْمَ مَنِ اقْتَرَحَ عَلَيْه بِنَاءَهُ فِيْ المَكَانِ الّذِيْ هُوَ فِيْه الآنَ وَهُوَ عَلَى ظَنِّه الشَّيْخُ عُمَرُ المَلاَّءُ.

فَكُتِبَتْ اسْمَاءُ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ الثَّلاثَةِ وَهُمُ: السُّلْطَانُ نُوْرُ الدِّيْنِ زَنْكِيُّ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ المَلاّءُ وَالشَّيْخُ عُمَرُ المَلاّءُ عَلَى رُخَامَةٍ وُضِعَتْ فَوْقَ المِحْرَابِ بِحَالَةٍ يَتَّجِهُ إِلَيْهَا المُصَلُّوْنَ وَيَنْحَنُوْنَ أَمَامَ اسْمَائِهِمْ أَثْنَاءَ الصَّلاةِ. وَلَمَّا كَانَ كُلُّ مَا فِيْ هَذِه الصَّخْرَةِ غَلَطٌ فِيْ غَلَطٍ، غَلَطٌ فِيْ مَا كُتِبَ عَلَيْهَا، غَلَطٌ فِيْ وَضْعِهَا أَمَامَ المُصَلِّيْنَ فَوْقَ المِحْرَابِ فِيْ الجِهَةِ الّتِيْ يَسْجُدُوْنَ إِلَيْهَا، لَمْ يَرْتَضِ ذَلِكَ أُولُوا الفَضْلِ مِنْ حَمَلَةِ العِلْمِ وَالأَقْلامِ فَأَبَانُوْا بِالحِجَجِ الدَّامِغَةِ وَالبَرَاهِيْنِ

[1] نشرت هذه الأبيات في كتابنا الموسوم (إسماعيل الكبير الأديب والمؤرخ) ص223.

اللاّمعَة غَلَطَ وَضْعِ هَذه الصَّخْرَة فِيْ قِبْلَة المُصَلِّيْنَ فَوْقَ مِحْرَابِهِمْ وَخَطَأَ مَا كُتِبَ عَلَيْهَا، وَنَشَرُوْا ذَلِكَ فِيْ مَجَلَّة الجَزِيْرَة الزَّاهِرَة المَوْصِلِيَّة[1].

وَكُنْتُ أَنَا وَالأُسْتَاذُ سَعِيْدُ الدَّيْوَهْ جِيُّ وَالدُّكْتُوْرُ دَاوُدُ الجَلَبِيُّ أَوَّلَ مَنِ اهْتَمَّ بِبَيَانِ ذَلِكَ الخَطَأ البَيِّنِ بِمَا أَذَعْنَاهُ بِأَلْسِنَتِنَا وَأَقْلامِنَا. وَقَدْ كَتَبْتُ جُزْءاً خَاصّاً حَافِلاً بِكُلِّ مَا دَارَ مِنَ البَحْث عَنْ هَذه الرُّخَامَة وَحَوْلَ غَلَط كِتَابَتِهَا وَخَطَأ وَضْعِهَا فَوْقَ المِحْرَاب، فَرَاجِعْهُ إِنْ شِئْتَ[2]. وَقَدْ أَثْبَتُّ فِيْهِ أَنَّ الّذِيْ بَنَى الجَامِعَ الكَبِيْرَ هَذَا هُوَ السُّلْطَانُ نُوْرُ الدِّيْنِ زَنْكِيٌّ وَأَنَّ الّذِيْ تَوَلَّى عِمَارَتَهُ هُوَ الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّد المَلاّءُ لا أَنْ أَشَارَ بِعِمَارَته هُوَ الشَّيْخُ عُمَرُ المَلاّءُ وَأَنَّ الّذِيْ تَوَلَّى عِمَارَتَهُ هُوَ أَبُوْهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ المَلاّءُ كَمَا قَدْ كُتِبَ غَلَطاً عَلَى تِلْكَ الرُّخَامَة.

وَقَالَ: عَنْ مَنَارَة هَذَا الجَامِع: [فِيْ كُلِّ وَجْه مِنْ وُجُوْهِهَا نُقُوْشٌ][3].

أَقُوْلُ: الصَّوَابُ أَنْ يَقُوْلَ: فِيْ كُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَوْجُهِهَا نُقُوْشٌ، لأَنَّ الوُجُوْهَ جَمْعُ كَثْرَةٍ، وَالمَنَارَةُ غَيْرُ ذَات وُجُوْه كَثِيْرَة.

وَقَالَ أَيْضاً عَنِ المَنَارَةِ المَذْكُوْرَةِ: [يَنْقُصُ قُطْرُهَا تَدْرِيْجِيّاً حَتَّى يَبْلُغَ مِتْرَيْنِ وَكُسُوْرٍ][4].

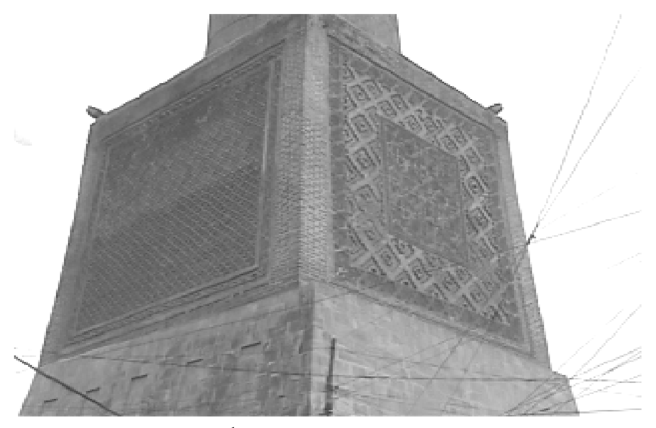
---

[1] في العددين 7 و 8 لسنة 1946.

[2] وهو أثر للمؤلف بعنوان (وَكْفُ الغَمَامَةِ لِمَحْوِ مَا كُتِبَ عَلَى الرُّخَامَة) كتبه سنة 1367هـ ونشره مركز دراسات الموصل بتحقيقنا. وكذلك ما جمعه بخط يده في كراس سماه (إتحاف الألباء من تاريخ الموصل الحدباء) ضم فيه مقالات وردود الباحثين على الصوفي، أمثال الجلبي والديوه جي والقسرحماني والصوفي.

[3] ص41.

[4] ص41 بتصرف من آل فرج.



وجهان من نقوش منارة الجامع الكبير سنة 2007

أَقُوْلُ: الصَّوابُ أَنْ يَقُوْلَ: [حَتَّى يَبْلُغَ مِتْرَينِ وَكُسُوْراً مِنَ المِترِ] لأَنَّ كُسُوْراً مَصْرُوْفٌ يَجِبُ تَنْوِيْنُهُ.

وَقَالَ: عَنْ كِتَابَةٍ في مِحْرَابِ الجَامِعِ: [قَدْ أَصَابَ حُرُوْفَهَا العَطَبُ يَعْسُرُ قِرَاءَتُهَا][1].

أَقُوْلُ: وَالصَّحِيْحُ أَنْ يَقُوْلَ: [قَدْ أَصَابَ حُرُوْفَهَا العَطَبُ لِذَلِكَ تَعْسُرُ قِرَاءتُهَا].

وَقَالَ عَنِ الأَتَابِكِيِّيْنَ: [وَهُمُ الّذِيْنَ جرَتِ المَوَاقِعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الإِفْرَنْجِ فَانْتَصَرُوْا عَلَيْهِمْ بِدُوْنِ مُسَاعَدَةِ قِسْمٍ آخَرَ مِنْ دَوْلَتِهِمْ][2].

أَقُوْلُ: تَكْرِيْرُ كَلِمَةِ (بَيْنَ) فِيْ جُمْلَةٍ مَا، لَمْ يَرِدْ فِيْ الفَصِيْحِ نَثْراً وَإِنْ وَرَدَ تِكْرَارُهَا فِيْ الشِّعْرِ، قَالَ المُقَفَّعُ الكِنْدِيِّ:

وَإِنَّ الّذِيْ بَيْنِيْ وَبَيْنَ بَنِيْ أَبِيْ وَبَيْنَ بَنِيْ عَمِّيْ لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

وَأَمَّا فِيْ النَّثْرِ فَلَمْ يَرِدْ فِيْ كَلامِ الفُصَحَاءِ تِكْرَارُهَا، فَلا يَسُوْغُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُقَالَ مَثلاً: (جَرَى بَحْثٌ بَيْنَ فُلانٍ وَبَيْنَ فُلانٍ) بَلْ يَقُوْلُوْنَ: جَرَى بَحْثٌ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو بِدُوْنِ تَكْرِيْرِ كَلِمَةِ (بَيْنَ).

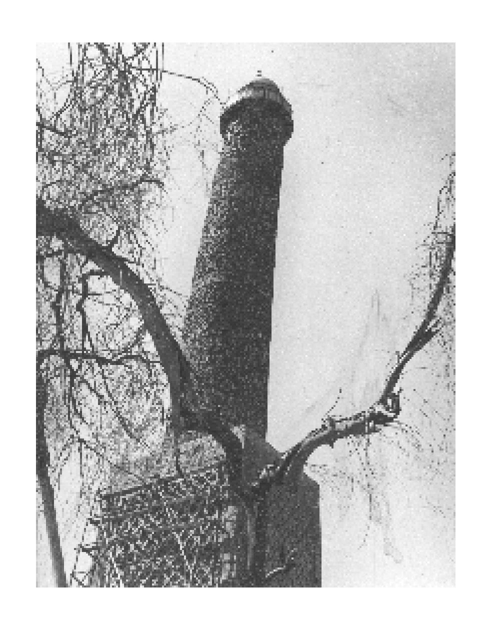
---

[1] ص42.

[2] ص44.

ثُمَّ إِنَّ ذِكْرَ كَلِمَةَ (المَوَاقِعُ) فِيْ جُمْلَتِه هَذه لَيْسَ بِذيْ وَقْعٍ حَسَنٍ لأَنَّ (المَوَاقِـعَ) جَمْـعُ (مَوْقِعٍ) وَالمَوْقِعُ مَكَانُ الوقُوْعِ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ: {وَجَرَت (الوَقَـائِعُ) بَيْـنَهُمْ...} لأَنَّ الوَقَائِعَ جَمْعُ (وَقِيْعَةٍ)، وَهِيَ صَدْمَةُ الحَرْبِ وَالقِتَالِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ المَوَاقِـعَ وَالوَقَـائِعِ فَأَوْرَدَ الأوْلَى بَدَلَ الثَّانِيَة، فَلَمْ يَكُ مُوَفَّقاً فِيْ تَعْبِيْرِه.

(وفي ص41ــ 45) قَسَّمَ الدَّوْلَةَ الأَتَابكيَّة إِلَى أَرْبَعَة أَقْسَامٍ، ذَكَرَ بِدَايَةَ كُلِّ قِسْمٍ مِنْهَـا وَنِهَايَتَه، إِلاّ الرَّابِعَ مِنْهَا، فَإِنَّهُ ذَكَرَ بِدَايَتَهُ وَسَكَتَ عَنْ نِهَايَتِه، فَجَاءَ بَحْثُهُ نَاقِصاً[1].



منارة الجامع النوري الكبير عام 1956

[1] ذكر الصوفي ما نصه: [الرابع: أمراء لارستان وكانت ولايتهم من أواسط القرن الثامن] استناداً الى كتاب دائرة المعارف للبستاني 429/2.

مَرْقَدُ الإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ



قبة مرقد الإمام عبد الرحمن سنة 2007

قَالَ عَنْهُ: [يَقَعُ فِيْ مَحَلَّةِ الخَاتُوْنِيَّةِ، فِيْ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ مِنَ المَدِيْنَةِ][1].

أَقُوْلُ: هَذَا صَحِيْحٌ وَمُشَاهَدٌ، وَلَكِنِ اسْتَمِعْ إِلَى مَا يَقُوْلُهُ بَعْدَ هَذَا مُبَاشَرَةً: [وَيَظْهَرُ أَنَّ البِنَايَةَ الأَصْلِيَّةَ كَانَتْ قَدْ تَدَاعَتْ ثُمَّ شُيِّدَتْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَرُبَّمَا تَكُوْنُ البِنَايَةُ الحَالِيَّةُ هِيَ ثَالِثُ عِمَارَةٍ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ مِنْ طَرْزِ البِنَاءِ][2].

---

[1] ص47.

[2] ص47. ويذكر في جزازة مذيلة بتوقيعه على صفحة كتابه الذي اهداه الى عبد الله الملاح: [وقد ظهر لي بعد البحث والتحري والتنقيب أن مرقد الإمام عبد الرحمن الحالي في الموصل ما هو إلاّ المدرسة العزية الذي شيدها الملك عز الدين بن مودود الأتابكي في الموصل سنة 536هـ، ومن أراد المزيد من المعلومات فليراجع كتابنا خطط الموصل الجزء الاول صحيفة 47و 48].

وَنَحْنُ نَقُوْلُ: أَيُّ بِنَايَةِ أَصْلِيَّةِ يَعْنِيْ فِيْ جُمْلَتِه هَذِه؟ أَهِيَ بِنَايَةُ المَرْقَدِ أَمْ بِنَايَةُ المَسْجِدِ الّذِيْ اتُّخِذَ عَلَيْه؟ أَمْ بِنَايَةٌ أُخْرَى غَيْرُ هَاتَيْنِ البِنَايَتَيْنِ؟ وَقَوْلُهُ عَنْهَا إِنَّهَا قَدْ تَدَاعَتْ ثُمَّ شُيِّدَتْ عِـــدَّةَ مَرَّاتٍ، حَدَسٌ وَتَخْمِيْنٌ وَلَغْوٌ مِنَ القَوْلِ لا يَسْتَنِدُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الأَدِلَّةِ اليَقِيْنِيَّـــةِ والحَقَـــائِقِ التَّارِيْخِيَّةِ لِذَلِكَ لا يُمْكِنُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْه بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ وَالقَبُوْلِ.

ثُمَّ قَالَ: [يَقُوْلُ صَاحِبُ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ: (الإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الحُـــسَيْنِ رَضِـــيَ اللهُ عَنْهُمَا، هَكَذَا يَقُوْلُ النَّاسُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَوْلادِه مِنَ البُطُوْنِ النَّازِلَةِ مِنْهُ وَأَظُنُّهُ مِنْ تَعْمِيْـــرِ المَلِكِ لُؤْلُؤَ)][1].

أَقُوْلُ: ذَكَرَ هَذَا، ثُمَّ رَدَّ عَلَى صَاحِبِ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ بِقَوْلِهْ: [غَيْرَ أَنَّ الكِتَابَاتِ المَوْجُوْدَةَ فَوْقَ بَابِ قَاعَةِ المَشْهَدِ تَقُوْلُ بِأَنَّ الّذِيْ شَيَّدَهُ هُوَ المَلِكُ مَسْعُوْدٌ بْنُ مَـــوْدُوْدٍ أَحَـــدُ المُلُـــوْكِ الأَتَابكِيِّيْنَ (76 ــ589هـ)][2].

وَلَكِنَّهُ سَكَتَ عَنْ تَرَدُّدِ صَاحِبِ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ فِيْ نِسْبَةِ الإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى سَـــيِّدِنَا الحُسَيْنِ السِّبْطِ u أَهُوَ إِبْنُهُ لِصُلْبِه أَمْ هُوَ مِنَ البُطُوْنِ النَازِلَةِ مِنْهُ، وَلَمْ يَقُمْ بِتَحْقِيْقٍ يُثْبِـــتُ لَنَا بِه أَيَّ طَرَفَيِّ قَوْلِ صَاحِبِ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ هُوَ الصَّحِيْحُ؟ وَتَرَكَ الشَّكَّ وَالتَّرَدُّدَ عَلَى حَالِه، وَلَمْ يَأْتِنَا بِفَائِدَةٍ تُذْكَرُ فِيْ هَذَا الشَّأْنِ، فَكَانَ بَحْثُهُ هَذَا مَبْتُوْراً وَغَيْرَ مُفِيْدٍ.

وَنَحْنُ نَقُوْلُ: إِنَّ سَيِّدَنَا الحُسَيْنَ السِّبْطَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ البَتَّةَ، وَيَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ الإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا ابْنَ الإِمَامِ مُوْسَى الكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِمُ الـــسَّلامُ، أَوْ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ القَاسِمِ بْنِ إِدْرِيْسَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ الهَادِيّ بْنِ الإِمَامِ مُحَمَّـــدٍ

---

[1] ص47 وبتصرف. وذكر ياسين العمري في منيته أنه عبد الرحمن بن الحسين أيـــضاً ص109وكـــذلك أخوه في منهله.

[2] ص47. ذكر الجليلي في الانتصار الورقة 207 أنه: من بناء الملك مسعود بن مودود، هكذا مكتـــوب على باب مشهده. وانظر سيوفي في مجموعه ص145.

الجَوَاد عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَفِيْ مَدْحِ الإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا يَقُوْلُ الشَّيْخُ المَلاّ حَسَنُ البَزَّازُ المَوْصِلِيُّ[1]:

إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ خَيْرُ إِمَامٍ	يَمَّمَ المُرْمِلُوْنَ يَمَّ نَدَاهُ
وَأَنَا اليَوْمَ قَدْ مَدَدْتُ إِلَيْهِ	كَفَّ فَقْرِيْ مُسْتَمْطِراً جَدْوَاهُ
إِنَّ ظَنِّيْ لا بَلْ يَقِيْنِيَ كَاسْمِيْ	حَسَنٌ، فِيْ نَوَالِهِ وَعَطَاهُ
لَيْتَ شِعْرِيْ وَهَلْ يَخيْبُ رَجَائِيْ	فِيْهِ، لا لا وَجَدِّهِ حَاشَاهُ

وَجَاءَ فِيْ كِتَابِ الإِنْتِصَارِ لِلشَّيْخِ يُوْسُفِ الجَلِيْلِيِّ أَنَّ إِلَى جَانِبِ حَضْرَتِه المُنَوَّرَةِ مِنَ الجَانِبِ قَبْرَ العَالِمِ الفَاضِلِ السَّيِّدِ فَخْرِ الدِّيْنِ الحُسَيْنِيِّ وَقُبُوْرَ أَوْلادِهِ الكِرَامِ[2].

---

[1] ص75 من ديوان البزاز، وهو الملاّ حسن بن حسين المعروف بالبزاز، الخزرجي، ولد بالموصل سنة 1257هـ وتوفي بها سنة 1305هـ، أنظر كتابنا تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل ص144.

[2] الورقة 207، وقد أورد نسبه الى أنه ابن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب، وكذلك قبور السادة يحيى وعابد وحامد أولاد السيد فخر الدين جد آل الفخري في مدينة الموصل، وكذلك العلماء السادة: خليل حافظ وحسن المفتي وقاسم.

المَدْرَسَةُ الزَّيْنِيَّةُ[1]

مَدْرَسَةُ يُونُسٍ النَّحْوِيِّ ـ جَامِعُ شَيْخِ الشَّطِّ



قبة المدرسة الكمالية المطلة على نهر دجلة سنة 2007

سَمَّى مَدْرَسَتَهُ هَذِه بِهَذِه الأَسْمَاءِ الثَّلاثَة، وَلَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ تَسْمِيَتِهَا بِهَا، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ تَسْمِيَتِهَا بِوَاحِدٍ مِنْهَا. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ عَنْهَا:

[1] كنا قد نشرنا مقالاً بجريدة الحدباء الموصلية (صفحة دراسات) بالعدد 682 في 4 تموز 1995 بعنوان (مسجد زين الدين)، هذا بعض منه أبينه بحسب الفقرات التي ذكرها آل فرج : (ذكرت مصادرنا الحديثة أن هذه المدرسة تقع في محلة الشهوان جنوبي شط المكاوي على شاطيء دجلة على موقع عالٍ ليس بينها وبين السور الراكد (السكر) على جرف النهر سوى عرض الطريق بينهما ... .

[تَقَعُ المَدْرَسَةُ الزَّيْنِيَّةُ فِيْ مَحَلَّةِ رَأْسِ الكُوْرِ][1]. وَنَقَلَ عَنْ مَخْطُوْطاتِ المَوْصِلِ للدُّكْتُوْر دَاوُدٍ الجَلَبِيِّ أَنَّ الّذيْ بَنَاهَا نُوْرُ الدِّيْنِ أَبُوْ الحَسَنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ قَالَ: [تُوُفِّيَ زَيْنُ الدِّيْنِ سَنَةَ 563هـ][2].

وَنَحْنُ نَقُوْلُ: إِنْ كَانَ بَانِيْهَا نُوْرُ الدِّيْنِ كَمَا يَقُوْلُ المُؤَلِّفُ فَلِمَاذَا سَمَّاهَا (الزَّيْنِيَّةَ) وَلَمْ يُسَمِّهَا (النُّوْرِيَّةَ) نِسْبَةً إِلَى نُوْرِ الدِّيْنِ الّذيْ يَزْعُمُ المُؤَلِّفُ أَنَّهُ بَنَاهَا؟ ثُمَّ مَنْ نُوْرُ الدِّيْنِ هّذَا؟ وَلِمَاذَا ذَكَرَهُ المُؤَلِّفُ هَا هُنَا؟ وَكَيْفَ نُسِبَت المَدْرَسَةُ إِلَى غَيْرِه؟[3]. أَيَبْنِيْهَا نُوْرُ الدِّيْنِ ــ كَمَا يُزْعَمُ ــ وَتُنْسَبُ إِلَى زَيْنِ الدِّيْنِ؟ إِنَّهُ إِذَنْ لَذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ، وَلَكِنْ لا غَرَابَةَ فِيْ ذَلِكَ إِذْ كَثِيْراً مَا قِيْلَ: رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِد.

وَحَيْثُ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مَعْقُوْلٍ رَجَعْنَا إِلَى كِتَابِ مَخْطُوْطَاتِ المَوْصِلِ الّذيْ نَقَلَ عَنْهُ المُؤَلِّفُ هَذَا القَوْلَ، فَلَمْ نَجِدْ فِيْهِ لِنُوْرِ الدِّيْنِ ذِكْراً، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ فِيْهِ أَنَّ الّذيْ بَنَاهَا هُوَ زَيْنُ الدِّيْنِ أَبُوْ الحَسَنِ عَلِيّ كُجُكْ بْنُ بُكْتُكِيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ أَبُوْ المَلِكِ المُعَظِّمِ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ بْنِ سَعِيْدٍ

---

[1] ص49.

[2] ص49.

[3] أخطأ الصوفي عندما ذكر أن بانيها هو نور الدين علي مرتين، مرة في كتابه المذكور أعلاه، وأخرى عندما كتب عن المعاهد العلمية القديمة في الموصل المنشورة في جريدة فتى العراق بالعدد 397 في 10 آب 1944، وكما ذكر إسماعيل حقي فرج بمخطوطه، إلاّ أنني وجدت في النجوم الزاهرة ج5 ص330 أن الخطأ موجود في أصل النسخة التي حققها طابعها وقد استدركها المؤلف في كتابه وفي عقد الجمان وشذرات الذهب.

أقول: ورد ذكر مدرستين لتدريس الفقه الشافعي، الاولى: بأمر نور الدين محمود بن زنكي المتوفى سنة 568هـ وكلف بها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري، إلاّ أن وفاته حالت دون الشروع في بنائها، أنظر إبن الأثير، الكامل في التاريخ ج11 ص177. والمدرسة الشافعية الأخرى: بنيت بأمر من أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي المتوفى سنة 607هـ ودفن بها، أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان ج1 ص77، وكلاهما كانا يلقبان بنور الدين، ولعل اللبس جاء من هنا، بالرغم من أن آل فرج أصر على أن الخطأ فيه إصرار، والله أعلم.

كُوْكَبريِّ صَاحِبِ أَرْبِلَّ[1] فَقُلْنَا فِيْ نَفْسِنَا للهِ دَرُّ المُؤَلِّفِ مَا أَدَقَّهُ بِنَقْلِهِ، ثُمَّ كَيْفَ سَاغَ لَهُ هَذَا التَّعْبِيْرَ وَالتَّغْيِيْرَ؟.

وَقَدْ سُمِّيَ عَلِيٌّ هَذَا (كُوْجُكْ) لأَنَّهُ كَانَ قَصِيْراً، إِذْ كَلِمَةُ (كُوْجُكْ) هَذِه كَلِمَةٌ تُرْكِيَّةٌ مَعْنَاهَا (صَغِيْرٌ) وَكَذَلِكَ كَلِمَةُ (كُوْكَبرِيٌّ) كَلِمَةٌ تُرْكِيَّةٌ أَيْضاً مَعْنَاهَا بِالعَرَبِيَّةِ (الذِّئْبُ الأَزْرَقُ). هَذَا، وَلَقَائِلٍ يَقُوْلُ: إِنَّ فِيْ عِبَارَةِ المُؤَلِّفِ هَذِه غَلَطٌ قَدْ يَكُوْنُ نَاتِجاً عَنْ سَهْوٍ أَوْ هَفْوَةٍ قَلَمِيَّةٍ غَيْرِ مَقْصُوْدَةٍ، وَإِلاَّ كَيْفَ يَسُوْغُ لَهُ أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّ بَانِيَ هَذِه المَدْرَسَةِ هُوَ نُوْرُ الدِّيْنِ ثُمَّ يَنْسبُهاَ إِلَى زَيْنِ الدِّيْنِ صَاحِبِ أَرْبِلَّ، ثُمَّ يُسَمِّيْهَا (المَدْرَسَةَ الزَّيْنِيَّةَ)؟.

وَنَحْنُ نَقُوْلُ: إِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ، لأَنَّ المُؤَلِّفَ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا فِيْ رِسَالَتِه هَذِه، وَالأُخْرَى فِيْ مَقَالٍ لَهُ نَشَرَهُ فِيْ جَرِيْدَةِ فَتَى العِرَاقِ المَوْصِلِيَّةِ فِيْ عَدَدِهَا المُرَقَّمِ بـ (397 ـ 544) وَالمُؤَرَّخِ 21 شعبان سنة 1363هـ عُنْوَانُهُ (المَعَاهِدُ العِلْمِيَّةُ القَدِيْمَةُ فِيْ المَوْصِلِ) وَهَذَا نَصُّ مَاجَاءَ فِيْ مَقَالِه المَذْكُوْرِ: (تَقَعُ المَدْرَسَةُ الزَّيْنِيَّةُ فِيْ مَحَلَّةِ رَأْسِ الكُوْرِ عَلَى شَاطِيءِ دِجْلَةَ فَوْقَ أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ بَنَاهَا نُوْرُ الدِّيْنِ أَبُوْ الحَسَنِ عَلِيٌّ كُجُكْ... تُوُفِّيَ زَيْنُ سَنَةَ 563هـ).

فَلَوْ كَانَ يَعْتَقِدُ المُؤَلِّفُ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِيْ تَلْقِيْبِ (عَلِيٍّ كُجُكْ) بـ (نُوْرِ الدِّيْنِ) بَدَلَ أَنْ يُلَقِّبَهُ بـ (زَيْنِ الدِّيْنِ) فِيْ رِسَالَتِه هَذِه لَتَنَبَّهَ إِلَى ذَلِكَ وَلَصَحَّحَ خَطَأَهُ هَذَا فِيْ مَقَالِه الَّذِيْ نَشَرَهُ فِيْ جَرِيْدَةِ فَتَى العِرَاقِ الَّذِيْ ذَكَرْنَاهْ. وَهُوَ مَقَالٌ قَدْ كَتَبَهُ بَعْدَمَا كَتَبَ رِسَالَتَهُ هَذِه بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ، وَمِنْهُ يَظْهَرُ أَنَّهُ مُصِرٌّ عَلَى اعْتِقَادِ صِحَّةِ هَذَا الخَطَأ المُبِيْنِ. وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ المُؤَلِّفَ قَدْ غَلَطَ فِيْ لَقَبِ بَانِيْ هَذِه المَدْرِسَةِ الزَّيْنِيَّةِ دُوْنَ اسْمِه، وَلَوْ غَلَطَ فِيْهِمَا مَعاً لَكَانَ غَلَطاً مُضَاعَفاً فَضِيْعاً.

ثُمَّ قَالَ: [وَالزَّيْنِيَّةُ هَذِهِ هِيَ المَعْرُوْفَةُ الآنَ بِمَدْرَسَةِ يُوْنُسٍ النَّحْوِيِّ][2].

---

[1] الجلبي، داود ص22.

[2] ص49.

أَقُوْلُ: إِنَّنَا لا نُسَلِّمُ أَنَّ هَذه البنَايَة هيَ بنَايَةٌ كَانَتْ مَدْرَسَةً فَضْلاً عَنْ كَوْنهَا المَدْرَسَة الزَّيْنيَّةَ بعَيْنهَا. غَايَةَ مَا فيْ الأَمْر أَنَّ هَذه البنَايَةَ الّتيْ يُسَمِّيْهَا المُؤَلِّفُ (مَدْرَسَةً) هيَ بنَايَةُ جَامعٍ كَانَ قَدْ عَمَّرَهُ أَحْمَدُ بَاشَا بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ[1] لا بنَايَةَ مَدْرَسَةٍ مُتَهَدِّمَةٍ كَانَ قَدْ جَدَّدَ عمَارَتَهَا أَحْمَدُ بَاشَا المَذْكُوْر.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى أَنَّهَا جَامعٌ لا مَدْرَسَةٌ مَا كُتبَ عَلَى بَابه، وَالكتَابَةُ لَمَّا تَزَلْ مَوْجُوْدَةً مُشَاهَدَةً، وَنَصُّهَا: (تَطَوَّعَ بعمَارَة هَذَا الجَامعِ الشَّرِيْف أَحْمَدُ بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ). وَلَوْ كَانَ أَصْلُهُ مَدْرَسَةً مُتَهَدِّمَةً مُنْهَارَةً لَكُتبَ عَلَى بَابهَا تَطَوَّعَ بتَجْدِيْد عمَارَة هَذه المَدْرَسَة أَحْمَدُ بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ، وَأَنَا أَعْتَقدُ أَنَّ المَدْرسَةَ الزَّيْنيَّةَ هَذه الّتيْ يَبْحَثُ المُؤَلِّفُ عَنْهَا قَد انْدَرَسَتْ مَعَالمُهَا وَطُمسَتْ آثَارُهَا وَأَصْبَحَ مَوْقعُهَا مَجْهُوْلاً كَمَا انْدَرَسَتْ وَجُهلَتْ مَوَاقعُ غَيْرُهَا منَ المَدَارسِ المَوْصليَّة الأَتَابكيَّة منْهَا وَغَيْرِ الأَتَابكيَّة كَالمَدْرَسَة العَتيْقَة وَالمَدْرَسَة العزِّيَّة وَالمَدْرَسَة النُّوْريَّة وَالمَدْرَسَة القَاهريَّة الأَتَابكيَّات، وَكَالمَدْرَسَة النِّظَاميَّة الّتيْ أَنْشَأَهَا فيْ المَوْصلِ نظَامُ المُلْك وَزِيْرُ السَّلاجقَة، وَكَالمَدْرَسَة العَلائيَّة وَالمَدْرَسَة البَدْريَّة وَالمَدْرَسَة النَّفيْسَة الّتيْ ذَكَرَهُنَّ ابْنُ خلِّكَان وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَاءَ بُنَاتهَا، وَكَالمَدْرَسَة البَكْتَاشيَّة الّتيْ ذَكَرَهَا الدُّكْتُوْرُ دَاوُدُ الجَلَبيُّ فيْ مَخْطُوْطَات المَوْصلِ وَلَمْ يَعْزُهَا إِلَى أَحَد أَيْضاً، وَكَالمَدْرَسَة الّتيْ أَنْشَأَهَا لُؤْلُؤٌ بْنُ عَبْد الله فيْ القَلْعَة وَدُفنَ فيْهَا، وَكَمَدْرَسَة مُجَاهد الدِّيْن قَايْمَازِ الّتيْ أَنْشَأَهَا مُجَاورَةً لجَامعه، فَهَذه المَدَارسُ وَغَيْرُهَا اللاّتيْ ذَكَرْنَاهَا هَا هُنَا منْهَا مَا أُنْشئَتْ قَبْلَ المَدْرَسَة الزَّيْنيَّة وَمنْهَا مَا أُنْشئَتْ بَعْدَهَا، وَكُلُّهَا الآنَ غَيْرُ مَوْجُوْدَات وَغَيْرُ مَعْرُوْفَات المَوَاقعِ إِلاّ المُجَاهديَّةَ فَإِنَّهَا مَعْرُوْفَةُ المَوْقعِ فيْ الجُمْلَة وَلَكنَّهَا قَد انْدَثَرَتْ أَيْضاً.

وَلا إِنْكَارَ عَلَيْنَا إِذَا مَا قُلْنَا إِنَّ المَدْرَسَةَ الزَّيْنيَّةَ قَدْ دَخَلَتْ مَعَهُنَّ فيْ خَبَرِ كَانَ، كَمَا انْدَثَرَتْ وَدَخَلَتْ فيْه فيْ عَصْرنَا الحَاضرِ مَدْرَسَةُ آل مُحْضرِ بَاشيْ الّتيْ كَانَتْ فيْ سُوْقِ

---

[1] تولى ولاية الموصل سنة 1223هـ وحكم فيها عدة أشهر ثم قتل بسبب صراعه مع الجليليين سنة 1224هـ انظر العمري، ياسين، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء 292.

الشَّعَّارِيْنَ وَمَدْرَسَةُ المَلاّ زَكَرٍ الوَاقِعَة فِيْ مَحَلَّة باب العِرَاقِ وَابْتَلَعَهَا شَارِعُ الفَارُوْقِ الّذيْ فُتِحَ فِيْ المَوْصِلِ سَنَةَ 1366هـ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمَا أَثَرٌ يُذْكَرُ[1].

إِذَنْ فَلْيَتَحَرَّ المُؤَلِّفُ مَدْرَسَتَهُ الزَّيْنِيَّةَ، وَلْيُفَتِّشْ عَنْ مَدْرَسَةِ يُوْنُسٍ النَّحْوِيِّ فِيْ غَيْرِ هَـذَا الجَامِعِ الشَّرِيْفِ، ثُمَّ أَيُّ يُوْنُسٍ النَّحْوِيِّ هَذَا الّذيْ نَسَبَ إِلَيْهِ المُؤَلِّفُ هَـذِهِ المَدْرَسَـةِ الّـتِيْ يُسَمِّيْهَا الزَّيْنِيَّةَ؟.

لا شَكَّ أَنَّ نسبَتَهَا إِلَيْهِ غَيْرُ صَحِيْحَةٍ[2] لأَنَّ يُوْنُسَ النَّحْوِيِّ إِمَامُ نُحَاةِ البَصْرَةِ فِيْ عَصْرِهِ وَشَيْخُ سِيْبَوَيْهِ وَالكِسَائِيِّ وَالفَرَّاءِ وَأَبِيْ عُبَيْدَةَ (مُعَمَّرٍ بْنِ المُثَنَّى) وَخَلَفٍ الأَحْمَرِ وَغَيْرِهِمْ، كَانَ مَوْلِدُهُ فِيْ البَصْرَةِ سَنَةَ ثَمَانِيْنَ، وَمَاتَ فِيْهَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ وَمَائَـةٍ عَـنْ مَائَـةٍ وَثِنْتَـيْنِ،

---

[1] ذكرت معظم هذه المدارس في وفيات الأعيان لابن خلكان 602/1. أما المدرسة الصارمية في الموصل التي درّس فيها مسند الموصل الشيخ المقريء سمّار بن عمر بن محمد العويش النيّار، أبو بكـر، فـان معظم المصادر لم تذكرها، علماً أن الغزي في كتابه الكواكب السائرة 241/1 قد ذكر وجود مدرسة بهذا الاسم في مدينة دمشق التي أنشئت سنة 622هـ، ولم تذكر مصادر أخرى هذه المدرسـة الـتي انفرد بذكرها الإمام الذهبي في تذكرته 1403/4. وانظر كتابنا الموسوم تـراجم قـراء القـراءات القرآنية في الموصل ص48. وأما شارع الفاروق فقد أرخ آل فرج افتتاحه بقصيدة نشرت في كتابنا الموسوم إسماعيل الكبير الأديب والمؤرخ ص258.

ومن المدارس المندثرة أيضاً: المدرسة العزّية للفترة ما بين 576-589هـ والمعروف أن بقاياها قرب مرقـد الإمام عبد الرحمن. والكمالية القضوية ماقبل سنة 572هـ. ومدرسة ابن الشيرجي وأبناء بلـدجي. للاستزادة أنظر كتابنا الموسوم: المكتبات العامة الموصلية.

[2] ذكر في المصادر الحديثة كون هذه المدرسة لابن يونس أو يونس النحوي فان هـذه النـسبة غـير صحيحة بحسب رد إسماعيل فرج بقوله: (لأن يونس النحوي إمام نحاة البصرة..) فعليـه إن خطـأ تسمية هذه المدرسة باسم ابن يونس آت من بيتي الشعر اللذين ذكرهما العماد البجائي في حق كمال الدين بن يونس بقوله (كرقة شعري وكدين ابن يونس) مما أوهم المؤرخين المحدثين في نـسبته، وأمـا كونه نحوياً فانه لم يكن كذلك ولم يشتهر بهذا الفن لوحده بل كان يتقن أربعة وعشرين فنـاً درايـة متقنة.

وَالَمسْجدُ الزَّيْنِيُّ الّذيْ يُسَمِّيْه الُمؤَلِّفُ (الَمدْرَسَةَ الزَّيْنِيَّةَ) قَدْ تَمَّ إِنْشَاؤُهُ قَبْلَ سَــنَة 563هـــ، وَعَلَيْهِ فَتكُوْنُ وَفَاةُ يُوْنُسٍ النَّحْوِيِّ قَبْلَ إِنْشَائِه بِأَكْثَرَ مِنْ إِحْدَى وَثَمانِيْنَ وَثَلاثِمَائَــةِ سَــنَة، فَكَيْفَ إِذَنْ سَاغَ لِلْمُؤَلِّفِ أَنْ يَنْسُبَ مَدْرَسَتَهُ الزَّيْنِيَّةَ هَذه إِلَيْه؟.

هَذَا، وَإِنَّ الّذيْ دَرَّسَ فِيْ الَمسْجِدِ الجَامِعِ الّذيْ بَنَاهُ زَيْنُ الدِّيْنِ صَاحِبُ أَرْبلَّ هُوَ يُوْنُسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَعَةَ الّذيْ تَرْجَمَهُ ابْنُ خلِّكَانَ، لا يُوْنُسُ النَّحْوِيِّ. وَقَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْته جَمَاعَــةٌ فُضَلاءٌ مِنْهُمْ وَلَدُهُ كَمَالُ الدِّيْنِ مُوْسَى بْنُ أَبِيْ الفَضْلِ يُوْنُسَ بْنِ مَنَعَةَ الَمذْكُوْرُ، قَالَ عَنْهُ ابْــنُ خلِّكَانَ تَفقَّهَ عَلَى وَالده يُوْنُسَ بِالَموْصِلِ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ 576هـ[1] وَأَقَامَ بِالَمدْرَسَــةِ النِّظَامِيَّةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الَموْصِلِ، وَدَرَّسَ بَعْدَ وَفَاةِ وَالده فِيْ مَوْضِعه بِالَمسْجِدِ الَمعْرُوْف بِمَسْجِد الأَميْرِ زَيْنِ الدِّيْنِ صَاحِب أَرْبلَّ[2].

وَقَدْ رَأَى ابْنُ خلِّكَانَ هَذَا الَمسْجِدَ، وَقَالَ عَنْهُ[3]: [إِنَّهُ عَلَى وَضْعِ الَمدْرَسَــةِ، وَيُعْــرَفُ بِالَمدْرَسَةِ (الكَمَالِيَّةِ) لأَنَّهُ نُسبَ إِلَى كَمَالِ الدِّيْنِ هَذَا لطُوْلِ إِقَامَته فِيْه]. وَيُوْنُسُ بْنُ مَنَعَةَ هَذَا كَانَ فَقيْهاً لا نَحْوِيّاً، فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ فِيْ النُّجُوْمِ الزَّاهِرَةِ (ج6 ص96: العَلاَّمَةُ رَضِــيُّ الــدِّيْنِ يُوْنُسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَعَةَ فَقيْهُ الَموْصِلِ تُوُفِّيَ سَنَةَ 579هـ) قَالَ ابْنُ خلِّكَانَ: (وَدُفنَ يُــوْنُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا فِيْ تُرْبَته الُمجَاوِرَةِ لمَسْجِد زَيْنِ الدِّيْنِ الَمذْكُوْرِ)[4].

وَبِالخُلاصَةِ، فَإِنَّ مَسْجِدَ زَيْنَ الدِّيْنِ هَذَا لَمْ يُعَيِّنْ لَنَا مَوْقعَهُ أَحَدٌ مِنَ الُمؤَرِّخِيْنَ، وَلَمْ يَقُــلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ: إِنَّ زَيْنَ الدِّيْنِ عَمَّرَ مَدْرَسَةً فِيْ الَموْصِلِ البَتَّةَ، غَايَةَ مَا هُنَالكَ أَنَّ ابْنَ خلِّكَانَ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ مَسْجِدَ زَيْنِ الدِّيْنِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كَانَ عَلَى وَضْعِ مَدْرَسَةٍ، وَأَنَّ يُوْنُسَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَعَةَ قَدْ دَرَّسَ فيْهِ، ثُمَّ دَرَّسَ فيْه بَعْدَهُ وَلَدُهُ كَمَالُ الدِّيْنِ مُوْسَى بْنُ يُوْنُسَ، وَأَقَامَ فيْه كَثيْــراً،

---

[1] إن ابن خلكان لم يذكر توجه كمال الدين (551ـــ 639هـــ) الى النظامية سنة576هـــ وإنما ذكــر السبكي في طبقاته 162/5 أنه رأى اسم كمال الدين بخطه على كتاب بتاريخ 576هـــ لا غير.

[2] وفيات الأعيان 132/2. نقلها آل فرج بتصرف.

[3] المصدر نفسه 132/2.

[4] المصدر نفسه 416/2.

وَلِطُوْلِ مُكْثِه فيْه سُمِّيَ (المَدْرَسَةَ الكَمَالِيَّةَ) إلاّ أَنَّ مَوْقعَهُ لَمَّا يَزَلْ مَجْهُــوْلاً عنْــدَنَا. ثُــمَّ إِنَّ الجَامعَ المَوْجُوْدَ الآنَ قَدْ أَنْشَأَهُ وَعَمَّرَهُ أَحْمَدُ باشَا بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ سَنَةَ 1210هــ[1].

ثُمَّ إِنَّ المُؤَلِّفَ لَمْ يَذْكُرْ لَنَا سَبَبَ تَسْمِيَةِ هَذَا الجَامعِ بِــ (جَامعِ شَيْخِ الشَّطِّ) كَمَا قُلْنَــا، وَنَحْنُ نَقُوْلُ: إِنَّهُ قَدْ سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ رَجُلاً أَفْغَانيّاً صَالحاً اسْمُهُ الشَّيْخُ مُحَمَّد كَانَ قَد اتَّخَذَ إِحْدَى حُجَرِ هَذَا الجَامعِ زَاوِيَةً لَهُ، ثُمَّ صَارَ لَهُ أَتْبَاعٌ وَمُرِيْدُوْنَ منْ أَهْلِ المَوْصِلِ، وَبِمَا أَنَّ هَذَا الجَامعَ وَاقِعٌ عَلَى شَطِّ دِجْلَةَ نُسِبَ الشَّيْخُ هَذَا إِلَيْهِ فَقيْلَ لَهُ: (شَيْخُ الشَّطِّ) ثُمَّ نُسِبَ الجَامعُ إِلَيْهِ فَقيْلَ: (جَامعُ شَيْخِ الشَّطِّ).

ثُمَّ إِنَّنَا لَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ أَحْمَدَ بَاشَا بْنَ أَبِيْ بَكْرٍ الَّذيْ أَنْشَأَ هَذَا الجَامعَ كَانَ بَنَاهُ عَلَى أَنْقَاضِ المَسْجد الزَّيْنِيِّ وَجَدَّدَهُ كَمَا يَزْعُمُ المُؤَلِّفُ ذَلكَ لَكَانَ الأَجْدَرُ بالمُؤَلِّف أَنْ يُسَمِّيَهُ (المَدْرَسَــةَ الكَمَالِيَّةَ) بَدَلَ أَنْ يُسَمِّيَهُ (المَدْرَسَةَ الزَّيْنِيَّةَ)[2] لأَنَّ ابْنَ خلِّكَانَ يَقُوْلُ لَنَا: (إِنَّهُ كَانَ يُعْرَفُ بِــ (المَدْرَسَةِ الكَمَالِيَّةِ) كَمَا مَرَّ بِكَ بَيَانُهُ، فَهُوَ إِذَنْ مَعْرُوْفٌ بِهَذَا الاسْمِ مُنْذُ العَهْــدِ الأَتَــابِكِيِّ،

---

[1] لقد أخطأ كل من الصوفي وآل فرج في تاريخ العمارة التي قام بها احمد باشا وقد بيّن لنا ســيوفي في مجموع الكتابات المحررة ص111 وخضر العباسي في مجلة الاعتدال النجفية (السنة السادسة) بالعدد 9 أن سنة التعمير هي 1219هــ وقد طمست معالم ما كتب على الرخامة كما شاهدتها بنفسي عــام 1995.

[2] يذكر المؤرخ الديوه جي في كتابه تاريخ الموصل 235/1 نقلاً عن ابن خلكان أن لزين الــدين هــذا أوقافاً منها (المدرسة الزينية) وهي غير مسجد زين الدين، إلاّ أنني وبعد العودة الى المــصدر الــذي استقى منه عبارته هذه لم أعثر على ذكر هذه المدرسة، وإن كان شكل البناء الحالي من الداخل مثمن الأضلاع وكل ضلع منه شبه رواق قليل العمق داخل في سمك الجدار يصلح لجلوس طلاب العلــم فيه، وسوى ما ذكر ابن خلكان في ترجمة عماد الدين أخي كمال الدين والجامع المختصر.

وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يُعْرَفَ بِالمَدْرِسَةِ الكَمَالِيَّةِ يُسَمُّوْنَهُ (مَسْجِدَ زَيْنِ الدِّيْنِ). وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالمَدْرَسَةِ الزَّيْنِيَّةِ فَلَمْ يَقُلْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ المُؤَرِّخِيْنَ[1].

عَلَى أَنَّنَا إِنْ سَاغَ لَنَا أَنْ نُسَلِّمَ ـ جَدَلاً ـ أَنَّ هَذَا الجَامِعَ كَانَ فِيْ الأَصْلِ مَدْرَسَةً لَجَازَ لَنَا أَنْ نَقُوْلَ: إِنَّهَا المَدْرَسَةُ الأَتَابِكِيَّةُ العَتِيْقَةُ[2] الّتِيْ بَنَاهَا سَيْفُ الدِّيْنِ بْنُ عِمَادِ الدِّيْنِ زَنْكِيٍّ[3]، ثُمَّ دُفِنَ فِيْهَا سَنَةَ 544هـ، ذَلِكَ، لأَنَّ المَسْجِدَ الزَّيْنِيَّ (الّذِيْ سَمَّاهُ المُؤَلِّفُ المَدْرَسَةَ الزَّيْنِيَّةَ) مَوْقِعُهُ غَيْرُ مَعْلُوْمٍ، وَالمَدْرَسَةُ العَتِيْقَةُ هَذِهِ يَقُوْلُ عَنْهَا ابْنُ الأَثِيْرِ فِيْ كَامِلِهِ (ج11 ص62)[4]: (إِنَّ سَيْفَ الدِّيْنِ بَنَاهَا وَبَنَى رِبَاطاً لِلصُّوْفِيَّةِ عَلَى المَشْرَعَةِ) وَجَامِعُنَا هَذَا كَمَا تَرَاهُ الآنَ وَاقِعٌ عَلَى المَشْرَعَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ الأَثِيْرِ، فَهُوَ إِذَنْ إِلَى كَوْنِهِ المَدْرَسَةَ العَتِيْقَةَ أَقْرَبُ وَأَرْجَحُ مِنْ كَوْنِهِ مَدْرَسَةَ المُؤَلِّفِ الزَّيْنِيَّةَ الّتِيْ لا يَعْرِفُهَا التَّارِيْخُ بِهَذَا الاسْمِ[5].



[1] أقول : ... ـي البوازيجي المتوفى سنة 622هـ ما نصه: (وسكن المدرسة الزينية ثم عاد... وفوّض اليه عقود الأنكحة، والتدريس بالمدرسة الكمالية..). وهذا دليل واضح على أن المدرسة الزينية هي غير الكمالية.

[2] وكان ممن درّس بها أبو العباس احمد بن نصر بن الحسين الأنباري الموصلي المتوفى سنة 598هـ، السبكي، عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى ج4 ص57.

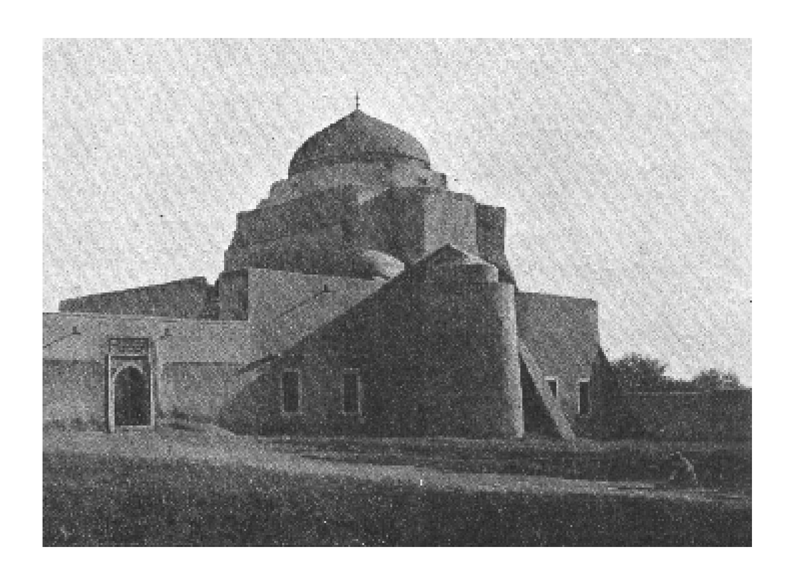
[3] هو سيف الدين غازي بن أتابك زنكي صاحب الموصل 500- 544هـ دفن بالمدرسة التي بناها بالموصل وانقرض عقبه، إبن الأثير، الكامل في التاريخ 62/11.

[4] ترك آل فرج القوسين فارغين.

[5] وهذا أيضاً ما ذهب اليه الصائغ، سليمان، تاريخ الموصل 176/1.

مدخل الكمالية سنة 2007 وقد طمست الكتابة من اللوحة إلاّ من كلمات

جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ (الجَامِعُ الأَحْمَرُ)



صورة نادرة لجامع مجاهد الدين (الخضر) سنة 1901 و فوق باب المدخل بيتان من الشعر

فِيْ هَذَا الجَامِعِ الشَّرِيْفِ كَانَ قَدْ حَصَلَ اجْتِمَاعٌ تَارِيْخيٌّ مُهِمٌّ لأَهْـــلِ المَوْصِـــلِ سَـــنَةَ 1156هـــ تَحْتَ رِئَاسَةِ الوَزِيْرِ الخَطِيْرِ المَرْحُوْمِ الحَاجِّ حُسَيْنِ بَاشَا الجَلِيْلِيِّ (   )[1] لِلْمُدَاوَلَـــةِ فِيْ أَمْرِ الإِجَابَةِ عَلَى الكِتَابِ الَّذِيْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ مَلِكُ العَجَمْ نَادِرْشَاهُ المُلَقَّـــبُ (طهْمَاســـب) الَّذِيْ يَطْلُبُ إِلَيْهِمْ فِيْهِ سَلْخَ مَدِيْنَةِ المَوْصِلِ مِنْ حُكْمِ الأَتْرَاكِ العُثْمَانِيِّيْنَ وَجَعْلَهَا تَابِعَةً لِحُكْمِه، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ فِيْ هَذَا الجَامِعِ، وَقَرَّرُوْا الدِّفَاعَ عَنْ مَدِيْنَتِهِمْ، فَحَارَبُوْهُ، ثُمَّ ارْتَحَـــلَ عَنْهُمْ خَائِرَ القُوَى، يَتَعَثَّرُ بِأَذْيَالِ الفَشَلِ.

---

[1] هكذا تركها آل فرج ولا أعلم أيريد مما تركه بين القوسين تاريخ توليه الرئاسة أم وفاته؟ فعليه تركت الأمر على حاله. حيث انه تولى الموصل سنة 1143هـ ولعدة مرات وتوفي سنة 1171هـــ، انظـر الصائغ، سليمان، تاريخ الموصل ج1 ص274و 290.

ثُمَّ إِنَّ المَحْكَمَةَ الشَّرْعِيَّةَ فِيْ المَوْصِلِ كَانَتْ فِيْ هَذَا الجَامِعِ الشَّرِيْفِ، وَقَدْ أَدْرَكْـــتُ أَنَـــا نَفْسِيْ أَحَدَ كَتَبَةِ المَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِيْ عَصْرِنَا هَذَا وَهُوَ المَرْحُوْمُ مُحَمَّـــدُ سَـــعِيْد أَفَنْـــدِيْ[1] وَحَدَّثَنِيْ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ أَحَدَ كَتَبَةِ المَحْكَمَةِ الَّتِيْ كَانَتْ فِيْ هَذَا الجَامِعِ وَأَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ مَعَ أَبِيْهِ إِلَيْهَا.

قَالَ المُؤَرِّخُ الشَّهِيْرُ المَرْحُوْمُ يَاسِيْنُ أَفَنْدِيْ بْنُ خَيْرِ اللهِ الخَطِيْبِ العُمَرِيِّ فِيْ كِتَابِهِ غَرَائِبِ الأَثَرِ[2]: (وَفِيْهَا (أَيْ فِيْ سَنَةِ 1212هـ) جَاءَ خِنْزِيْرَانِ فِيْ نَهْرِ دِجْلَةَ وَهُمَا يَسْبَحَانِ فِيْ المَـــاءِ ذَكَرٌ وَأُنْثَى فَعَبَرَ وَاحِدٌ وَخَرَجَ الآخَرُ عِنْدَ الدَّبَّاغْ خَانَةَ فَهَرَبَتِ النَّاسُ مِنْهُ وَدَخَلَ إِلَى المَوْصِلِ وَجَعَلَ يَعْدُوْ فِيْ الأَزِقَّةِ ثُمَّ دَخَلَ المَحْكَمَةَ فَهَرَبَ القَاضِيْ وَمَنْ عِنْدَهُ إِلَـــى الـــسَّطْحِ وَجَـــرَحَ الخِنْزِيْرُ بَطْنَ فَرَسِ القَاضِيْ).

أَقُوْلُ: يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ المَحْكَمَةَ كَانَتْ قَرِيْبَةً مِنَ النَّهْرِ وَلِهَذَا دَخَلَهَا الخِنْزِيْرُ وَفِيْ هَـــذَا تَأْيِيْدٌ لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ فِيْ جَامِعِ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ هَذَا. وَفِيْ سَنَةِ 1320هـــ كَانَـــتِ الأَرَاضِيْ الَّتِيْ حَوْلَ هَذَا الجَامِعِ تُزْرَعُ حِنْطَةً وَشَعِيْراً، وَبُيُوْتُ مَحَلَّتِنَا الَّتِيْ أَسْكُنُهَا أَنَا وَهِـــيَ مَحَلَّةُ (بَابِ الطَّوْبِ) نَائِيَةٌ عَنْهُ ثُمَّ أَخَذَ عُمْرَانُهَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ شَيْئاً فَشَيْئاً حَتَّـــى أَصْـــبَحَ الآنَ[3] مُكْتَنِفاً بِهِ مِنْ جَمِيْعِ جِهَاتِهِ إِلاّ الشَّرْقِيَّةَ مِنْهَا فَإِنَّهَا مُشْرِفَةٌ عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ.

---

[1] محمد سعيد أفندي القاضي الحنفي بن سليمان فائق أفندي بن محمد سعيد أفنـــدي (1862-1939): كان والده كاتباً بالمحكمة الشرعية في جامع الخضر وقد ذكر في وقفية سنة 1313هـــ.

[2] ص46.

[3] آل فرج من مواليد الموصل سنة 1310هـــ (1892م) وكان عمره إذ ذاك 12 عاماً عندما بـــيّن أن الأرض الشاسعة بين بيوت محلة جوبة البقّارة والجامع كانت تزرع حنطة وشعيراً، وكتب سفره هذا في أوائل سنة 1948. مع العرض أن المحلة المذكورة أزيلت لإنشاء كورنيش محاذياً لدجلة سنة 1975 أنظر كتابنا محلة باب الطوب (جوبة البقّارة) وهو دراسة تاريخية ميدانية للمنطقة المذكورة.

قَالَ المُؤَلِّفُ عَنْهُ: [سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِالجَامِعِ الأَحْمَرِ لأَنَّ جُدْرَانَهُ وَقُبَّتَهُ كَانَتْ مَصْبُوْغَةً بِالأَحْمَرِ، وَيَسَمَّى أَيْضاً بِجَامِعِ الخَضِرِ][1].

أَقُوْلُ: قَدْ عَدَّى الفِعْلَ (يُسَمَّى) فِيْ جُمْلَتِهِ هَذِهِ وَعَدَّى مَصْدَرَهُ قَبْلَهُ فِيْهَا إِلَى مَفْعُوْلَيْهِمَا الثَّانِيْ بِالبَاءِ مَعَ أَنَّهُمَا يَتَعَدَّيَانِ بِنَفْسِهِمَا إِلَيْهِمَا، وَتَعْدِيَتُهُمَا إِلَيْهِمَا بِالبَاءِ وَإِنْ وَرَدَ فِيْ كَلامِهِمْ إِلاّ أَنَّ تَعْدِيَتَهُمَا إِلَيْهِمَا بِنَفْسِهِمَا أَيْ بِدُوْنِ البَاءِ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ. وَادِّعَاؤُهُ أَنَّهُ سَمَّى (الجَامِعَ الأَحْمَرَ) لأَنَّ قُبَّتَهُ وَجُدْرَانَهُ كَانَتْ مَصْبُوْغَةً بِالأَحْمَرِ، وَإِنْ كَانَ العَقْلُ لا يَمْنَعُهُ، إِلاّ أَنَّ النَّقْلَ لا يُؤَيِّدُهُ.

ثُمَّ قَالَ: [وَيُقَالُ إِنَّ لِلْخَضِرِ مَقَاماً فِيْهِ] [2].

أَقُوْلُ: المَقَامُ بِفَتْحِ المِيْمِ أَوْ بِضَمِّهِ مِنَ الثُّلاثِيِّ أَوْ مَزِيْدِهِ مَحِلُّ الإِقَامَةِ أَوْ القِيَامِ، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِيْ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ[3]: (مَقَامَاتُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ هِيَ الأَمْكِنَةُ الّتِيْ مَاتُوْا فِيْهَا أَوْ أَقَامُوْا أَوْ عَبَدُوْا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيْهَا). وَمَعْنَى كَلامُ المُؤَلِّفِ هَذَا، أَنَّ الخَضِرَ u كَانَ يُقِيْمُ فِيْ هَذَا المَكَانِ أَوْ كَانَ يَتَعَبَّدُ اللهَ أَوْ مَاتَ فِيْهِ، وَهَذَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَقُوْلَهُ مَنْ لَهُ مُسْكَةٌ أَوْ إِلْمَامٌ بِعِلْمِ التَّارِيْخِ، ذَلِكَ لأَنَّ الخَضِرَ u كَانَ حَيّاً فِيْ زَمَنِ كَلِيْمِ اللهِ مُوْسَى u وَقَدْ وَرَدَتْ قِصَّتُهُ مَعَهُ فِيْ القُرْآنِ المَجِيْدِ فِيْ سُوْرَةِ الكَهْفِ[4] كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ مُصَرَّحاً بِهِ وَبِاسْمِهِ فِيْ البُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ صِحَاحِ كُتُبِ الأَحَادِيْثِ، وَهَذَا الجَامِعُ تَعَمَّرَ سَنَةَ 572هـ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ المُؤَلِّفِ: [وَيُقَالُ إِنَّ لِلْخَضِرِ مَقَاماً فِيْهِ]؟.

---

[1] ص51. وفي مصر يوجد جامع باسم (الجامع الأحمر) تابع لأوقافها وفيه مدرسة ودار للعاديات، أنظر جريدة المقطم في 1925/1/14.

[2] ص51.

[3] ابن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص184. وفي هذه النسخة قال ابن تيمية:(وهي الأمكنة التي قاموا فيها او قاموا) والصحيح ما أثبته آل فرج.

[4] M O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n L .

ثُمَّ قَالَ عَنْ هَذَا الجَامِعِ: [أَمَّا اسْمُهُ القَدِيْمُ فَهُوَ جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ][1].

أَقُوْلُ: الصَّحِيْحُ أَنْ يَقُوْلَ: أَمَّا اسْمُهُ قَبْلَ أَنْ يُسَمَّى (الجَامِعَ الأَحْمَرَ) فَهُوَ (جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ) لأَنَّ اسْمَهُ مُحْدَثٌ غَيْرُ قَدِيْمٍ.

ثُمَّ هَلْ جَامِعُنَا هَذَا هُوَ جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ قَايْمَازٍ كَمَا يَقُوْلُ المُؤَلِّفُ؟ أَمْ هُوَ جَامِعُ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ صَاحِبِ أَرْبِلَّ، كَمَا يَقُوْلُهُ ابْنُ الخَطِيْبِ العُمَرِيِّ فِيْ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ[2] أَمْ هُوَ جَامِعُ يُوْسُفَ أَخِيْ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ هَذَا كَمَا تَقُوْلُهُ سَالْنَامَةُ المَوْصِلِ لِسَنَة 1310هـ[3].

وَهَلِ المُؤَلِّفُ ــ وَهُوَ البَاحِثُ الآثَارِيُّ كَمَا يَزْعُمُ ــ أَدَّاهُ بَحْثُهُ وَتَدْقِيْقُهُ إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّهُ جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ أَمْ هُوَ تَابِعٌ وَمُقَلِّدٌ لِرَأْيِ العَالِمِ الفَاضِلِ الدُّكْتُوْرِ دَاوُدَ الجَلَبِيِّ فِيْ هَذَا الجَامِعِ؟ إِنْ كَانَ يَدَّعِيْ أَنَّهُ أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ وَتَحْقِيْقُهُ إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّ هَذَا الجَامِعَ هُوَ جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ فَلْيَأْتِنَا بِبُرْهَانِهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَلَّدَ فِيْ ذَلِكَ الدُّكْتُوْرَ الجَلَبِيَّ، فَالدُّكْتُوْرُ المُشَارُ إِلَيْهِ لَمْ يَجْزِمْ وَلَمْ يَقْطَعْ ــ كَمَا جَزَمَ المُؤَلِّفُ ــ بِكَوْنِ هَذَا الجَامِعِ هُوَ عَيْنُهُ جَامِعُ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ، بَلْ قَالَهُ فِيْ كِتَابِهِ مَخْطُوْطَاتِ المَوْصِلِ مَا نَصُّهُ: (وَأَنَا أُحَدِّسُ بَلْ أَكَادُ أَجْزُمُ أَنَّ الجَامِعَ المُجَاهِدِيَّ المَذْكُوْرَ هُوَ المَعْرُوْفُ اليَوْمَ بِجَامِعِ الخَضِرِ وَبِالجَامِعِ الأَحْمَرِ)[4].

وَقَالَ أَيْضاً فِيْ تَحْقِيْقِ مَوْقِعِ هَذَا الجَامِعِ وَمَوْقِعِ جِسْرِ المَوْصِلِ مَا نَصُّهُ: (فَإِنْ كَانَ هُوَ) أَيْ إِنَّ هَذَا الجَامِعَ هُوَ جَامِعُ ــ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ ــ (صَحِيْحاً، وَإِلاّ فَلا)[5]. هَذَا هُوَ كَلامُ الدُّكْتُوْرِ

---

[1] ص51.

[2] 33/2.

[3] لقد سبق العمري ما ذكرته السالنامات للسنوات 1308 ص89 و 1310 ص254 و 1312 ص254و 1325هـ ص129 من ان مظفر الدين هو باني جامع الخضر وكذا الأمر مع العمري صاحب منية الأدباء ص99. ولم تذكر هذه السالنامات أن الباني يوسف أخو مظفر الدين صراحة.

[4] ص8.

[5] ص8.

المُحَقِّقِ الّذيْ اعْتَقَدُ أَنَّ المُؤَلِّفَ قَد اعْتَمَدَ عَلَيْه فيْمَا كَتَبَهُ هَا هُنَا مِنْ دُوْنِ أَنْ يُشيْرَ إِلَى ذَلِكَ ــ وَهُوَ كَلامُ رَجُلٍ عَالِمٍ لا يُلْقيْ الكَلامَ جُزَافاً وَلا عَلَى غَوَاربه.

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مَا يَقُوْلُهُ الدُّكْتُوْرُ الجَلَبِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ نَهَبُ أَنْ أَبْدَى رَأْيَهُ فِيْ تَرْجيْحِ كَوْنُ هَذَا الجَامِعِ هُوَ جَامِعُ مُجَاهِد الدِّيْنِ لا جَامِعُ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ، وَنَصُّهُ: (فَمَنْ تَأَمَّلَ فيْمَا ذَكَرْتُ رَأَى قَوْلِيْ هُوَ الأَرْجَحُ إلاّ إِذَا عُثِرَ عَلَى قَيْد فِيْ أَحَد كُتُبِ التَّاريْخِ القَديْمَة يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ ابْنُ الخَطِيْب)[1] أَيِ العُمَرِيُّ الّذيْ يَقُوْلُ: (إِنَّ هَذَا الجَامِعَ هُوَ جَامِعُ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ صَاحِبِ أرْبلَّ) كَمَا مَرَّ ذَلِكَ عَنْهُ، وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الدُّكْتُوْرَ الجَلَبِيَّ يُرَجِّحُ كَوْنَ هَذَا الجَامِعِ هُوَ جَامِعُ مُجَاهِد الدِّيْنِ عَلَى كَوْنِه جَامِعَ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ وَلا يَقطَعُ بِذَلِكَ خِلافاً لمُؤَلِّفِنَا الّذيْ يَجْزِمُ بِأَنَّهُ جَامِعُ مُجَاهِدُ الدِّيْنِ عيْنُهُ وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيْعُ إِثْبَاتَ ذَلِكَ بِبُرْهَان.

وَلَعَلَّهُ قَدْ تَوَسَّعَ فِيْ إِطْلاق القدَمِ هَا هُنَا إِذْ رُبَّمَا يُتَوَسَّعُ فِيْ إِطْلاقه فَيُقَالُ: دُخُوْلُ زَيْدٍ الدَّارَ أَقْدَمُ مِنْ دُخُوْلِ عَمْرٍو، وَلَكِنَّهُ لا يُقَالُ أَعْتَقُ منْهُ، وَالفَرْقُ بَيْنَ القَديْمِ وَالعَتيْقِ ذَكَرَهُ أَبُوْ الهلالِ العَسْكَرِيِّ فِيْ كِتَابِهِ (الفُرُوْقُ اللُّغَوِيَّة)[2] فَقَالَ: إِنَّ العَتيْقَ هُوَ الّذيْ يُدْرَكُ حَديْثُ جِنْسِهِ فَيَكُوْنَ بِالنِّسْبَة إِلَيْه عَتيْقاً، أَو يَكُوْنَ شَيْئاً يَطُوْلُ مُكْثُهُ، وَيَبْقَى أَكْثَرُ مِمَّا يَبْقى أَمْثَالُهُ مَعَ تَأْثيْرِ الزِّمَانِ فيْه فَيُسَمَّى عَتيْقاً، وَلهَذَا لا يُقَالُ إِنَّ السَّمَاءَ عَتيْقَةٌ، وَإِنْ طَالَ مُكْثُهَا، لأَنَّ الزَّمَانَ لا يُؤَثِّرُ فيْهَا، وَلا يُوْجَدُ مِنْ جِنْسِهَا مَا تَكُوْنُ بِالنِّسْبَة إِلَيْه عَتيْقَةٌ، وَالقدَمُ لا يُسْتَفَادُ، وَالعَتَاقَةُ تُسْتَفَادُ، أَلا تَرَى أَنَّهُ لا يُقَالُ سَأُقْدِمُ هَذَا المَتَاعَ كَمَا تَقُوْلُ سَأُعْتِقُهُ، وَفِيْ كِتَابِ الفُرُوْقِ اللُّغَوِيَّة هَذَا فُرُوْقٌ بَيْنَ الفَرْدِ وَالوَاحد وَالبَاقيْ وَالدَّائِمِ وَالكبْرِ وَالتِّيْه وَالتَّأْليْفِ وَالتَّصْنيْفِ وَالصَّحيْحِ وَالصَّوَابِ وإِنْ بَدَا لَكَ أَنَّ اللَّفْظَيْنِ مُتَرَادفَانِ.

---

[1] ص.9.

[2] وجدت أن عنوان الكتاب هو (الفروق في اللغة) وفي نسخة وطبعة أخرى بعنوان (الفروق)، وذكر الفرق بين القديم والعتيق في الباب السادس ص110، وفي ص13 من النسخة الثانية ذكر الدكتور احمد الحمصي بصيغة (لعله) وهو مقدم وضابط الكتاب أن للعسكري كتاب الفرق بين المعاني وكتاب الفروق وعلق علي الكتابين أنهما كتاب واحد.

وَقَالَ: [قَدْ شُيِّدَ فِيْ الجَبْهَةِ الشِّمَالِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ مِنْهُ (الجَامِعُ) غُرَفُ وَأَرْوِقَةٌ][1].

أَقُوْلُ: إِنَّ الّذيْ شَيَّدَ هَذه الأَرْوِقَةَ وَالحُجْرَات الّتِيْ فِيْهَا هُوَ السُّلْطَانُ عَبْدُ الحَمِيْد بْنُ عَبْد المَجِيْدِ العُثْمَانِيِّ، وَهَاهِيَ مَوْجُوْدَةٌ الآنَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُشَيِّدْ فِيْ الجَامِعِ غُرْفَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الغُرْفَــةَ هِيَ (العِلِّيَّةُ). قَالَ تَعَالَى:Mغُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ L [2] أَيْ مَنَازِلُ رَفِيْعَةٌ مِنْ فَوْقِهَا مَنَازِلُ أَرْفَعُ مِنْهَا، وَالغُرْفَةُ فِيْ الاصْلِ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، قَالَ لَبِيْدٌ:

سَوَّى فَأَغْلَقَ دُوْنَ غُرْفَــةِ عَرْشِــهِ سَبْــعاً طِبَاقاً فَوْقَ فَــرْعِ المَنْقَــلِ

ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى كُلِّ (عِلِّيَةٍ)، وَهِيَ لا تُطْلَقُ عَلَى الحُجْرَةِ، أَمَّا الحُجْرَةُ فَتُطْلَــقُ عَلَيْهَــا. فَكَان إِذَنْ عَلَيْه أَنْ يَقُوْلَ: قَدْ شُيِّدَ فِيْه (حُجْرَات) بَدَلَ (غُرَف) لأَنَّ الغُرَفَ جَمْعُ غُرْفَةٍ، وَهِيَ الحُجْرَةُ الفَوْقِيَّةُ، وَالجَامِعُ لَيْسَ فِيْه الآنَ غُرَفٌ مُشَادَةً وَلا مُشَيَّدَةً[3].

وَقَالَ عَنْ هَذه الأَرْوِقَة وَالحُجْرَات: [إِنَّ عَبْدَ الحَمِيْدِ الثَّانِيْ قَدْ أَمَرَ بِتَــشْيِيْدِهَا فِيْ فَنَــاءِ الجَامِعِ مِنْ مَاله الخَاصِّ][4].

أَقُوْلُ: مَنْ أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ؟ وَمَا الدَّلِيْلُ عَلَيْه؟ ثُمَّ أَلا يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ الإِنْفَاقُ عَلَى عِمَارَتِهَا كَانَ مِنْ خَزِيْنَةِ الدَّوْلَةِ العَامَّةِ أَوْ مِنْ مَالِيَّةِ وَزَارَةِ الاوَقَاف؟.

وَقَالَ عَنْ مُصَلَّى الجَامِعِ: [وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قُبَّةٍ مُرَكَّبَةٍ عَلَى أَرْبَعَةِ اسْطِوَانَاتٍ][5].

---

[1] ص51، أدركنا من هذه الغرف رواقاً واحداً بني حديثاً وبجانبه غرفة كبيرة استخدمها المرحوم علــي الشمالي المتوفى سنة 1974 كمقر له ولمكتبته الخاصة، وبجانبها مرافق صحية لعموم الداخلين الى الجامع المطلة مباشرة على السكر الذي على فرع نهر دجلة الرئيس، أنظر كتابنا (علــي الــشمالي الأســتاذ البصير).

[2] الزمر 20.

[3] باعتبار أن المشاد ما يطلى به البناء، والمشيَّد من البناء المرفوع المطوّل، انظر البستاني، قطــر المحــيط 1098/1.

[4] ص52 و56 وبتصرف.

[5] ص51.

أَقُوْلُ: الصَّوَابُ أَنْ يَقُوْلَ: مُرَكَّبَةٌ عَلَى أَرْبَعِ اسْطِوَانَات، لأَنَّ العَدَدَ هَا هُنَا يَجِبُ أَنْ يُخَالِفَ المَعْدُوْد، فَالمَعْدُوْدُ مُؤَنَّثٌ، لِذَلِكَ يَجِبُ تَذْكِيْرُ عَدَدِه. ثُمَّ انْظُرْ هَلِ المَصَلَّى هُوَ قُبَّةٌ مُرَكَّبَةٌ عَلَى أَرْبَعِ اسْطِوَانَات؟ كَمَا يَقُوْلُ؟ أَمْ هُوَ مَحِلٌّ أَعِدَّ لِلصَّلاة بُنِيَتْ فَوْقَهُ قُبَّةٌ؟.

وَقَالَ: [وَعَلَى جَانِبَيِّ بَابِ المُصَلَّى الأَوْسَط رُوَاقَان صَغِيْرَان يُقَالُ إِنَّ مَقَامَ الخَضِرِ فِيْهِمَا][1]. أَقُوْلُ: لَيْسَ عَلَى جَانِبَيِ البَابِ المَذْكُوْرِ رُوَاقَان صَغِيْرَان كَمَا يَقُوْلُ، وَإِنَّمَا هُمَا بَابَانِ صَغِيْرَان أَحَدُهُمَا بَابُ (السَّدَّة) الّتِيْ يُقْرَأُ فِيْهَا القُرْآنُ نَهَارَ الجُمُعَة قَبْلَ الخُطْبَة، وَالثَّانِيْ بَابٌ مَسْدُوْدٌ كَانَ يُصْعَدُ مِنْهُ إِلَى سَطْحِ المُصَلَّى وَقُبَّتِه، كَانَ بَعْضُ الدَّجَّالِيْنَ مِنْ خَدَمَة الجَامِعِ قَدْ وَضَعَ عَلَيْهِ قِطْعَةَ قِمَاشٍ أَخْضَرَ يُوْهِمُ فِيْه بَعْضَ بَسِيْطَاتِ العُقُوْلِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ فِيْهِ مَقَاماً لِلْخَضِرِ u ثُمَّ رُفِعَتْ تِلْكَ القِطْعَةُ القِمَاشِيَّةُ الخَضْرَاءُ.

ثُمَّ قَالَ عَنِ القِطْعَة المَرْمَرِيَّة المَوْضُوْعَةِ عَلَى يَسَارِ المِحْرَاب: [كُتِبَ عَلَيْهَا قَدْ تَطَوَّعَ بِعِمَارَةِ هَذَا الجَامِعِ وَالِيُ المَوْصل سَنَةَ 1139هـ][2].



القطعة المرمرية وضعت حالياً يسار المنبر، والصورة سنة 2007

[1] ص51.

[2] ص51.

أَقُوْلُ: إنَّنَا قَدْ قَرَأْنَا القطْعَةَ المَرْمَرِيّة هَذه فَلَمْ نَجدْهَا مَكْتُوْبَةً كَمَا قَالَ، وَلَكنَّنَا وَجَــدْنَاهَا قَدْ كُتبَ عَلَيْهَا مَا نَصُّهُ: (قَدْ تَطَوَّعَ بعمَارَة هَذَا الجَامع الشَّرِيْف ابْتغَاءً لوَجْه الله تَعَــالَى وَالِيْ المَوْصلِ عَليٌّ بَاشَا أَدَامَ اللهُ جَلالَهُ سَنَةَ 1139)[1]. وَعَليٌّ بَاشَا[2] هَذَا هُوَ أَخُوْ سُلَيْمَانَ بَاشَــا وَالِيْ بَغْدَادَ، وَلِيَ المَوْصلَ فِيْ بدَايَة سَنَة 1138 وَعُزِلَ عَنْهَا بإِسْمَاعيْلَ بَاشَا الجَليْليِّ فِيْ نهَايَــة سَنَة 1139هــ وَهيَ السَّنَةُ الَّتيْ عُمِّرَ فيْهَا هَذَا الجَامعُ الشَّرِيْفُ، وَعَلَيْه فَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ حُكْمه المَوْصلَ سَنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، كَمَا جَاءَ ذَلكَ فِيْ سَالْنَامَة المَوْصلِ لسَنَة 1325هــ[3].

وَقَالَ: [وَكُتبَ فَوْقَ بَاب المُصَلَّى الأَوْسَط أَبْيَاتٌ منَ الشّعْرِ تُشيْرُ إِلَى مَدْحِ السُّلْطَان عَبْد الحَميْد[4] وَآصف بَاشَا وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ قَدْ أَكْمَلَ تَشْييْد بنَايَة هَذَا الجَامع سَنَةَ 1264هــ][5].

أَقُوْلُ: إنَّ الأَبْيَاتَ المَكْتُوْبَةَ فَوْقَ بَاب المُصَلَّى المَذْكُوْر هيَ هَذه[6]:

قفْ بَيْنَ بَابَـــيْ سَـيِّد العَـــارِفيْنْ ... وَادْعُ مَــعَ الحُــضَّـارِ وَالهــاتفيْنْ

لحَضْرَة السُّلْطَانِ غَــوْث[1] الــوَرَى ... عَبْد المَجيْــد العَـــوْن للْخَــائفيْنْ

فِيْ عَصْــرِه يُــسْـــرٌ، وَمِــنْ يُمْنِــه ... أَنْ صَلاحــــــاً لاحَ للْمُــــشْرِفيْنْ

لجَـــامعٍ عُمِّــــــرَ فِيْ عَهْــــده ... وَفِيْ زَوَايَــاهُ النَّجَـــــاحُ دَفــيْنْ

ذَا جَامعُ الخَضْـــرِ هَنيْـــئاً لمَــنْ ... أَرْخَــى جَنَاحَيْــه عَلَــى العَــاكفيْنْ

لجَنَّــــة عَاليَـــة طَـــــارَ هَــلْ ... صَادَفْتَ طَيَّـــاراً مــنَ الــوَاقفيْنْ

---

[1] نسي المؤلف كلمة الوزير المكرم.

[2] ذكرت السالنامات لسنة 1310هــ ص74 و سنة 1312هــ ص74 و ســنة 1325هـــ ص85 أن علي باشا أخو والي بغداد حسين باشا وليس سليمان باشا.

[3] وهم آل فرج في ذكر سنة صدور السالنامة وكتبها سنة 1335هــ والصواب ما أثبتناه وهــي مــن إعداد عزتلو صفوت بك، باعتبار أن سنة 1335هــ لم يصدر فيها أية سالنامة في ولاية الموصل.

[4] ذكرآل فرج (السلطان عبد المجيد) في مخطوطه بدل (السلطان عبد الحميد) مــع معرفتــه بــصحة الممدوح كما مبيّن في البيت الثاني من القصيدة، ولكنّا ثبتنا نص الصوفي، علماً أنه لم ينبه على خطــأ الصوفي في ذلك.

[5] ص52. وانظر موقع البيتين في صورة الجامع في أول العنوان.

[6] ذكر هذه الأبيات سيوفي في مجموعه ونشرها المرحوم الديوه جي ولكن فيها أغلاط يمكــن قراءتهـــا ومقابلتها، وما أثبتناه في نص آل فرج فقد قمنا بقراءة النص ميدانياً فكان مطابقاً لما كتب أعلاه. أنظر مجموع الكتابات المحررة ص158.

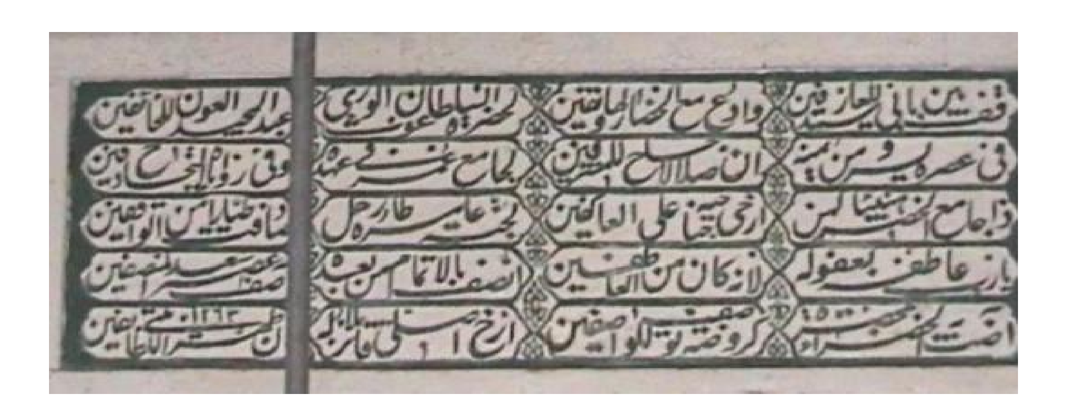
يَارَبِّ عَاطِفْـــــــهُ بِعَفْـــــــوٍ لَـــــهُ   لأَنَّـــــهُ كَـــانَ مِـــنَ العَـــاطِفِيْنْ[3]

أَنْصَفَ بِالإِتْمَـــــامِ مَـــنْ بَعْـــــدَهُ   آصِـــفُ عَـــصْرٍ أَسْـــعَدُ المُنْـــصِفِيْنْ

آضَتْ بِهِ الخَـــضْـــرَاءُ[2] مُخْـــضَرَّةً   كَرَوْضَـــــةٍ تُوْصَـــفُ لِلْوَاصِـــفِيْنْ

أَرِّخْ أُصَـــلِّيْ قَايِـــــلاً نُزْلَـــــــهُ   أَنْ طَهِّـــــــرَا بَـــيْتِيْ لِلطَّـــائِفِيْنْ

1264هـ



اللوحة التي فوق باب المصلى صورت سنة 2007

[1] ذكرها آل فرج: (عون) والصحيح ما أثبتناه كما مبين على الرخامة.

[2] ذكرها آل فرج: (الحضرة) والصحيح ما أثبتناه استناداً على ما كتب على الرخامة.

[3] نشره الديوه جي في جوامعه ص64 وصححه ولم يوفق فيه:

يـــا ربنـــا فـــاعطف بعفـــو لـــه   لأنـــه كـــان مـــن العـــاطفين

كما ذكر آل فرج قيمة البيت المؤرخ 1263 وبعد التدقيق تبين الصواب 1264 وأثبتناه.

وَحَيْثُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ وَصَفَ فِيْهَا الوَزِيْرَ طَيَّارَ بَاشَا وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ آصِفُ عَصْرِهِ ظَنَّ المُؤَلِّفُ أَنَّهُ يَمْدَحُ بِهَا السُّلْطَانَ عَبْدَ المَجِيْدِ وَآصِفَ بَاشَا، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقِيْقُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ كُتِبَ فَوْقَ البَابِ الخَارِجِيِّ [قَدْ أَمَرَ بِعِمَارَةِ هَذَا الجَامِعِ السُّلْطَانُ عَبْدُ الحَمِيْدِ خَانِ الثَّانِيْ وَذَلِكَ فِيْ سَنَة 1319هـ][1].

أَقُوْلُ: لَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ إِنَّ المَكْتُوْبَ عَلَى بَابِ الجَامِعِ الخَارِجِيِّ هُوَ بَيْتَانِ مِنَ الشِّعْرِ ضَمَّنَهُمَا نَاظِمُهُمَا العَلاَّمَةُ الكَبِيْرُ وَالشَّاعِرُ الرَّقِيْقُ مَعَالِيْ الوَزِيْرُ المَرْحُوْمُ السَّيِّد أَحْمَدُ الفَخْرِيُّ بْنُ مَحْمُودِ الفَخْرِيِّ المَوْصِلِيِّ[2] تَارِيْخَ تَجْدِيْدِ عِمَارَةِ الجَامِعِ هَذَا، وَهُمَا مِنْ بَدَائِعِ التَّارِيْخِ وَرَقِيْقِ الشِّعْرِ، فَهَلاَّ كَلَّفَ المُؤَلِّفُ نَفْسَهُ عَنَاءَ قِرَاءَتِهِمَا ـ إِنْ كَانَ فِيْ قِرَاءَتِهِمَا عَنَاءٌ ـ كَيْ لا يَقَعَ فِيْ مِثْلِ هَذَا الخَطَأ البَيِّنِ المُشَاهَدِ. وَالبَيْتَانِ هُمَا:

أَصْبَحَ ذَا الجَامِعُ بَعْدَ وَهْنِهِ ... بِخَيْرِ ظِلِّ اللهِ أَبْهَى مَشِيْد

وَاليُمْنُ قَدْ أَرَّخَهُ مُجَدِّداً ... عَمَّرَهُ الخَاقَانُ عَبْدُ الحَمِيْد 1319

وَقَالَ: [مَهْمَا كَانَ مِنَ الأَمْرِ فَإِنَّ بِنَاءَ الجَامِعِ الأَحْمَرِ الحَالِيِّ مُحْدَثٌ، بُنِيَ عَلَى عَهْدِ السُّلْطَانِ عَبْدِ المَجِيْدِ سَنَةَ 1264هـ وَيُقْرَأُ ذَلِكَ عَلَى بَابِ مُصَلاَّهُ، وَبُنِيَتْ فُرُوْعُهُ فِيْ زَمَنِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الحَمِيْدِ الثَّانِيْ سَنَةَ 1319هـ][3].

أَقُوْلُ: يَعْنِيْ بِالبَابِ فِيْ قَوْلِهِ (وَيُقْرَأُ ذَلِكَ عَلَى بَابِ مُصَلاَّهُ) البَابَ الأَوْسَطَ حَيْثُ أَنَّ أَبْيَاتاً مَرَّ ذِكْرُهَا لَكَ آنِفاً تَحْوِيْ تَارِيْخاً نَاطِقاً بِذَلِكَ وَادِّعَاءُ أَنَّ هَذَا الجَامِعَ أُحْدِثَتْ بِنَايَتُهُ الحَالِيَّةُ فِيْ عَهْدِ السُّلْطَانِ عَبْدِ المَجِيْدِ غَيْرُ مُسَلَّمٍ، لأَنَّهُ أُحْدِثَ وَبُنِيَ قَبْلَ أَيَّامِ هَذَا السُّلْطَانِ

---

[1] ص52.

[2] (1862ـ1926) القاضي والأديب أحمد بن محمود الفخري، عين وزيراً للعدلية سنة 1924 انظر الديوه جي سعيد، جوامع الموصل ص66.

[3] ص55.

بِكَثِيْرٍ لأَنَّهُ قَدْ بَنَاهُ عَلِيٌّ بَاشَا سَنَةَ 1139هـ كَمَا نَقْرَأُ ذَلِكَ فِيْ اللَّوْحَةِ المَوْضُوْعَةِ عَلَى يَسَارِ المِحْرَابِ، وَهِيَ مَوْجُوْدَةٌ حَتَّى الآنَ.

وَقَالَ: [أَمَّا البِنَاءُ القَدِيْمُ (بِنَاءُ الجَامِعِ) فَقَد انْهَدَمَ وَسَقَطَ فِيْ النَّهْرِ بَعْدَ أَنْ مَالَ النَّهْرُ بِقُوَّةِ جَرْيِهِ إِلَى جَانِبِهِ][1]. ثُمَّ قَالَ: [إِنَّ مَنْ يَنْظُرْ إِلَى بَقَايَا السِّكْرِ الَّتِيْ تَظْهَرُ فِيْ وَسَطِ دِجْلَةَ قَرِيْباً مِنَ الجَامِعِ الأَحْمَرِ أَيَّامَ نَقْصِ النَّهْرِ فِيْ مَوْسِمِ الصَّيْفِ نَجِدُ أَنَّ هَذَا السِّكْرَ مُوَازِيَاً لِسَاحِلِ الجَامِعِ تَمَامَ، وَكَثِيْراً مَا يَغْطِسُ السَّبَّاحُوْنَ هُنَاكَ وَيَجِدُوْنَ آثَارَ أَبْنِيَةٍ وَأَرْوِقَةٍ لا تُبْقِي شَكَّاً بِأَنَّهَا مِنْ أَقْسَامِ جَامِعِ مُجَاهِدِ الدِّيْنِ المُنْقَلِبَةِ فِيْ النَّهْرِ][2].

أَقُوْلُ: الشَّكُّ بَاقٍ غَيْرُ مَدْفُوْعٍ، إِذْ تَجُوْزُ أَنْ تَكُوْنَ آثَارُ الأَبْنِيَةِ هَذِهِ آثَارُ البِيْمَارِسْتَانِ الَّذِيْ ذَكَرَهُ ابْنُ بَطُّوْطَةَ وَقَالَ عَنْهُ: (إِنَّهُ كَانَ أَمَامَ الجَامِعِ)[3] أَوْ هِيَ آثَارُ المَدْرَسَةِ أَوْ الخَانَقَاهْ الَّتِيْ قَالَ ابْنُ خِلِّكَانَ: (إِنَّ مُجَاهِدَ الدِّيْنِ عَمَّرَهَا بِجِوَارِ جَامِعِهِ)[4]. فَكَيْفَ يَسْتَطِيْعُ المُؤَلِّفُ أَنْ يُثْبِتَ أَنَّ هَذِهِ الآثَارَ هِيَ آثَارُ الجَامِعِ لا آثَارُهُمَا وَلا آثَارُ البِيْمَارِسْتَانِ.

وَقَالَ: [إِنَّ الكِتَابَاتِ المَوْجُوْدَةَ فِيْ البِنَايَةِ الحَالِيَةِ تُؤَيِّدُ رَأْيَ الدُّكْتُوْرِ][5]. ثُمَّ قَالَ: [وَإِنَّنِيْ أُشَارِكُ الدُّكْتُوْرَ فِيْ رَأْيِهِ][6].

أَقُوْلُ: إِنَّهُ يَعْنِيْ بِالدُّكْتُوْرِ الدُّكْتُوْرَ دَاوُدَ الجَلَبِيِّ الَّذِيْ ذَهَبَ فِيْ كِتَابِهِ مَخْطُوْطَاتِ المَوْصِلِ)[7] إِلَى أَنَّ بِنَاءَ هَذَا الجَامِعِ الحَالِيِّ مُحْدَثٌ بُنِيَ عَلَى عَهْدِ السُّلْطَانِ عَبْدِ المَجِيْدِ، وَقَد اسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِالأَبْيَاتِ المَكْتُوْبَةِ عَلَى بَابِ الجَامِعِ الأَوْسَطِ الَّتِي يَذْكُرُ فِيْهَا أَنَّ الجَامِعَ قَدْ تَعَمَّرَ أَيَّامَ السُّلْطَانِ عَبْدِ المَجِيْدِ المَذْكُوْرِ، لَكِنَّ ذَلِكَ مَنْقُوْضٌ بِمَا هُوَ مَكْتُوْبٌ عَلَى اللَّوْحَةِ المَرْمَرِيَّةِ

---

[1] ص55.

[2] ص55.

[3] ص250.

[4] وفيات الأعيان ج1 ص427.

[5] ص55.

[6] ذكرت العبارة في الصفحة 55 أيضاً لكنها جاءت قبل سابقتها بالهامش رقم5.

[7] ص9.

المَوْجُوْدَة يَسارَ محْرَاب الجَامعِ حَيْثُ كُتبَ عَلَيْهَا أَنَّ الجَامعَ عَمَّرَهُ عَليٌّ بَاشَا سَنَةَ 1139هـ، وَفِيْ هَذَا التَّاريْخِ الّذيْ بُنِيَ فيْه هَذَا الجَامعُ الحَاليُّ كَانَ السُّلْطَانُ عَلَى هَذه البلاد أَحْمَدَ الثَّالثَ[1] لا عَبْدَ المَجيْد، وَأَمَّا الأَبْيَاتُ الّتِيْ عَلَى بَاب الجَامعِ الأَوْسَط الّتِيْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الجَامعَ عُمِّرَ فِيْ عَهْد السُّلْطَان عَبْد المَجيْد فَإِنَّهَا بلا شَكٍّ تَدُلُّ عَلَى حُدُوْث عمارَة فِيْ بَعْض أَقْسَامه لا عَلَى تَعْميْره كُلِّه مُجَدَّداً لمَا بَيَّنَّاهُ منْ أَنَّ اللَّوْحَةَ التّيْ عَلَى يَسَارِ المِحْرَابِ نَاطقَةٌ بِأَنَّهُ قَدْ عُمِّرَ قَبْلَ عَهْد عَبْد المَجيْد بقَرْن وَرُبع قَرْن.

وَقالَ: [وَحَسْبَ التَّدْقيْقَات الّتِيْ قُمْتُ بها ظَهَرَ لِيْ أَنَّ فِيْ عَهْد ولايَة عَليٍّ باشَا عَلَى المَوْصلِ سَنَةَ 1139هـ كَانَ قَدْ جَدَّدَ بِنَاءَ الأَرْوِقَةِ المَوْجُوْدَةِ فِيْ دَاخلِ المُصَلَّى مَعَ المحْرَاب][2].

أَقُوْلُ: يُفْهَمُ منْ كَلامِ المُؤَلِّف هَذَا أَنَّ الجَامعَ كَانَ مَوْجُوْداً قَبْلَ مَا عَمَّرَهُ عَليٌّ بَاشَا وَأَنَّ البَاشَا المَذْكُوْرَ قَدْ جَدَّدَ بنَايَةَ الأَرْوقَة الّتِيْ هيَ دَاخلَ المُصَلَّى لَمَّا آلَتْ إلَى الإنْهدَام، وَذَا يُنَاقضُ قَوْلَ الدُّكْتُوْرِ الجَلَبيِّ آنفاً وَهُوَ أَنَّ بنَاءَ هَذَا الجَامع مُحْدَثٌ بُنيَ عَلَى عَهْد السُّلْطَان عَبْد المَجيْد سَنَةَ 1262هـ فكَيْفَ يَقُوْلُ المُؤَلِّفُ إذَنْ: إنِّي أُشَاركُ الدُّكْتُوْرَ الجَلَبيِّ بمُلاحَظَاته حَوْلَ بنَايَة الجَامعِ الأَحْمَرِ الحَاليَّة، وَهُوَ قَدْ ذَكَرَ هُنَا مَا يُنَاقضُ كَلامَ الدُّكْتُوْرِ وَيَخْتَلفُ عَنْهُ كُلَّ الاخْتلاف؟.

وَقَالَ: [أَمَّا فِيْ عَهْد السُّلْطَان عَبْد المَجيْد المُصَادف سَنَةَ 1262هـ فَقَدْ أَمَرُ الوَاليْ عَلَى المَوْصلِ إذْ ذَاكَ آصفُ بَاشَا بِهَدْمِ الأَرْوِقَةِ الخَارجيَّةِ وَأَبْوَابِ المُصَلَّى وَتَشْييْدهَا منْ جَديْدٍ][3].

---

[1] احمد خان الثالث بن السلطان محمد خان الرابع كانت ولايته من سنة 1115هـ ولغاية 1149هـ، اهتم بإنشاء المدارس وغيرها، أنظر محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص142؛ سالنامة ولاية الموصل لسنة 1310هـ ص52.

[2] ص55و 56.

[3] ص56.

أَقُوْلُ: فِيْ سَنَةَ 1262هـ[1] كَانَ الوَالِيْ عَلَى المَوْصِلِ طَيَّارُ بَاشَا الّذيْ عُيِّنَ فِيْهَا سَنَةَ 1262هـ وَعُزِلَ عَنْهَا بِأَسْعَد بَاشَا سَنَةَ 1263هـ وَقَدْ ذَكَرَهُ نَاظِمُ الأَبْيَاتِ المَكْتُوْبَةِ عَلَى بَابِ الجَامِعِ الأَوْسَط فِيْهَا حَيْثُ قَالَ:

ذَا جَـامِعُ الخَـضْرِ هَنِيْئـاً لِمَـنْ   أَرْخَـى جَنَاحَيْـهِ عَلَـى العَـاكِفِيْنْ

لِجَنّـةٍ عَالِيَـةٍ طَـارَ هَـلْ   صَادَفْتَ (طَيَّـاراً) مِـنَ الـوَاقِفِيْنْ

وَلَمْ يَتَوَلَّ المَوْصِلَ فِيْ هَذَا العَهْد أَوْ فِيْ عَهْد قَرِيْب مِنْهُ وَالٍ يُدْعَى آصِفُ باشَا كَمَا يَدَّعِيْ ذَلِكَ المُؤَلِّفُ. وَقَدْ وَصَفَ الشَّاعِرُ فِيْ أَبْيَاته الآنِفَة الذِّكْرِ (طَيَّارَ بَاشَا) هَـذَا بِأَنَّـهُ (آصِـفُ عَصْرِه) فَظَنَّ المُؤَلِّفُ أَنَّ وَالِيَ المَوْصِلِ فِيْ ذَلِكَ التَّارِيْخِ هُوَ آصِفُ بَاشَا. فَمِنْ أَيْنَ لِلْمُؤَلِّف هَذَا البَاشَا الّذيْ أَوْجَدَهُ فِيْ المَوْصِلِ سَنَةَ 1262هـ وَالمَوْصِلُ لا تَعْرِفُ لَهُ وُجُوْداً؟.

نَعَمْ حَكَمَ المَوْصِلَ مُتَصَرِّفٌ اسْمُهُ (آصِفُ أَفَنْدِيْ) مَرَّتَيْنِ إِحْدَاهُمَا سَنَةَ 1279هـ(2)* وَعُزِلَ عَنْهَا بِضِيَاء بَاشَا الّذيْ تَوَلَّى المَوْصِلَ سَنَةَ 1285هـ ثُمَّ أُعِيْدَ آصِفُ أَفَنْدِيْ المَـذْكُوْرُ إِلَى وِلايَةِ المَوْصِلِ مَرَّةً أُخْرَى سَنَةَ 1286هـ ثُمَّ عُزِلَ عَنْهَا بِشِبْلِيِّ بَاشَا سَنَةَ 1288هـ .

---

[1] أنظر سالنامة موصل ولايتي لسنة 1325هـ/ 1907م، ص87. ومن الجدير بالذكر أن الوالي محمد طيار باشا صدرت له في زمان ولايته في الموصل أوامر بتعمير كنيسة الطائفة السريانية الكاثوليكية أواخر شهر جمادى الأول من سنة 1262هـ، أنظر محمدعلي، سجى، الإدارة العثمانية في الموصل ص199.

(2) فِيْ تَارِيْخِ المَوْصِلِ أَنَّهُ وَلِيَ المَوْصِلَ وِلايَتَهُ الأُوْلَى سَنَةَ 1284هـ وَعَلَيْه فَتَكُوْنُ الأَبْيَاتُ قَدْ كُتِبَتْ عَلَى اللَّوْحَة الحَجَرِيَّةِ وَوُضِعَتْ عَلَى بَابِ الجامِعِ الأَوْسَطِ قَبْلَ تَعْيِيْنِه وَالِيَاً عَلَى المَوْصِلِ بِأَحَدَى وَعِشْرِيْنَ سَنَة.

ثُمَّ قَالَ عَنْ آصِفٍ هَذَا الّذيْ نَعَتَهُ بِالبَاشَا أَنَّهُ أَمَرَ [بِهَدْمِ الأَرْوِقَةِ الخَارِجِيَّةِ وَأَبْوَابِ المُصَلَّى وَتَشْيِيْدِهَا مِنْ جَدِيْد].

أَقُوْلُ: لا دَلِيْلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ البَتَّةَ، إِذْ يَجُوْزُ أَنْ تَكُوْنَ أَبْوَابُ المَصَلَّى وَالأَرْوِقَةُ الخَارِجِيَّةُ هَذِه قَد انْهَارَتْ أَوْ آلَتْ إِلَى الانْهِدَامِ، فَجُدِّدَتْ عِمَارَتُهَا.

* اعتمد آل فرج في ذكر هذه السنة (1279هـ) على السالنامة الصادرة في الموصل سنة (1330هـ/1912م) ص104 والتي استلمها من الوالي كنعان باشا، باعتبار أن مدة ولايته على الموصل

ثُمَّ إنَّ أَرْوِقَةَ هَذَا الجَامِعِ الّتِيْ فَوْقَ أَبْوَابه الثَّلاثَة كَانَتْ فِيْ سَنَة 1360هـ[1] قَدْ آلَتْ إِلَى الانْهِيَار، فَعَمَّرَهَا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ المُحْسِنُ الكَبِيْرُ مُصْطَفَى بْنُ الحَاجِّ مُحَمَّدٍ بَاشَا الصَّابُوْنِيُّ فَقُلْتُ فِيْ ذَلكَ مُؤَرِّخاً:

ذَا الجَامِعُ الأَحْمَرُ لَمَّا بِهِ	مِنَ البِلَى عَاثَتْ أَكُفُّ الخَرَابْ
جَدَّدَهُ المُحْسِنُ غَيْثُ النَّدَى	مُنَاصِرُ العِلْمِ رَفِيْعُ الجَنَابْ
لِذَا مِنَ اللهِ وَمِنْ خَلْقِهِ	لَهُ الرِّضَا بَادٍ بِغَيْرِ احْتِجَابْ
طِيْبُ الهَوَى بِالقُرْبِ مِنْ دِجْلَةٍ	وَوِسْعَةٌ فِيْ السُّوْحِ ثُمَّ الرِّحَابْ
حَازَهُمَا أَرِّخْ مَعاً جَامِعٌ	المُصْطَفَى عَمَّرَهُ لِلثَّوَاب1360

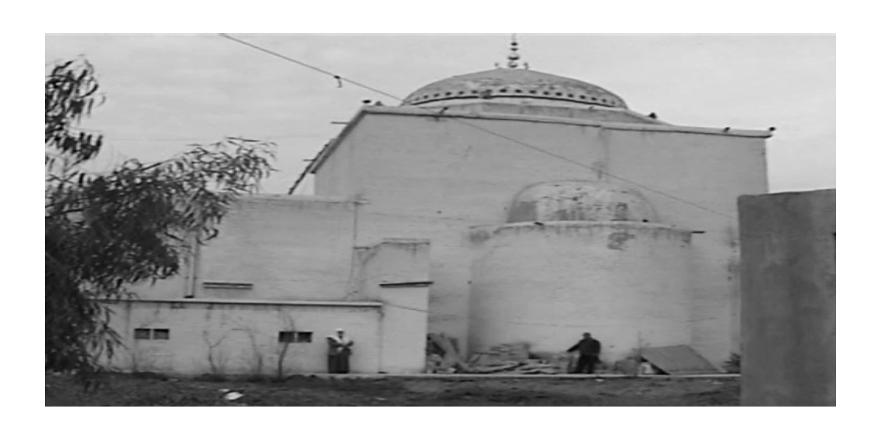
وَبَانِيْ هَذَا الجَامعِ هُوَ قَايْمَازُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مُجَاهِدُ الدِّيْنِ الخَادِمُ الرُّوْمِيُّ الحَاكِمُ عَلَى المَوْصِلِ قَالَ عَنْهُ فِيْ النُّجُوْمِ الزَّاهِرَة (ج6 ص142): (وَهُوَ الّذيْ بَنَى الجَامعَ المُجَاهِديَّ وَالمَدْرَسَةَ وَالرِّبَاطَ وَالبِيْمَارِسْتَانَ بِظَاهِرِ المَوْصِلِ عَلَى دِجْلَةَ وَوَقَفَ عَلَيْهَا الأَوْقَافَ، وَكَانَ عَلَيْه رَوَاتِبُ بِحَيْثُ أَنَّهُ لَمْ يَدَعْ بِالمَوْصِلِ بَيْتَ فَقيْرٍ إلاّ أَغْنَى أَهْلَهُ، وَكَانَ دَيناً صَالحاً عَابِداً عَادلاً كَرِيْماً يَتَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ خَارِجاً عَنِ الرَّوَاتِبِ بِمائَة دِيْنَارٍ وَلَمَّا مَاتَ عِزُّ الدِّيْنِ مَسْعُوْدُ بْنُ قُطْبِ الدِّيْنِ مَوْدُوْدٌ وَوَلَّى ابْنَهُ ارسِلانَ شَاهْ حَبَسَ قَايْمَازَ هَذَا وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَآذَاهُ إِلَى أَنْ

---

7 سنوات و 10 أشهر لتنتهي بعزله واستلام ضياء باشا الولاية سنة 1285هـ، انظر سالنامة ولاية الموصل لسنة 1310هـ ص 78. في حين ذكر العزاوي في كتابه العراق بين احتلالين ج8 ص229 مانصه: (انفصل متصرف الموصل ضياء باشا وصار مكانه دفتري الولاية السابق آصف أفندي ذهب الى محل وظيفته يوم السبت 20 شوال 1286، نقلاً عن جريدة الزوراء العدد 32 في 23 شوال 1286 ومنية الأدباء ص296).

[1] ذكر آل فرج سنة تجديد الإعمار 1366هـ في الموقعين اللذين ذكرهما وصوبناهما، والصواب ما أثبتناه وقد كانت منه زلة قلم واللبس حدث معه في موضوع بناء نجيب الجادر سنة 1366هـ. وكذلك انظر قيمة التاريخ الشعري الموافقة للرقم 1360وانظر كتابنا (إسماعيل الكبير) ص137.

مَاتَ فِيْ حَبْسِهِ سَنَةَ 594هـ)، أَقُوْلُ: وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِيْ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَمِرْآةِ الزَّمَانِ وَابْنِ خِلِّكَانَ وَغَيْرِهَا.



جامع مجاهد الدين (الخضر) من جهة المحراب سنة 2007



محراب جامع مجاهد الدين وقد ازيلت لوحة الوزير (الصورة سنة 2007)

مَرْقَدُ عَلِيٍّ الأَصْغَرِ بْنُ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ الحَنَفِيَّةِ



قبة مرقد علي الأصغر وعلى الجهة اليسرى قاعدة مئذنة الجامع الكبير سنة 2007

قَالَ عَنِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ الحَنَفِيَّةِ: [تُوُفِّيَ فِيْ الطَّائِفِ سَنَةَ 81هـ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ خَمْسَة وَستِّيْنَ سَنَة][1].

أَقُوْلُ: وَالصَّوَابُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَستِّيْنَ سَنَة.

وَقَالَ: [يُفْهَمُ مِنْ أَقْوَالِ صَاحِبِ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ وَمُؤَلِّف كِتَاب الإِنْتصَارِ][2].

أَقُوْلُ: الصَّوَابُ: يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ صَاحِبِ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ وَمُؤَلِّف كِتَاب الإِنْتصَار.

وَقَالَ: [وَلِذَلِكَ لَمْ نَعْثَرْ عَلَى مُسْتَنَدٍ يُرْكَنُ إِلَيْهِ فِيْ تَحْقِيْقِ وُجُوْدِ قَبْرِ عَلِيٍّ الأَصْغَر فِيْ هَذه البَلْدَة][3].

أَقُوْلُ: هَذَا حَقٌّ، بَلْ لَيْسَ لأَوْلادِ مُحَمَّد بْن الحَنَفِيِّة عَقبٌ فِيْ العِرَاق، فَقَدْ جَاءَ فِيْ كِتَابِ عُمْدَةِ الطَّالِبِ فِيْ أَنسَابِ آلِ أَبِيْ طَالِبٍ مَا نَصُّهُ: (بَنُوْ مُحَمَّدٍ بْنِ الحَنَفِيَّة قَلِيْلُوْنَ جِدّاً،

---

[1] ص58 وبتصرف في كلمة توفي.

[2] ص59.

[3] ص60.

لَيْسَ بِالعِرَاقِ وَلا بالحِجَازِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَبَقِيَّتُهُمْ إِنْ كَانَتْ فَبِمَصْرَ وَبِلادِ العَجَمِ، وَبِالكُوْفَةِ مِنْهُمْ بَيْتٌ وَاحِدٌ)[1].

وَقَالَ: [وَتَحْتَهُمَا (يُرِيْدُ الزَّهْرَتَيْنِ) أَقْوَاسٌ صِغَارٌ][2].

أَقُوْلُ: الأَقْوَاسُ جَمْعُ قَوْسٍ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ، وَتَذْكِيْرُهَا قَلِيْلٌ، وَصِغَارٌ جَمْعُ صَغِيْرٍ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ، فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُوْلَ: أَقْوَاسٌ صَغِيْرَةٌ أَوْ أَقْوَاسٌ صَغِيْرَاتٌ.

وَقَالَ: [فَحَصَلَ مِنْهُمَا تَاجَان كَالتَّاجَيْنِ المَذْكُوْرَيْنِ وَلَكِنْ أَدَقُّ][3].

أَقُوْلُ: لَمْ يَذْكُرِ المُفَضَّلَ عَلَيْهِ فِيْ قَوْلِهِ (أَدَقُّ) الّذِيْ يَجِبُ ذِكْرُهُ هَا هُنَا مَجْرُوْراً بِمِنْ. نَعَمْ، يَجُوْزُ حَذْفُهُ فِيْ الشِّعْرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ وَذَلِكَ كَمَا فِيْ قَوْلِ جَرِيْرٍ:

إِنَّ الّذِيْ سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا   بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وَلَكِنْ ذَهَبَ المَانِعُوْنَ إِلَى أَنَّ اسْمَ التَّفْضِيْلِ هَا هُنَا مُجَرَّدٌ مِنْ مَعْنَاهُ وَالمُرَادُ بِهِ مَعْنَى الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ أَيْ دَعَائِمُهُ عَزِيْزَةٌ طَوِيْلَةٌ لا أَنَّهُ أَطْوَلُ وَأَعَزُّ مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا يُرَادُ بِهِ أَحْيَاناً مَعْنَى اسْمِ الفَاعِلِ نَحْوُ: {اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}[4] أَيْ عَالِمٌ، قَالَ ابْنُ مَالِك[5]:

وَأَفْعُلُ التَّفْضِيْلِ صِلْهُ أَبَدا   تَقْدِيْراً، أَوْ لَفْظاً، بِمِنْ إِنْ جُرِّدَا

---

[1] ابن عنبة، ص353. فهو أبو القاسم المشهور بابن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنفية بن لجيم وهي من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها. أعتقها وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب. وولد لأبي القاسم محمد أربعة وعشرين ولداً منهم أربعة عشر ذكراً.

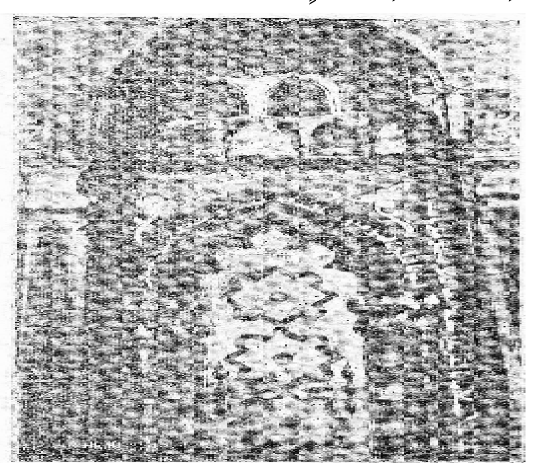
[2] ص61.

[3] ص61.

[4] الأنعام 124.

[5] شرح ابن عقيل ج2 ص176.

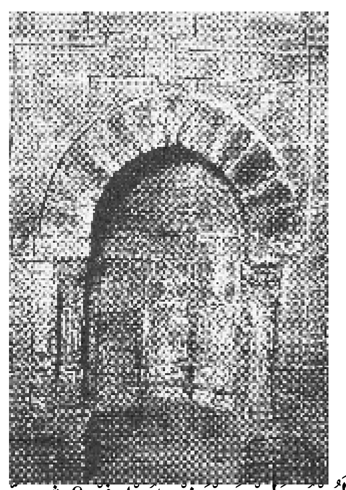
قَالَ الشَّارِحُ ابْنُ عَقيْلٍ: إِذَا كَانَ اسْمُ التَّفْضيْلِ مُجَرَّدَاً فَلا بُدَّ أَنْ تَتَّصلَ به منْ لَفْظـــاً أَوْ تَقْديْراً جَارَّةً للْمُفَضَّلِ عَلَيْه نَحْوُ: زَيْدٌ أَفْضَلُ منْ عَمْرٍو، وَقَدْ تُحْـــذَفُ (مـــنْ) وَمَجْرُوْرُهَـــا للدِّلالَة عَلَيْهِمَا كَقَوْله تَعَالَى { أَنَا أَكْثَرُ منْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً }[1] أيْ وَأَعَزُّ نَفَراً منْكَ. قَـــالَ الخُضَرِيُّ فِيْ حَاشِيَته: (أي فَيَمْتَنعُ حَذْفُهَا بِلا دَلِيْلٍ).



محراب مرقد على الاصغر (عن الصوفي)

[1] الكهف 34.

مَرْقَدُ وَمَسْجِدُ أَوْلادِ الحَسَنِ[1]



قَالَ عَنْهُ: إِنَّ هَذَا المَرْقَدَ الّذيْ شُيِّدَ بِاسْمِ أَوْلاد الحَسَنِ [هُوَ مَقَامٌ لا مَشْهَدٌ وُضِعَ لِلتَّبَرُّك شَأْنُ بَعْضِ المَقَامَاتِ المَوْجُوْدَةِ فِيْ المَوْصِلِ][2].

أَقُوْلُ: المَقَامُ مَوْضِعُ الإِقَامَة أَوْ زَمَنُهَا أَوْ هُوَ الإِقَامَةُ نَفْسُهَا، وَالمَشْهَدُ مَكَانُ اسْتِشْهَادِ الشَّهِيْدِ وَمَحْضَرُ النَّاسِ وَمُجْتَمَعُهُمْ، جَمْعُهُ مَشَاهِدُ.

فَهَلْ يَعْنِيْ أَنَّ أَوْلادَ الحَسَنِ أَقَامُوْا فِيْ هَذَا المَوْضِعِ وَاسْتَوْطَنُوْهُ وَلَمْ يَسْتَشْهِدُوْا فِيْهِ؟ ثُمَّ كَيْفَ لَهُ أَنْ يُسَمِّيَ هَذَا المَوْضِعَ (مَقَاماً) لأَوْلاد الحَسَنِ مَعَ أَنَّ قِصَّتَهُمْ خَيَالِيَّةٌ، لا يُؤَيِّدُهَا النَّقْلُ وَلا العَقْلُ؟ وَهُمْ لَمْ تَثْبُتُ لَهُمْ إِقَامَةٌ فِيْهِ البَتَّةَ؟. ثُمَّ أَيْنَ هُوَ هَذَا المَرْقَدُ الّذيْ شُيِّدَ بِاسْمِ أَوْلاد الحَسَنِ؟ وَالمَرْقَدُ هُوَ مَحِلُّ الرُّقُوْدِ، وَيُطْلَقُ عُرْفاً عَلَى القَبْرِ لأَنَّ صَاحِبَهُ يَرْقُدُ فِيْهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

---

[1] ذكره سيوفي في مجموعه ص56 بعنوان: (مسجد بيت شهيدو) في سوق الصياغ، والديوه جي في الهامش رقم (1) بعنوان: مسجد بنات الحسن. ومسجد الصاغة الذي أنشأت فيه الحاجة عدلة بنت احمد شهيدو مدرسة، وللمزيد انظر كتابنا تراجم قراء ص158. وأحمد بن محمد أمين الشهيدو: كان حياً سنة 1276هـ في وقفية يحدد ما أوقفه على مدرسته ومسجده المسمى ببنات الحسن في سوق الصاغة. ولعل وفاته كانت سنة 1313هـ عندما انتقلت التولية إلى ابنته عدلة ومن بعدها الى ولدها حسن في هذه السنة.

[2] ص65. وصورة المحراب عن الصايغ.

وَأَوْلادُ الحَسَنِ هَؤُلاءِ لَيْسَ لَهُمْ فِيْ هَذَا المَسْجِد مَرْقَدٌ البَتَّةَ وَلَمْ يُشَيِّدْهُ لَهُمْ فِيْه أَحَدٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ إِنَّهُمْ طَرَحُوْا أَنْفُسَهُمْ فِيْ البِئْرِ الَّتِيْ قَالَ عَنْهَا المُؤَلِّفُ إِنَّهَا فِيْ دِهْلِيْزٍ دَاخِلَ المَسْجِدِ، وَالبِئْرُ لا يُقَالُ عَنْهَا قَبْرٌ مُشَيَّدٌ!.

ثُمَّ قَالَ: عَنْ هَذَا المَرْقَد الَّذيْ سَمَّاهُ (مَقَاماً) [وَلَكِنَّ منَ المُؤَكَّد أَنَّهُ قَديْمٌ جِدّاً][1].

أَقُوْلُ: الصَّحِيْحُ أَنَّهُ لَيْسَ بِقَديْمٍ بَلْ حَادِثٌ، فَالأَوْلَى أَنْ يَقُوْلَ: إِنَّهُ عَتِيْقٌ جِدّاً.

ثُمَّ قَالَ: [إِنَّ هَذَا المَسْجِدَ يَحْتَوِيْ عَلَى آثَار تَارِيْخيَّة مُهِمَّة جِدّاً][2].

أَقُوْلُ: قَالَ هَذَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ مِنْ هَذِه الآثَارِ المُهِمَّةِ فِيْ نَظَرِه شَيْئاً سِوَى المِحْرَاب. فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ ذُوْ زُخْرُف وَنُقُوْشٍ جَمِيْلَة، لِذَلِكَ فَهُوَ مِنَ العَادِيَات الثَّمِيْنَة لا مَحَالَةَ. ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ غَيْرَهُ مِمَّا سَمَّاهُ (الآثَارَ التَّارِيْخيَّةَ المُهِمَّةَ) فَلَمْ يَسْتَطِعْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ نَاوُوْساً وَاحِداً مِنَ المَرْمَر لَمْ يَحْتَوِ عَلَى شَيءٍ مِنَ الزَّخْرَفَةِ أَوِ النُّقُوْشِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُوْنُ بِهِ ذَا قِيْمَةٍ أَثَرِيَّة[3].

إِذَنْ فَمَا هِيَ هَذِه الآثَارُ الَّتِيْ يَقُوْلُ عَنْهَا إِنَّهَا مُهِمَّةٌ جِدّاً فِيْ هَذَا المَوْضِعِ الَّذِيْ سَمَّاهُ (مَرْقَداً) ثَمَّ (مَقَاماً)؟، وَهُوَ فِيْ الحَقِيْقَة بِئْرٌ مُعَطَّلَةٌ لا غَيْرُ.

---

[1] ص65.

[2] ص65.

[3] الناووس معرب: مقبرة النصارى، ويطلق على تابوت من حجر تجعل فيه جثة الميت. انظر البستاني، قطر المحيط 2253/2.ويضم الناووس تاريخاً لوفاة امرأة سنة 748هـ الذي لم يستدركه سيوفي في زيارته، انظر مجموع الكتابات المحررة ص56و192.

مَرْقَدُ الإمَامِ عَوْنِ الدِّيْن[1]

نَقَلَ المُؤَلِّفُ عَنْ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ أَنَّهُ: [الإِمَامُ عَوْنُ الدِّيْنِ بْنُ الحَسَنِ لَهُ مَشْهَدٌ وَمَكَانٌ مَعْلُوْمٌ فِيْ المَوْصِلِ بَنَاهُ المَلِكُ لُؤْلُؤٌ وَهُوَ مِنْ أَوْلادِ الشَّهِيْدِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ صُلْبِهِ، بَلْ هُوَ مِنَ البُطُوْنِ النَّازِلَةِ][2].

---

[1] شيد هذا المرقد بدر الدين لؤلؤ سنة 620هـ/1222م وكما مدون على جدران المرقد، وتشاهد قبته المخروطية المضلعة والمشيدة بالآجر والجص حيث يزيد ارتفاعها على 30 متراً وهي شاخصة للعيان من بعيد. أنظر يوسف، تاريخ فن العمارة العراقية 424.

[2] ص67. وكذا ذكر الجليلي في الانتصار الورقة 206 أنه ابن الحسن، وأنه مدفن الجعفري الذي دفن فيه السادة الحسينية: شرف الدين محمد أبو عبد الله نقيب الموصل ودياربكر سنة 725هـ، وولده عز الدين إبراهيم ابو اسحق النقيب سنة 798هـ، وابنه محيي الدين احمد أبو العباس النقيب سنة 764هـ، وابنه نصير الدين عبيد الله أبو المحامد سنة 802هـ، وركن الدين الحسن أبو محمد سنة 802هـ، والعالم ملا حمد الجميلي وملا موسى الحدادي، واسعد بيك بن الحاج حسين باشا الجليلي سنة 1224هـ، ومحمد بيك نجل الأمير سعد أو أسعد نجل المرحوم الوزير الحاج حسين باشا سنة 1210هـ والسيد زكريا سنة 1200هـ و يحيى بن زكريا سنة 1210هـ وغيرهم.



قبة مرقد الإمام عون الدين سنة 2007

أَقُوْلُ: الإِمَامُ عَوْن الدِّيْنِ هَذَا غَيْرُ مَعْرُوْف النَّسَب عِنْدَنَا، وَكَوْنُــهُ مِــنْ أَوْلاد سَــيِّدِنَا الحَسَنِ مِنَ البُطُوْن النَّازِلَة مِنْهُ، لَمْ يَرِدْ مَا يُؤَيِّدُهُ وَحَيْثُ إِنَّ النَّاسَ مَأْمُوْنُوْنَ عَلَــى أَنْــسَابِهِمْ فَلَيْسَ لَنَا إِلاّ التَّوَقُّفُ فِيْ صِحَّة نِسْبَته إِلَى البَيْت النَّبَوِيِّ الكَرِيْمِ حَتَّى يَرِدَنَا البُرْهَانُ فِيْ ذَلِكَ. وَلَهُ فِيْ المَوْصِلِ مَرْقَدٌ (أَيْ قَبْرٌ) لا مَشْهَدٌ، لأَنَّ المَشْهَدَ مَكَانُ اسْتِشْهَاد الشَّهِيْد، أَوْ هُوَ مَحَــلُّ المُشَاهَدَة أَعْنِيْ المَحلَّ الّذِيْ كَانَ يُشَاهِدُ النَّاسُ فِيْهِ صَاحِبَهُ، وَهُوَ هُنَا غَيْرُ مُــرَادٍ، وَفِيْ مَــدْحِ الإِمَام عَوْن الدِّيْنِ هَذَا يَقُوْلُ المَرْحُوْمُ الشَّيْخُ المَلاّ حَسَنُ البَزَّازُ المَوْصِليُّ[1]

مَوْلاَيَ عَــوْنَ الــدِّيْنِ يَــا مَــنْ حُبُّــهُ	قُوْتُ القُلُــوْبِ وَرَاحَــةُ الأَرْوَاحِ
وَاللهِ إِنَّ مَدِيْحَــكُمْ يَــا سَــادَتِيْ	يُغْنِيْ النَّدَامَــى عَنْ كُــؤُوْسِ الــرَّاحِ
مَا مَــرَّ سَــائِغُ ذِكْــرِكُمْ إِلاّ حَــلا	تِكْــرَارُهُ لِلْعَــاشِقِ المُلْتَــاحِ
طِبْ يَــا نَــدِيْمُ وَغَنِّــيْ مُعْــلِنَا	وَاسْكَرْ بِخَمْرِ مَدِيْحِــهِ يَــا صَــاحِ

وَلَهُ قَصِيْدَتَانِ أُخْرَيَانِ فِيْ مَدْحِهِ أَيْضاً تَجِدُهُمَا فِيْ دِيْوَانِهِ[2]

---

[1] 76.

[2] ص75و76.





لوحة مرمرية مزخرفة فوق باب مدخل الإمام عون الدين مؤرخة سنة 1329هـ تحمل بيتاً يؤرخ سنة التعمير أخذت سنة 2007 يقول:

سَعْي سَعيْدٍ دَامَ بِالسَّعْدِ أَرِّخُوْا   لِمَرْقَدِ عَوْنِ الدِّيْنِ أَجْوَدَ تَعْمِيْر

المدخل المؤدي الى مرقد الإمام عون الدين عام 2007



مرقد سيد زكريا المتوفى عام 1200هـ

مَرْقَدُ الإِمَامِ يَحْيَى أَبِي القَاسِمِ

لَمْ يَتَكَلَّمِ المُؤَلِّفُ عَنْ نَسَبِ الإِمَامِ يَحْيَى أَبِيْ القَاسِمِ هَذَا وَلَمْ يُعَرِّفْنَا بِهِ البَتَّةَ[1].

---

[1] نشر الصوفي مقالاً موسعاً في جريدة فتى العــراق في العــدد 182 و183 في 12/5 و 1935/12/8 بعنوان (الآثار القديمة في الموصل، مرقد الإمام يحيى بن الإمام أبو القاسم) ولم يذكر اسمه صراحة، وقد نشرت الصحيفة بأن المقال لمفتش الآثار القديمة للمنطقة الشمالية. ومن المعلوم أن الــصوفي تــولى أعمال المفتشية في 1935/10/5 انظر العبادي، لقاء فتحي، احمد الصوفي 1893ــ 1981 ص42.

وفيما يلي بعضاً منه مما لم ينشر في الكتب الصادرة عنه وعن غيره: (...ففي قاعدة الــركن الأيمــن مكتوب هذه العبارة: (اجتهد بتجديد هذه الحضرة العبد الفقير) والباقي مــن الكتابــة مــدفون في الأرض. وفي قاعدة الركن الأيسر: (..الحاج..) ثم كلمة قد أصاب حروفها التلف، ثم تأتي بعد ذلك: (بن علي خادم الحضرة ؟؟؟؟)، وتحت الجدار الأيمن الداخل الى المراقد لوحتان من المرمر يبلغ طــول كل واحدة منها 1،68م ــ 60سم وفي هاتين اللوحتين كتابات بالخط النسخي وهي: (والحسن بــن علي العسكري وسيدنا ومولانا الحجة صاحب الزمان عليه الصلوات والسلام هذا ما أمر بعمارتــه تقرباً الى الله تعالى والى رسوله وآل بيته صلوات الله تعالى). ثم يأتي سطر مدفون بالأرض، ثم تأتي بعد

وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ فِيْ سَالْنَامَة الَموْصِلِ لصَفْوْة بكْ لسَنَة 1325هـ[1]: (الإِمَامُ يَحْيَى بْنُ الإِمَامِ قَاسِمٍ بْنِ الإِمَامِ حَسَنٍ بْنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ، مَرْقَدُهُ الُمطَهَّرُ دَاخِلَ سُوْرِ مَدِيْنَة الَموْصِلِ، وَاقِعٌ بَيْنَ بَاشْطَابْيَةَ (البُرْجِ الأَعْلَى) وَسَرَايِ السُّلْطَانِ لُؤْلُؤٍ الخَرِب الآنَ، مُشْرِفٌ عَلَى نَهْرِ دجْلَةَ، وَوَاقِعٌ عَلَى السُّوْرِ، وَمَرْقَدُهُ الُمنَوَّرُ يَحْتَوِيْ آثَاراً نَفِيْسَةً عُمْرَانِيَّةً، تُحَيِّرُ العُقُوْلَ بِجَمَالِهَا، خَاصَّةً الإِبْدَاعُ فِيْ بِنَاءِ القُبَّة الُمشَيَّدَة عَلَى مَرْقَده). وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ صَاحِبَ السَّالْنَامَة سَمَّاهُ يَحْيَى بْنَ القَاسِمِ بْنِ الحَسَنِ، وَهُوَ عَيْنُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ يُوْسُفُ الجَلِيْلِيُّ الَموْصِلِيُّ فِيْ كِتَابِه (الانْتِصَارُ) وَقَالَ: (هَكَذَا مَكْتُوْبٌ عَلَى قَبْرِه الُمبَارَك بِالخَطِّ القَدِيْمِ، وَهَكَذَا مَكْتُوْبٌ عَلَى الُمصْحَفِ القَدِيْمِ الَموْقُوْف عَلَى حَضْرَته الُمنَوَّرَة)، ثُمَّ قَالَ: (وَأُمُّهُ الكَرِيْمَةُ بِنْتُ الإِمَامِ الحُسَيْنِ بْنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ، تَزَوَّجَهَا أَبُوْهُ فِيْ كَرْبَلاءَ، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ مَعَ عَمِّهِ الحُسَيْنِ بْنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَيَكْفِيْ فَخْراً لِهَذَا الإِمَامِ الهُمَامِ أَنَّ لَهُ جَدَّيْنِ كَرِيْمَيْنِ الإِمَامُ الحَسَنُ وَالإِمَامُ الحُسَيْنُ وَهُمَا سُلالَةُ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا) [2].

قُلْتُ: قَالَ هَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسَمِّ لَنَا أُمَّ الإِمَامِ يَحْيَى هَذه الّتِيْ قَالَ إِنَّهَا ابْنَةُ الحُسَيْنِ السِّبْطِ u ، وَأَمَّا كِتَابَةُ اسْمِ الإِمَامِ يَحْيَى وَاسْمِ أَبِيْهِ عَلَى قَبْرِه الشَّرِيْفِ الّتِيْ كَانَتْ مَوْجُوْدَةً

ذلك جملة وهي: (...تعالى الحاج ابراهيم أخ الحاج احمد..) ثم تأتي جملة أخرى قد أصاب حروفها العطب.

ويرجح الصوفي أن هاتين اللوحتين ثبتتا أثناء التعمير بباب المرقد والرواق الذي أمامه. ويسهب في كلامه عن المرقد حيث قال: (وفي المرقد يوجد قبة مثمنة الأضلاع مشيدة بالآجر، وفي أثناء الترميمات السابقة سترت بطبقة من الجص، وإذا ما رفعت يظهر أصل بناية القبة بألوانها الزاهية، ارتفاعها عن سطح الفناء ما يقارب 18 م).

ولا أدري لماذا أهمل الصوفي تاريخ هذا التجديد الذي ظهر بعض نصه الذي يدل على مطلع القرن الثامن الهجري (...ع عشرة وسبعمائة)، وكذلك لم يبين لنا أن إبراهيم هو ابن علي. انظر مجلة سومر (م24/ 1ــ2/ 1968) سعيد الديوه جي (مشهد الإمام يحيى بن القاسم) ص174 واللوح 4 الشكل 3 أ.

[1] ص123، وقد ترجم عبارته آل فرج الى العربية.

[2] الورقة 208 بعنوان الإمام يحيى t .

وَحَدَّثَنَا الشَّيْخُ يَوْسُفُ عَنْهَا هَا هُنَا فَهِيَ غَيْرُ مَوْجُوْدَة الآنَ، وَقَدْ مَحَتْهَا أَيْديْ الحَدَثَان. غَيْر أَنَّ تَسْميَتَهُ بيَحْيَى بْنِ القَاسِمِ مُخَالِفَةٌ لِمَا هُوَ مَشْهُوْرٌ، وَالمشْهُوْرُ عَلَى أَلْسِنَةِ المَوَاصِلَةِ منْ أَنَّهُ يَحْيَى أَبُوْ القَاسِم.

هَذَا، وَإِنَّ النَّسَّابيْنَ قَدْ ذَكَرُوْا للْحَسَنِ u أَحَدَ عَشَرَ وَلَداً لَيْسَ فيْهِمْ مَنْ اسْمُهُ القَاسِمُ إِلاّ المُوَضِّحَ النَّسَّابَةَ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَهُ وَزَادَهُ عَلَى العَدَد المَذْكُوْر فَبَلَغَ عَدَدُ أَوْلاد الحَسَن إِثْنَى عَشَرَ وَلَداً، قَالَ صَاحبُ عُمْدَة الطَّالب فِيْ أَنْسَاب آل أَبِيْ طَالب: (وَهِيَ زِيَادَةٌ صَحيْحَةٌ)[1]، غَيْرَ أَنَّهُ هُوَ وَالمُوَضِّحُ النَّسَّابَةُ المَذْكُوْرُ كلاهُمَا لَمْ يَذْكُرَا للْقَاسِمِ عَقِباً البَتَّةَ، فَلَعَلَّ يَحْيَى هَذَا أَنْ يَكُوْنَ يَحْيَى الزَّاهدُ بْنُ القَاسِمِ الشَّبِيْه الّذيْ لَهُ عَقِبٌ بمصْرَ بْنِ مُحَمَّد الدِّيْبَاج بْن جَعْفَر الصَّادق u وَإِنْ كَانَ هُوَ يَحْيَى أَبُوْ القَاسِمِ كَمَا هُوَ مَشْهُوْرٌ عَلَى أَلْسِنَةِ المَوَاصلَة فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُوْنَ يَحْيَى بْنُ الحُسَيْنِ ذيْ الدَّمْعَة بْنِ الإمَام زَيْد الشَّهيْد بْن الإمَامِ زَيْن العَابديْنَ u فَإِنَّ يَحْيَى هَذَا لَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى (القَاسمُ) وَكَانَ يُكَنَّى به، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: (يَحْيَى أَبُوْ القَاسِم)، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الأَقْرَبُ إِلَى الحَقيْقَة، قَالَ الشَّيْخُ يُوْسُفُ الجَليْليُّ: (وَسَمعْتُ مِنْ ثقَاة أَهْلِ البَيْت أَنَّهُ قَدْ كُشفَ عَنْ قَبْره المُنَوَّر الشَّرِيْف فِيْ بَعْضِ السِّنِيْنِ فَرَأَوْا جَسَدَهُ الشَّرِيْفَ الطَّاهِرَ طَرِيّاً لَمْ يَتَغَيَّرْ t وَعَنْ آبَائه الكرَام)[2].

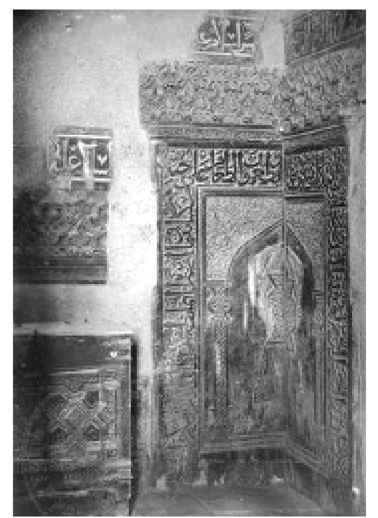


---

[1] ص68. وهم: زيد والحسن المثنى والحسين وطلحة وإسماعيل وعبد الله وحمزة ويعقوب وعبد الرحمن وأبو بكر وعمر إضافة للقاسم.

[2] الورقة 208.

مرقد الإمام يحيى ابو القاسم عام 2007



داخل مرقد يحيى ابو القاسم 1912

(وثائق غزوان الحيالي)

جَامِعُ وَمَرْقَدُ الإِمَامِ البَاهِرِ



مرقد وجامع الإمام الباهر سنة 2007

قَالَ عَنْ نَسَبِه: [جَاءَ فِيْ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ[1]: الإِمَامُ مُحَمَّدٌ البَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ هُــوَ فِيْ نَاحِيَةِ الخَرَابِ فِيْ المَوْصِلِ][2].

أَقُوْلُ: لَيْسَ فِيْ أَوْلادِ الإِمَامِ مُحَمَّد البَاقِرِ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّد البَــاهِرِ، قَــالَ أَبُــوْ نَــصْرٍ البُخَارِيُّ: (وَلَدَ مُحَمَّدُ البَاقِرِ u أَرْبَعَةَ بَنِيْنَ وَبِنْتَيْنِ)[3] وَقَالَ العُمَرِيُّ فِيْ المُجْدِيِّ: (وَلَــدَ الإِمَامُ البَاقِرُ أَمَّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبَ الصُّغْرَى وَجَعْفَرَ الصَّادِقَ u وَعَبْدَ اللهِ أَوْلَــدَ وَانْقَــرَضَ، وَعَلِيٌّ كَانَتْ لَهُ بِنْتٌ، وَزَيْدٌ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ الثَّقَفِيَّةِ دَرَجَ)[4].

---

[1] ج2 ص79.

[2] ص76. وكذا في منية الأدباء ص107.

[3] إبن عنبة، عمدة الطالب ص195 هامش رقم 1.

[4] المصدر نفسه.

وَالصَّحِيْحُ أَنَ الإِمَامَ البَاهِرَ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ لا مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَخُوْ الإِمَامِ مُحَمَّد البَـاقِرِ لا ابْنُهُ، فَهُوَ عَبْدُ اللهِ البَاهِرِ بْنُ زَيْنِ العَابِدِيْنَ[1]عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْن عَلِيٍّ بْنِ أَبِيْ طَالِب u . قَالَ صَاحِبُ كِتَاب عُمْدَة الطَّالِب بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ نَسَبَهُ هَذَا: (وَلُقِّبَ البَاهِرَ لِجَمَاله، قَالُوْا مَا جَلَسَ مَجْلِساً إلاّ بَهَرَ جَمَالُهُ وَحُسْنُهُ مَنْ حَضَرَ، وَوُلِّيَ صَدَقَات النَّبِيِّ r وَأُمُّهُ أَمُّ أَخِيْـه مُحَمَّـد البَاقِرِ u وَوُلِّيَ صَدَقَات أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ u أَيْضاً، وَعَقِبُهُ قَلِيْلٌ، أَعْقَبَ مِـن ابْنِـه مُحَمَّـد الأَرْقَط وَحْدَهُ، وَيُكَنَّى مُحَمَّدٌ أَبَا عَبْدِ الله، وَكَانَ مُحَدِّثاً مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَة، أَقْطَعَهُ السَّفَّاحُ عَيْنَ سَعِيْد بْنِ خَالِد، وَعَمَّرَ ثَمَانِيْ وَخَمْسِيْنَ سَنَةً، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بالأَرْقَط لأَنَّهُ كَانَ مَجْدُوْراً)[2].

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ كَوْنُ الإِمَامِ البَاهِرِ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ وَأَنَّهُ ابْنُ الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِيْنَ مَا جَـاءَ فِيْ سَالْنَامَة المَوْصِلِ لِسَنَة 1325هـ مَا تَرْجَمَتُهُ: (الإِمَامُ عَبْدُ اللهِ البَاهِرُ بْنُ الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِيْنَ بْنِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ مَدْفُوْنٌ فِيْ جَامِعٍ بَنَاهُ أَحَدُ المُلُوْك المُتَقَدِّمِيْنَ فِيْ مَحَلَّة الشَّيْخِ فَتْحِيٍّ)[3] وَمَا جَاءَ فِيْ كِتَاب (الإِنْتِصَارِ) لِلشَّيْخِ يُوْسُفَ الجَلِيْلِيِّ، وَنَصُّهُ: (الإِمَامُ عَبْدُ اللهِ البَاهِرِ t هُـوَ ابْـنُ الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِيْنَ بْنِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ شَهِيْد كَـرْبَلاء، هَكَـذَا ثَبَـتَ فِيْ سَـائِرِ كُتُـب الأَنْسَاب..)[4]. وَفِيْه يَقُوْلُ الشَّاعِرُ الأَدِيْبُ الشَّيْخُ المَلاّ حَسَنُ البَزَّازُ المَوْصِلِيُّ المُتَوَفَّى سَـنَةَ 1305هـ[5]:

حَازَ الإِمَـــامُ الفَرْدُ عَبْـدُ اللهِ مَـا	لَمْ تَـسْتَطِعْـــهُ أَوَائِـلٌ وَأَوَاخِـرُ
نَشَرَ الفَضَائِلَ وَالفَوَاضِـلَ وَانْطَـوَتْ	فِيْ السِّرِّ مِنْـهُ مَـآثِرٌ وَمَفَـــاخِرُ
لا بِدْعَ إِنْ بَهَـرَ العُقُـــوْلَ بَهَـــاؤُهُ	وَكَمَالُهُ، فَهُـوَ الإِمَـــامُ البَـاهِرُ

[1] في الاصل: زين العابدين بن علي، ولعله زلة قلم، والصحيح ما أثبتناه.

[2] ص194و 252 في المقصد الثاني إلاّ أن النص يورد أن الباهر توفي وهو إبن سبع وخمسين سنة.

[3] ص123.

[4] الورقة 208.

[5] ص78.

إِذَنْ فَمَا نَقَلَهُ الْمُؤَلِّفُ عَنْ مَنْهَلِ الأَوْلِيَاءِ أَنَّ البَاهِرَ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَأَنَّهُ ابْنُ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ غَيْرُ صَحيْحٍ.

وَقَالَ: [أَمَّا قَاعَةُ المَرْقَد (مَرْقَدُ البَاهِرِ) فَبَابُ مَجَازِهَا الخَارجيِّ قَد انْهَدَمَ، وَسَقْفُهَا عَلَى وَشْك الانْهيَارِ، وَفي هَذَا المَجَاز آثَارُ قَبْرَيْنِ يُقَالُ: إِنَّ أَحَدَهُمَا قَبْرُ ابْنِ الإِمَامِ وَالثَّانيْ لأَحَد مُريْديْه الْمُسَمَّى السَّيِّدُ بَكْتَاش)][1].

أَقُوْلُ: أَمَّا ابْنُ الإِمَامِ البَاهِرِ وَهُوَ وَحيْدُهُ مُحَمَّدٌ الأَرْقَط فَهُوَ منْ أَهْلِ المَدينَة وَسُكَّانُهَا، وَمنَ الرَّاجحِ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ تُوُفِّيَ وَدُفنَ فيْهَا. وَكَوْنُهُ تُوُفِّيَ فيْ المَوْصلِ أَوْ أَنَّهُ نُقلَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَوْته أَوْ دَفْنه فيْ المَدينَة بَعيْدٌ جدّاً، بَلْ إِنَّ نَقْلَهُ منْهَا إِلَى المَوْصلِ ممَّا يَسْتَحيْلُ عَادَةً فيْ ذَلكَ العَصْرِ لبُعْد المَسَافَة بيْنَ المَدِيْنَة وَالمَوْصلِ، فَهَذَا القَبْرُ الّذيْ يَقُوْلُ الْمُؤَلِّفُ عَنْهُ أَنَّهُ يُقَالُ: (إِنَّهُ قَبْرُ ابْنِ الإِمَامَ البَاهِرِ لا يُرْكَنُ إِلَيْه، وَأَمَّا القَبْرُ الثَّانيْ الّذيْ يَقَالُ عَنْهُ إِنَّهُ قَبْرُ بَكْتَاشَ الّذيْ يَقُوْلُ إِنَّهُ أَحَدُ مُرِيْديْ البَاهِرِ لا يَصُحُّ أَيْضاً، لأَنَّ الشَّيْخَ وَالْمُرِيْدَ بالمَعْنَى الْمُصْطَلَحِ عَلَيْه الآنَ عنْدَ الصُّوْفيَّة لَمْ يَكُنْ قَد اصْطُلحَ عَلَيْه فيْ عَهْد الإِمَامِ البَاهِرِ، أَيْ بَعْدَ المائَة الأوْلَى منَ الهجْرَة النَّبَوِيَّة بقَليْلٍ، وَهُوَ يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ قَبْراً لأَحَد الصُّلَحَاء أَوْ أَحَد السَّادَة الأَشْرَاف منْ أَهْلِ المَوْصلِ وَيُؤَيِّدُ ذَلكَ مَا جَاءَ فيْ كتَاب الإِنْتصَار للشَّيْخ يُوْسُفَ الجَلِيْليِّ التَّاليْ: (وَعنْدَ بَاب حَضْرَته قَبْرُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ السَّيِّد بِكْتَاشَ الحُسَيْنيِّ)[2].

[1] ص76. ومن الجدير بالذكر أنه من خلال زيارتي الميدانية أن قاعة الضريح تضم لوحة حجرية ثبتت قبالة مدخل القبر وقد كتب فيها العبارة الآتية: (هذا ضريح الإمام ابن الإمام محمد بن علي بن الحسين ابن أبي طالب ظهر في شهر صفر من سنة تسع وتسعين وستمائة هجرية عليهم سلام). وهذا النص لم يذكر اسم الدفين سوى أنه ابن لمحمد الباقر المتوفى سنة 114هـ. وقد ذكر الديوه جي في جوامعه ص188 هامش رقم(5) أن اللوحة ذكرت على الوجه الآتي: (بني هذا المقام في شهور سنة تسع وتسعين ....) والصحيح ما أثبتناه.

[2] الورقة 208. ويذكره الديوه جي في جوامعه ص192 نقلاً عن الدر المكنون للعمري بقوله: (هو السيد بكتش أو بكتاش الموصلي الحنفي القادري... وكانت زاويته في حضرة الإمام الباهر.. مات سنة 1178هـ وولي بعده ابنه محمد). مما يؤكد أن الدفين قرب الحضرة هو الأول وليس صاحب الطريقة

أَمَّا السَّيِّدُ بَكْتَاش صَاحِبُ الطَّرِيْقَة الخَاصَّة الّذيْ كَانَ مُرِيْداً لأَحَد المَشَائخ، ثُمَّ صَــارَ شَيْخاً لَهُ أَتْبَاعٌ وَمُرِيْدُوْنَ. فَالمَشْهُوْرُ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ تُوُفِّيَ سَنَةُ 723هــ كَمَا هُوَ مَنْطُوْقُ (بَكْتَاشَ) بِحُرُوْف أَبْجَد، وَهُوَ مُؤَسِّسُ الطَّرِيْقَة البَكْتَاشيَّة الّتِيْ بُنِيَتْ عَلَى الطَّرِيْقَة الرَّمْزِيَّة للْحُــرُوْف، وَالبَكْتَاشيُّوْنَ يَجْتَمعُوْنَ مَعَ الحُرُوْفِيِّيْنَ كَالعَليِّ إلَهيَّة فِيْ أَطْرَاف تُرْكيَّا عَلَى تَقْدِيْسِ الإِمَامِ عَليٍّ u وَالخُرُوْجِ بِه إِلَى حَدِّ الأُلُوْهيَّة، وَيُقَدِّسُوْنَ أَوْلادَهُ خَاصَّةً الإِمَامَ جَعْفَرِ الصَّادق u ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ كِيَانٌ سِيَاسِيٌّ مُهِمٌّ، ثَمَّ ضَرَبَهُمُ السُّلْطَانُ مَحْمُوْدٌ الثَّانِيْ ضَرْبَةً قَوِيَّةً خَرَّبَتْ تَكَايَاهُمْ وَبَدَّدَتْهُمْ، وَلَهُمْ حَتَّى الآنَ بَقَايَا فِيْ عُثْمَانْجق وَالمُقَطَّمِ وَالقَاهِرَة وَأَطْرَاف القُسْطَنْطِيْنِيَّة، وَيَقُوْلُ الأَمِيْرُ أَرْسَلانَ إِنَّ (بَالِمْ بَابَا) المُتَوَفَّى سَنَةَ 922هــ قَدْ سَعَى فِيْ نَشْرِ هَــذِه الطَّرِيْقَــة سَــعْياً كَبِيْراً[1].

وَجَاءَ فِيْ كِتَاب الإِنْتِصَار للشَّيْخِ يُوْسُفَ الجَلِيْلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ خَارِجَ مَــشْهَد الإِمَــام البَاهِرِ قَرِيْباً مِنْهُ مِنَ الجَانب الجُنُوْبِيِّ قُبُوْرُ أَجْدَاد بَعْضِ السَّادَات الحُسَيْنِيَّة، مِنْهُمْ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ وَالسَّيِّدُ عَبْدُ الغَفَّارِ وَغَيْرُهُمْ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى[2].



البكتاشية، وقد أغلق باب حجرته بالجص. وبقيت الكتابات بين الحضرة والــدهليز بعــد فتحــه الى الحضرة.

[1] لوثروب، حاضر العالم الاسلامي ج4 ص349.

[2] الورقة 208.

اللوحة الحجرية في الحضرة التي تبين محل قبر ابن الإمام محمد الباقر أخذت سنة 2007

مَرْقَدُ عَلِيٍّ الهَادي فِيْ المَوْصِلِ



المرقد ومكتوب عليه مولانا علي ابن الامام علي الهادي عام 2007

قَالَ عَنْهُ: [وَقَدْ كُتِبَ عَلَى سَطْحِ القَبْرِ، هَذَا الضَّريحُ لِمَوْلانَا عَليٍّ بْـــنِ الإمَـــامِ عَلـــيٍّ الهَاديْ بْنِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ الجَوَادِ بْنِ الإمَامِ الرِّضَا بنِ الإِمَامِ مُوسَى الكَاظِمِ... وَمِثْلُهُ فِي سَالْنَامَةُ المَوصلِ][1].

ثُمَّ قَالَ: [وَلَكِنْ لَيسَ لعَلِيٍّ الهَادي وَلَدٌ اسْمُهُ عَلِيّ... فَالكِتَابَةُ المَوجُودَةُ عَلَى القَبْرِ وَمَـــا جَاءَ فِي سَالْنَامَة المَوضلِ مَغْلُوطٌ][2].

أَقُولُ: وَقَدْ غلَطَ هُوَ نَفْسُهُ أَيضاً فِي كَلِمَةِ (مغلوط) لأَنَّهَا اسْمُ مَفْعُول مِنْ فِعْلِ (غَلَـــطَ) اللازِمِ، وَهُوَ لا يُصَاغُ مِنْهُ اسْمُ مَفْعُولٍ إلاّ بَعْدَ تَعْدِيَته، فَكَانَ عَلَيه أَنْ يَقُولَ (مَغْلُوطٌ فيه).

وَقَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أولادَ عَليٍّ الهَاديِّ وَهُمْ: مُحَمَّدٌ وَالحَسَنُ وَأَبُـــو جَعْفَـــرَ: [...إِلاّ إِذَا اعْتَبَرْنَا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ هُوَ عَلِيٌّ المَذْكُورُ وَانَّ أَبَا جَعْفَرٍ كُنْيَتُهُ][3].

---

[1] ص 84 ومكتوب على سطح القبر (هذا ضريح مولانا علي..)

[2] ص85. في الاصل: فيتضح من هذا ان الكتابة.. .

[3] المصدر نفسه.

أَقُولُ: لَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، لأَنَّ عَلياً الهَادي لا يُكَنَّى أَبَا جَعْفَر، لأَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ هَذَا هُـوَ أَحَدُ أَوْلاده الثَّلاثَة، وَهُمْ: الحَسَنُ العَسْكَرِيُّ، وَجَعْفَرُ الكَذَّابُ، وَهَذَا الأَخيرُ (أَعْني مُحَمَّداً) هُوَ المُلَقَّبُ بِأَبي جَعْفَرَ، وَهُوَ دَفينُ بُلَيدَةُ (بَلَد)[1] وَتُسَمَّى (بَلَط) أَيضاً، وَهِـيَ الآنَ خَرِبَـةٌ، عُمِّرَتْ بِجَانبِهَا قَرْيَةٌ تُدْعَى أَسْكيْ مُوصِل (المَوصِلُ القَديمَةُ).

وَقَالَ: [وَإِنَّ القَبْرَ المَوجُودَ وَالمُسَمَّى باسْمه في المَوصِلِ إِنَّمَا هُوَ قَبْرٌ وَهْميٌّ][2].

أَقُولُ: هُوَ لَيسَ بِقَبْرٍ وَهْميٍّ بَلْ هُوَ قَبْرٌ حَقيقيٌّ، وَلَكنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ مَجْهُولٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ عَليّاً الهَادي، إلاّ أَنَّهُ غَيرُ عَليٍّ الهَادي بْن مُحَمَّد الجَوَاد عَلَيهمَا السَّلامُ. ثُـمَّ إِنَّ هَـذَا القَبْرَ لَمْ يُسَمِّه أَحَدٌ (عَليّاً الهَادي) كَمَا يَدَّعي المُؤَلِّفُ ذَلكَ حَيثُ قَال إِنَّهُ (مُسَمَّى باسْمِه) أَي باسْمِ عَليٍّ الهَادي.

ثُمَّ قَالَ: [وَلَيسَ فيه (يُريدُ القَبْرَ) نَصيبٌ منَ الحَقيقَة][3].

أَقُولُ: الصَّحيحُ أَنْ يَقُولَ: وَلَيسَ لنسْبَته (أَي القَبْرُ) إِلَى عَليٍّ الهَادي نَصيبٌ منَ الحَقيقَة. وَإلاّ هَلْ يُريدُ أَنْ يَئدَ المُؤَلِّفُ (نَصيباً منَ الحَقيقَة) في القَبْرِ وَهيَ حَيَّةً؟. الحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ذَلِـكَ قَطٌّ وَلَكنَّ تَعْبيرَهُ كَانَ رَكيكاً فَأَدَّى به إِلَى هَذَا المَعْنَى الّذي لا يُريدُهُ.

وَقَالَ عَنِ الأَلْوَاحِ المَنْحُوتَة حَولَ القَبْرِ: وَفَوقَ هَذه الأَلْوَاحِ كِتَابَاتٌ بِـالخَطِّ النَّـسْخيِّ بِحُروف كَبيرَة وَبَارِزَة][4].

أَقُولُ: الأَوْلَى حَذْفُ الوَاوِ منْ قَوله (وَبَارِزَةٍ) لأَنَّ الحُروفَ الكَبيرَةَ هيَ نَفْسُهَا البَـارِزَةُ، وَالبَارِزَةُ صفَةٌ لَهَا، وَلا يَجُوزُ فَصْلُ الصِّفَة عَنْ مَوصُوفهَا بالوَاوِ. وَبَعْدَّ هَذَا كُلِّه فَإِنَّ المُؤَلِّـفَ لَمْ يَصْنَعْ شَيئاً في بَحْثه هَذَا، فَهُوَ لَمْ يُحَقِّقْ هُوِيَّةِ صَاحبِ هَذَا المَرْقَدِ المَنْـسُوبِ إِلَـى عَلِـيٍّ

---

[1] تكلم عنه آل فرج بأن مرقده في بلد أسكي موصل (القرى الموصلية في التاريخ) ولم يثبته.

[2] ص86.

[3] المصدر نفسه.

[4] ص87.

الهَادي، وَلَمْ يَعْثَرْ عَلَى اسْمِ مَنْ شَيَّدَهُ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ رَسْمِ القَبْرِ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ أَسْــوَدَ غَــيرَ ظَاهِرٍ، وَلا تَكَادُ تَتَبَيَّنُ مِنْهُ شَيئاً[1].

ثُمَّ إِنَّنَا إِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى سَطْحِ هَذَا المَرْقَد وَإِلَى مَا نَقَلَهُ المُؤَلِّــفُ عَــنْ سَالْنَامَة المَوصلِ وَهُوَ أَنَّ هَذَا الضَّرِيحَ هُوَ لِعَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الهَادي فَلا مَانِعَ مِنْهُ لَدَينَا، غَيرَ إِنَّنَا لا نَقُولُ: (إِنَّ عَلَيّاً هَذَا هُوَ ابْنُ عَلِيٍّ الهَادي لِصُلْبِه، بَلْ هُوَ ابْنُ إِبْنِه جَعْفَر.

ذَلِكَ لأَنَّ صَاحِبَ (عُمْدَةِ الطَّالِبِ) ذَكَرَ أَنَّ لِجَعْفَرَ بْنِ عَلِيٍّ الهَادي وَلَداً اسْمُهُ عَلِيٌّ وَلا يُبْعَدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا القَبْرُ قَبْرَهُ.



مدخل جامع علي الهادي سنة 2007

[1] وذلك صحيح لأن مساحة المرقد صغيرة بحيث يصعب على المصور أن يأخذ مساحة يتحكم في التقاط ما يريده، فضلاً عن عدم توفر آلة للتصوير تسقط أشعة ضوء كافية على القبر وهذا ما حــصل معــي لتصوير غرفة المرقد والمرقد نفسه.

مَرْقَدُ قَضِيْبِ البَانِ



قَالَ عَنْهُ: [وَمَحلُّهُ أَحَدُ مُنْتَزَهَات المَوْصِلِ][1].

أَقُوْلُ: لا يُقَالُ (مُنْتَزَهَاتٌ) بَلْ (مُتَنَزَّهَات) إذْ هِيَ اسْمُ مَكَان مِنْ فِعْلٍ (تَنَــزَّهَ)، وَاسْــمُ المَكَان منَ الفعْلِ غَيْرُ الثُّلاثيِّ يَأْتِيْ عَلَى زِنَة اسْمِ المَفْعُوْلِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِيْ عِلْمِ الصَّرْف. فَكَانَ عَلَيْه أَنْ يَقُوْلَ: (وَمَحلُّهُ أَحَدُ مُتَنَزَّهَات المَوْصِلِ). غَيْرَ أَنَّ مَحلَّهُ فِيْ عَصْرِنَا هَذَا قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ عِمَارَةُ الدُّوْرِ مِنْ كُلِّ جِهَة، وَقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَصْبَحَ فِيْ وِسَطِ العُمْرَان.

وَقَالَ: [وَإِلَى جَانبِهِ قَبْرَانِ آخَرَانِ يُقَالُ: إِنَّهُمَا زَوْجَتَاهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ][2].

---

[1] ص88. كما ذكر أن الموقع كانت تسكنه محلة النعل بكي والسبعة الحدادين، أنظر الصائغ، تــاريخ الموصل ج1 ص52.

[2] ص88. [أقول: واستناداً الى زيارتي الميدانية لقبر السيد الجليل يوم 2006/9/2 عندما طلــب مــني إجراء لقاء تلفزيوني للتحدث عن سيرة قضيب البان الذي عرض يوم 2006/10/5 على قناة الزوراء عثرت على رخامة قد صبغت حديثاً باللون الأخضر الفاتح موضوعة فوق قبر السيد قــضيب البــان داخل الحضرة كان قد أصابها العطب وبقي من النص هذه الكلمات (...ذي المراعي) أما الآية الــتي تحيطها فهي آية الكرسي، وفي الجهة المقابلة (...أربعين وســ). ومن الجدير بالــذكر أنــه تم تجديــد

أَقُوْلُ: إِنَّ كَلِمَةَ (آخَرَان) فِيْ هَذِه الجُمْلَة لا فَائِدَةَ مِنْ ذِكْرِهَا، فَكَانَ يَكْفِيْه أَنْ يَقُوْلَ: وَإِلَى جَانِبِه قَبْرَان، أَوْ كَانَ عَلَيْه أَنْ يَقُوْلَ: وَإِلَى جَانِب قَبْرِه قَبْرَان آخَرَان. ثُمَّ قَالَ عَنِ القَبْرَيْنِ أَنَّهُمَا زَوْجَتَاهُ، وَمِنَ البَدِيْهِيِّ أَنَّ القَبْرَيْنِ لَيْسَا زَوْجَتَيْه، فَكَانَ عَلَيْه أَنْ يَقُوْلَ: هُمَا قَبْرَا زَوْجَتَيْه. وَأَمَّا قَوْلُهُ فِيْ هَذِه الجُمْلَة (وَغَيْرُ ذَلكَ) فَلا فَائِدَةَ مِنْهُ البَتَّةَ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ نَسَبَهُ وَكُنْيَتَهُ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ، وَلَكِنَّهُ لمْ يَكُنْ مُوَفَّقاً فِيْ ذَلكَ فَقَالَ: [كَانَ جَلِيْلاً حَسَنَ الشَّكْلِ وَالقَدِّ، فَلِذَلكَ سَمَّوْهُ قَضِيْبَ البَانِ][1].

أَقُوْلُ: وَنَحْنُ نَسْأَلُ المُؤَلِّفَ الفَاضِلَ هَلْ كُلُّ مَنْ يَكُوْنُ جَمِيْلاً يُسَمَّى قَضِيْبَ البَانِ؟ وَهَلْ مَنْ يَكُوْنُ حَسَنَ الشَّكْلِ يُسَمَّى هَذَا الاسْمَ؟ وَلَوْ قَالَ: إِنَّهُ لِحُسْنِ قَدِّه وَاعْتِدَالِ قَوَامِه سُمِّيَ قَضِيْبَ البَانِ لَكَانَ لِذَلكَ وَجْهٌ، لأَنَّ وَجْهَ الشَّبَه بَيْنَ القَدِّ القَوِيْمِ وَقَضِيْبِ البَانِ ظَاهِرٌ، وَلَكِنَّهُ بَيْنَ الشَّيءِ الجَلِيْلِ أَوِ الحَسَنِ الشِّكْلِ وَقَضِيْبِ البَانِ غَيْرُ مَوْجُوْد. وَقَضِيْبُ البَانِ لَيْسَ باسْمٍ للرَّجُلِ كَمَا يَدَّعِيْ المُؤَلِّفُ وَإِنَّمَا هُوَ لَقَبُهُ، وَلَوْ كَانَ اسْمُهُ (قَضِيْبَ البَان) لِكَوْنِه كَانَ جَلِيْلاً حَسَناً كَمَا يَزْعُمُ لَقُلْنَا إِنَّهُ بَقِيَ بِدُوْنِ اسْمٍ حَالَ طُفُوْلَتِه إِلَى أَنْ كَبُرَ وَظَهَرَ جَمَالُهُ، وَاعْتَدَلَ وَحَسُنَ قَدُّهُ، وَبَعْدَئِذ سُمِّيَ لِذَلكَ (قَضِيْبَ البَان).

وَلَوْ كَلَّفَ المُؤَلِّفُ نَفْسَهُ عَنَاءَ البَحْث عَنِ اسْمِه فِيْ كُتُبِ التَّارِيْخِ وَالتَّرَاجُمِ لَوَجَدَهُ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْهَا، وَهُوَ (الحُسَيْنُ بْنُ عِيْسَى). وَمِنَ العَجَبِ العُجَابِ أَنَّ المُؤَلِّفَ عِنْدَمَا ذَكَرَ نَسَبَهُ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ وَلا اسْمَ أَبِيْه وَلا اسْمَ جَدِّه بَلْ ذَكَرَ لَقَبَهُ حَسْبَ. ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى اسْمِ جَدِّه، وَهُوَ أَبُوْ جَعْفَرٍ. إِذْ أَنَّ قَضِيْبَ البَانِ هَذَا هُوَ الحُسَيْنُ بْنُ عِيْسَى بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِيْ

الحضرة والمسجد سنة 1123هـ، أما آخر تاريخ للمباشرة بتعمير المسجد والمرقد ففي 1957/10/2 عن طريق المقاول عبد الجبار البكوع والسادة المشرفين: محمد عبد الرحمن مدير أوقاف الموصل والمهندس سعدي عبد الله السعدون ومدير المتحف سعيد الديوه جي والمتوليان أحمد ويونس محمد ذنون احمد الشيخ يونس وعضوية صالح عبد الباقي الشبخون وفي زمن القاضي الأول يونس أمجد الزهاوي. للاستزادة أنظر سيوفي، مجموع الكتابات المحررة ص151.

[1] ص88.

جَعْفَر مُحَمَّد. وَالمُؤَلِّفُ قَالَ عَنْهُ بِدُوْنِ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيْه وَجَدِّهِ هُوَ (قَضِيْبُ البَانِ بْنُ أَبِيْ جَعْفَرَ).

وَقَالَ: عَنْ أَبِيْ جَعْفَرَ هَذَا:[هُوَ ابْنُ مُحَمَّد الثَّعْلَب][1].

أَقُوْلُ: وَهَذَا غَلَطٌ بَيِّنٌ لأَنَّ مُحَمَّدَ الثَّعْلَبَ هَذا هُوَ نَفْسُهُ المُكَنَّى بِأَبِيْ جَعْفَرٍ، وَلَيْسَ هُوَ أَبَا أَبِيْ جَعْفَرٍ[2].

وَقَالَ: إنَّ [مُحَمَّداً الثَّعْلَبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَكَبَرِ بْنِ مُوْسَى الثَّانِيْ][3].

أَقُوْلُ: إنَّ عَبْدَ اللهِ الأَكْبَرَ هَذَا لَيْسَ بابْنِ مُوْسَى الثَّانِيْ كَمَا يَقُوْلُ المُؤَلِّفُ، بَلْ هُوَ ابْنُ مُحَمَّد الأَكْبَرِ الثَّائرِ فِيْ أَيَّامِ المُعْتَزِّ العَبَّاسِيِّ بْنِ مُوْسَى الثَّانِي، فَمُوْسَى الثَّانِيْ هُوَ جَدُّهُ لا أَبُوْهُ، وَدُوْنَكَ صُوْرَةُ نَسَبِه الطَّاهِرِ عَلَى الوَجْه الصَّحِيْح: هُوَ اَبُوْ عَبْد اللهِ الحُسَيْنُ (المُلَقَّبُ بقَضِيْبِ البَانِ) بْنُ عِيْسَى بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ[4] بْنِ أَبِيْ جَعْفَرَ مُحَمَّد الثَّعْلَبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَكْبَرِ بْنِ مُحَمَّد الأَكْبَرِ بْنِ مُوْسَى الثَّانِيْ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوْسَى الجُوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ المَحْضِ بْنِ الحَسَنِ المُثَنَّى بْنِ الإِمَامِ الحَسَنِ السِّبْطِ بْنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَأُمُّهُ الكَرِيْمَةُ أُمُّ الخَيْرِ زُهْرَةُ بِنْتُ أَبِيْ الرِّضَا يَحْيَى أَبِيْ الغَنَائمِ مُحَمَّد بْنِ سَيْفِ الدِّيْنِ مُوْسَى المُبَرْقَعِ بْنِ أَبِيْ زَيْدِ الإِمَامِ مُحَمَّد الجَوَادِ بْنِ الإِمَامِ عَلِيٍّ الرِّضَا بْنِ الإِمَامِ مُوْسَى الكَاظِمِ[5].. الخ. كَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مُعْتَقَدَ المُلُوْكِ وَالخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّيْنَ، تُوُفِّيَ أَبُوْهُ وَهُوَ صَغِيْرٌ فَضَمَّهُ إِلَيْه السَّيِّدُ الشَّرِيْفُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى المَوْصِلِيِّ وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ، وَكَانُ عُمُرُهُ إِثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً[6].

وَقَالَ: عَنْ قَبْرٍ صَغِيْرٍ عَنْ يَمِيْنِ قَبْرِ الشَّيْخِ قَضِيْبِ البَانِ: [يُقَالُ إِنَّهُ قَبْرُ ابْنِ الشَّيْخِ][7].

---

[1] ص88.

[2] انظر ابن عنبة، عمدة الطالب ص139.

[3] ص88.

[4] المصدر السابق، ابن عنبة، ص139.

[5] عبد الجليل، يوسف، الانتصار، الورقة 213.

[6] المصدر السابق.

[7] ص89.

أَقُوْلُ: قَالَ سَابِقاً عَنْ قَبْرَيْنِ كَانَا بِجَانِبِ قَبْرِ الشَّيْخِ هُمَا زَوْجَتَاهُ يُرِيْدُ أَنَّهُمَا قَبْرَانِ لِزَوْجَتَيْهِ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هَلْ هُمَا عَنْ يَمِيْنِه أَمْ عَنْ يَسَارِه، وَمِنْ قَوْلِه عَنْ هَذَا القَبْرِ الصَّغِيْرِ إِنَّهُ عَنْ يَمِيْنِه يُرَجَّحُ أَنْ يَكُوْنَ قَبْرَا زَوْجَتَيْه عَنْ يَسَارِه إِنْ صَحَّ أَنَّهُمَا قَبْرَا زَوْجَتَيْه، غَيْرَ أَنَّ هَذِه القُبُوْرَ الثَّلاثَةَ أَعْنِيْ القَبْرَ الصَّغِيْرَ هَذَا وَالقَبْرَيْنِ اللَّذَيْنِ يُقَالُ إِنَّهُمَا قَبْرَا زَوْجَتَيْه كَمَا يَزْعُمُ المُؤَلِّفُ كُلُّهَا غَيْرُ مَوْجُوْدَةٍ الآنَ، وَلَعَلَّهَا قَد انْدَثَرَتْ وَخَيْرُ القُبُوْرِ الدَّوَاثِرُ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَبْرَيْنِ مِنْ هَذِه القُبُوْرِ الثَّلاثَة قَد انْدَثَرَا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ قَرْنٍ، فَهَذَا الشَّيْخُ يُوْسُفُ القَادِرِيُّ الجَلِيْلِيُّ الكُرْدِيُّ المَوْصِلِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الإِنْتِصَارِ لِلأَوْلِيَاءِ الأَخْيَارِ لَمَّا تَرْجَمَ الشَّيْخَ قَضِيْبَ البَانِ فِيْ كِتَابِه هَذَا، لَمْ يَذْكُرْ مِنْ هَذِه القُبُوْرِ إِلاَّ قَبْراً وَاحِداً وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ قَبْرُ ابْنِ الشَّيْخِ كَمَا يَزْعُمُ المُؤَلِّفُ وَإِنَّمَا قَالَ عَنْهُ: (يَقَالُ إِنَّهُ قَبْرُ أُخْتِه الحَافِظَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا)[1]. لَكِنْ إِذَا كَانَ الشَّيْخُ يُوْسُفُ الجَلِيْلِيُّ هَذَا الَّذِيْ تُوُفِّيَ فِيْ المَوْصِلِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ قَرْنٍ وَرَبْعِ قَرْنٍ لَمْ يُشَاهِدْ بِجَانِبِ قَبْرِ الشَّيْخِ قَضِيْبِ البَانِ إِلاَّ قَبْراً وَاحِداً فِيْ عَصْرِه فَمَنْ ذَا الَّذِيْ أَخْبَرَ المُؤَلِّفَ المُحَقِّقَ فِيْ عَصْرِنَا هَذَا أَنَّ بِجَانِبِ قَبْرِ قَضِيْبِ البَانِ قَبْرَيْنِ عَدَا قَبْرَ ابْنِه أَوْ أُخْتِه؟ وَكَيْفَ يَسُوْغُ لَهُ أَنْ يَقُوْلَ عَنِ القَبْرَيْنِ المَذْكُوْرَيْنِ إِنَّهُمَا زَوْجَتَاهُ؟ وَهَلْ يَسُوْغُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتزَوَّجَ قَبْرَيْنِ؟.

وُلِدَ الشَّيْخُ قَضِيْبُ البَانِ بِالمَوْصِلِ فِيْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعَمائَةٍ، وَتُوُفِّيَ بِالمَوْصِلِ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِيْنَ وَخَمْسَمائَةٍ، وَفِيْ تَارِيْخِ المُؤَيَّدِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعِيْنَ وَخَمْسَمائَةٍ.

---

[1] الورقة 217 لم يقل الجليلي (يقال) وإنما ذكر: [ومشهده الشريف المحترم هذا الآن خارج السور غربي المدينة على مقدار يسير من باب سنجار، والى جنب قبره المحترم قبر آخر والظاهر انها أخته..].



قبر قضيب البان



القبر الثاني المجاور لقبر قضيب البان

جامعُ الجُويْجاتي



باب جامع الجويجاتي الذي أنشيء سنة 1064هـ وجدد للمرة الرابعة سنة 1358هـ

قَالَ عَنْهُ: [وَيُسَمَّى بجَامِعِ بابِ العِرَاقِ لأَنَّهُ كَانَ قَرِيْباً مِنْ بَابِ المَوْصِلِ الّذيْ كَانَ يُؤَدِّيْ إلَى طَرِيْقِ بَغْدَادَ][1].

أَقُوْلُ: الأَوْلَى أَنْ يَقُوْلَ: (الّذيْ يُؤَدِّيْ إلَى العِرَاقِ أَوْ إِلَى طَرِيْقِ بَغْدَادَ عَاصِمَةِ العِرَاقِ) لِتَسُوْغَ تَسْمِيَةُ هَذَا البَابِ المَوْصِلِيِّ (بَابِ العِرَاقِ). وَإلاّ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُسَمَّى (بَابُ بَغْدَادَ)، كَمَا يُسَمَّى فِيْ بَغْدَادَ أَبْوَابٌ كَثِيْرَةٌ بأَسْمَاءِ المُدُنِ الّتِيْ تُؤَدِّيْ إِلَيْهَا تِلْكَ الأَبْوَابُ كَبَابِ البَصْرَةِ وَبَابِ خُرَاسَانَ مَثَلاً اللّذَيْنِ سُمِّيَا بِذَلِكَ لأَنَّهُمَا كَانَا يُؤَدِّيَانِ بِالسَّيْرِ مِنْهُمَا إِلَى خُرَاسَانَ وَالبَصْرَةِ.

وَقَالَ أَيْضاً: [وَفَوْقَ المِحْرَابِ.. مَكْتُوْبٌ..: رَضِيَ اللهُ عَنِ الإمَامِ الشَّافِعِيِّ، فَيُسْتَدَلُّ مِنْ هَذِهِ الكِتَابَةِ أَنَّ هَذَا القِسْمَ مِنَ المُصَلَّى كَانَ قَدْ خُصِّصَ لِصَلاةِ الشَّوَافِعِ][2].

---

[1] ص90 ويسمى أيضاً بجامع باب العراق. كما لم نسمع أن للموصل باب محدد.

[2] ص91 نقلها المؤلف بتصرف لذا وضعتُ بدل الكلمات نقاطاً. أما ما نشره الديوه جي في جوامعه مع صورة المحراب فانه لا توجد تلك العبارة ولعله قصده بـ (فوق) أي خارج المحراب، لأنه ثبت وجود

أَقُوْلُ: لا يُفْهَمُ مِنْ كَتَابَة هَذه الجُمْلَة (رَضيَ اللهُ عَنِ الإِمَامِ الشَّافعيِّ) فَوْقَ المحْرَاب، أَنَّ هَذَا القِسْمَ مِنَ الجَامِعِ خَاصٌّ بِصَلاة الشَّافعيَّة. ثُمَّ مَا مَعْنَى تَخْصُيْصُهُ بِهِمْ؟ وَهَلْ يَسُوْغُ شَرْعاً هَذَا التَّخْصيْصُ؟ لا شَكَّ أَنَّ ذَلكَ غَيْرُ جَائزٍ، لأَنَّ المَسَاجدَ لله، عُمِّرَتْ كُلُّهَا لصَلاة المُسْلميْنَ عَامَّةً بدُوْن تَفْريْقٍ بَيْنَ شَافعيٍّ وَحَنَفيٍّ، جَعْفَريٍّ وَسُنّيٍّ، مَالكيٍّ وَحَنْبَليٍّ، زَيْديٍّ وَسَلَفيٍّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا أَوْ قسْماً منْهَا خَاصٌّ بأَصْحَاب مَذْهَب دُوْنَ آخَرَ فَقَدْ جَانَبَهُ الصَّوَابُ، ثُمَّ إِنَّــهُ فِيْ جُمْلَته هَذه قَدْ جَمَعَ كَلمَةَ (شَافعيٍّ) عَلَى (شَوَافعَ)، وَهُوَ غَيْرُ صَحيْحٍ لأَنَّ الاسْمَ المَنْــسُوْبَ هُوَ مِنْ قَبِيْلِ الوَصْف، فَكَانَ عَلَيْه أَنْ يَجْمَعَهُ جَمْعاً مُذَكَّراً سَالماً فَيَقُــوْلُ: (خَــاصٌّ بِـــصَلاة الشَّافعيِّيْنَ)، إِذْ يُقَالُ فِيْ جَمْعِ مَوْصِلِيٍّ، وَبَغْدَادِيٍّ، وَسَلَفيٍّ، وَحَنَفيٍّ: مَوْصِلِيُّوْنَ، وَبَغْدَادِيُّوْنَ، وَحَنَفيُّوْنَ، وَسَلَفيُّوْنَ.

وَأَمَّا فَوَاعلُ فَلا يُجْمَعُ فيْه إِلاّ كُلُّ ثُلاثيٍّ زِيْدَ بَعْدَ فَائه أَلفٌ أَوْ وَاوٌ، سَوَاءٌ كَانَ اسْــماً مُطْلَقاً مثْلُ فَاطمَةُ وَعَاصمَةُ وَحَاتمٌ وَخَاتمٌ، فَيُقَالُ: فَوَاطمُ وَعَوَاصمُ وَحَوَاتمُ وَخَوَاتمُ. أَوْ صفَةٌ لغَيْرِ مُذَكَّرٍ عَاقلٍ كَصَاهلٍ فَيُقَالُ فِيْ جَمْعه: صَوَاهلُ، أَوْ صفَةٌ لمُؤَنَّث عَاقلٍ كَطَــالقٍ وَعَــاقرٍ وَحَاملٍ، فَيُقَالُ: طَوَالقٌ وَعَوَاقرٌ وَحَوَاملٌ، فَشَوَافعُ إِذَنْ يَصحُّ أَنْ يَكُوْنَ جَمْعَ شَافعٍ لا جَمْــعَ (شَافعيٍّ).

وَقَالَ: [نَعْتَقدُ أَنَّ هَذَا الجَامعَ أُنْشيءَ عَلَى عَهْد الأَتَابكيِّيْنَ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ كَانَ يُسَمَّى بِغَيْرِ اسْمِه الحَاليِّ، ثُمَّ انْهَدَمَ وَعَمَّرَهُ عَبْدُ الله الجُويْجَاتيِّ][1].

العبارة (لا اله الا الله محمد رسول) في اعلى المحراب كما في الصورة الواضحة لأن الصوفي لم يوفــق في نشر صورة المحراب في كتابه.

[1] ص91 ذكر النص بتصرف: (ثم انهدم وبعد حين قام بتعميره المثري عبد الله أبو بكر الجويجاتي) انظــر الصورة الآتية.

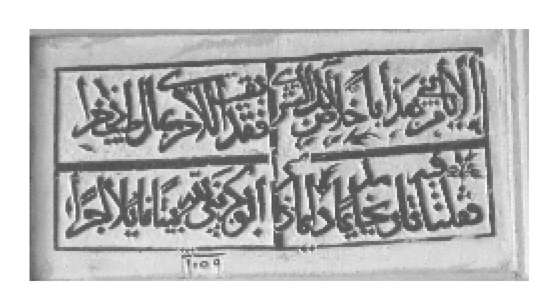
أقول: ذكرت جريدة فتى العراق الموصلية بعددها 200 في 17 شباط 1936 في معرض الأحـــداث الدامية في سورية أنه شكل وفد في 2/7 من المفتي الشيخ ياسين الجويجاتي في مدينة دمشق. فهل هناك علاقة قربى مع الباني عبد الله المذكور؟.

أَقُوْلُ: أَلا يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ عَبْدُ اللهِ الجُوَيْجَاتِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَنْشَأَ هَذَا الجَامِعَ؟ وَلَمَّا عَمَّرَهُ نَقَلَ محْرَابَهُ العَاديِّ هَذَا منْ أَحَد الجَوَامعِ الأَتَابكيَّة المُتَهَدِّمَة، أَوْ أَنَّ مَنْ نَقَشَ محْرَابَهُ نَقَشَهُ عَلَى الطَّرْزِ الأَتَابكيِّ، فَمنْ أَيْنَ للْمُؤَلِّف أَنْ يَحْكُمَ مُعْتَقداً بأَنَّ هَذَا الجَامعَ أُنْشِيءَ فِيْ العَهْدِ الأَتَابِكيِّ؟ وَأَنَّ الجُوَيْجَاتِيَّ لَمْ يَكُنْ مُنْشِئاً لَهُ بَلْ مُجَدِّداً؟[1].



قبة ومنارة جامع الجويجاتي سنة 2007





لوحة فوق غرفة الخطيب تؤرخ بناء الجامع عام 1059هـ

[1] لم يطلع آل فرج الى ما نشره الديوه جي وتعليقه على كتاب سيوفي ص62 وكذلك لم يزر الجامع ليقرأ ما كتب فوق باب مصلاه ، فالسبب الاول أنه قضى قبل صدور الكتاب، اما ماحجته في السبب الثاني؟. انظر مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل/ الملحق الاول ص175.

محراب جامع الجويجي المنقول من الجامع

(الديوه جي)

مَدْرَسَةُ الطُّغْرَائيِّ

قَالَ عَنْهَا: [منَ المَدَارسِ المَشْهُوْرَة قَديْماً فيْ المَوْصلِ مَدْرَسَةُ الطُّغْرَائيِّ][1].

أَقُوْلُ: الأَوْلَى حَذْفُ (قَديْماً) منْ جُمْلَته هَذه، إذْ لَيْسَتْ هَذه المَدْرَسَةُ قَديْمَةً وَلا مَشْهُوْرَةً فيْ المَوْصلِ مُنْذُ القدَمِ. وَكَانَ الصَّحيْحُ أَنْ يَقُوْلَ: (هيَ منَ المَدَارِسِ المَشْهُوْرَة فيْ المَوْصلِ بُنيَتْ فيْ العَهْد السَّلْجُوْقيِّ فيْهَا).

ثُمَّ قَالَ: [لَيْسَ فيْ هَذه المَدْرَسَة منَ الآثَارِ التَّاريْخيَّة شَيءٌ البَتَّةَ، لأَنَّ بنَاءَهَا الحَاليَّ حَديْثُ العَهْد، وَإنَّمَا ذَكَرْتُهَا لشُهْرَة بَانيْهَا الأَوَّل الطُّغْرَائيّ][2].

أَقُوْلُ: منْ أَيْنَ لَهُ علْمٌ بأَنَّ بَانيْهَا الأَوَّل هُوَ الطُّغْرَائيُّ؟ وَلَعَلَّهَا نُسبَتْ إلَيْه لأَمْرٍ هُوَ غَيْرُ البنَاء. ثُمَّ إنْ كَانَت الشُّهْرَةُ هيَ الّتيْ دَعَتْهُ إلَى ذكْرهَا فَلمَاذَا إذَنْ لَمْ يَذْكُرْ مَدَارِسَ الجَوَامعِ الكَثيْرَةَ المَوْجُوْدَةَ فيْ المَوْصلِ ممَّا لبُنَاتهَا وَأَصْحَابهَا شُهْرَةٌ كَبيْرَةٌ وَذكْرٌ مَجيْدٌ؟ وَذَلكَ مثْلُ مَدْرَسَةِ[3] جَامعِ الأَغَوَاتِ فيْ بَابِ الجسْرِ الّذيْ بَنَاهُ اسْمَاعيْلُ بَاشَا بْنُ عَبْدِ الجَليْلِ مَعَ أَخَوَيْه

---

[1] ص92. وقد ذكر آل فرج في مخطوطه الموسوم (وكف الغمامة لمحو ما كتب على الرخامة في الورقة 182 وفي معرض من دفن في مقبرة الشيخ عمر التي عرفت المحلة باسمه: الشيخ إبراهيم حقي بن حسن الحديدي النقشبندي دفين الموصل في خلوته في مسجد شط الجومة قرب المدرسة المعروفة بمدرسة الطغرائي. كما ذكرت في العشرينات من القرن الماضي على ساحل نهر دجلة بمحلة الميدان، جريدة الموصل 339 في 23 آذار 1921.

[2] ص93.

[3] وهي المدرسة الخليلية التي بناها خليل أغا بن عبد الجليل في باحة الجامع المذكور سنة 1114هـ ــ 1702م بباب الجسر وقرب السوق، أنظر الديوه جي، سعيد" مدارس الموصل في العهد العثماني"، مجلة سومر، المجلد 18 (بغداد1962) الجزء الأول والثاني ص80.

المَرْحُوْمَيْنِ الحَاجِّ خَلِيْل أَغَا وَابْرَاهِيْم أَغَا وَمَدْرَسَة[1] جَامِعِ الحَاجِّ حُسَيْنِ بَاشَا وَوَلَده الغَازِيِّ مُحَمَّد أَمِيْنِ بَاشَا الجَلِيْلِيَّيْنِ فِيْ بَابِ السَّرَايِ وَمَدْرَسَة[2] جَامِعِ النَّبِيِّ شِيْث u الَّذِيْ بَنَاهُ أَحْمَدُ بَاشَا بْنُ سَلَيْمَان بَاشَا الجَلِيْلِيِّ فِيْ المَحَلَّة الوَاقِعَة حَوْلَهُ وَالمُسَمَّاة باسْمه (مَحَلَّةُ النَّبِيْ شِيْث) وَغَيْرِهَا مِنْ مَدَارِسِ الجَوَامِعِ الشَّهِيْرَة هِيَ وأَصْحَابِهَا، فَكَانَ عَلَيْه أَنْ يَذْكُرَهَا جَمِيْعَهَا كَمَا ذَكَرَ مَدْرَسَةَ الطُّغْرَائِيِّ، وَحَيْثُ أَنَّهُ جَعَلَ سَبَبَ ذِكْرِ مَدْرَسَة الطُّغْرَائِيِّ هَذه الشُّهْرَةَ حَسْبُ مَعَ خُلُوِّهَا مِنْ كُلِّ أَثَرٍ تَارِيْخِيٍّ كَانَ عَلَيْه أَنْ يَذْكُرَ المَرَاقِدَ الشَّهِيْرَةَ فِيْ المَوْصِلِ أَيْضاً، لِنَفْسِ السَّبَب، وَهُوَ الشُّهْرَةُ وَذَلِكَ مِثْلُ مَرْقَد ابْنِ الأَثِيْرِ المُؤَرِّخ، وَمَرْقَد الشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّد المَلاّءِ[3] وَالسِّتِّ فَاطِمَةَ بِنْت الحُسَيْن قُرْبِ الإِمَامِ يَحْيَى أَبِيْ القَاسِمِ، وَأُمِّ كُلْثُوْمٍ بِنْت الحُسَيْنِ فِيْ مَحَلَّةِ الخَاتُوْنِيَّةِ، وَالسِّتِّ نَفِيْسَةَ(4) فِيْ مَحَلَّةِ بَابِ السَّرَايِ، وَالإِمَامِ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ

---

[1] وهي المدرسة الأمينية نسبة الى الوالي محمد أمين المذكور والذي أكمل بناء الجامع والمدرسة سنة 1169هـ، أنظر الديوه جي، سعيد" مدارس الموصل في العهد العثماني"، مجلة سومر، المجلد 18 (بغداد1962) الجزء الأول والثاني ص84.

[2] بناها الموالي المذكور سنة 1231هـ ـ 1815م، أنظر الديوه جي، سعيد" مدارس الموصل في العهد العثماني"، مجلة سومر، المجلد 18 (بغداد1962) الجزء الأول والثاني ص86.

[3] هناك لبس بسبب الاسم، ولم يثبت أن الشيخ عمر الملاء باني الجامع النوري دفن خارج سور الموصل قبالة باب السراي في المحلة المعروفة حالياً بمحلة الشيخ عمر، وإنما دفن بمقبرة المعافى بن عمران بمنطقة باب سنجار الحالية وكانت تسمى بباب الميدان، أنظر ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق1 ص157. وقد نقل الديوه جي معلومة عن كتاب جوهرة البيان في نسب قضيب البان بأن المدفون في المحلة هو عمر بن قضيب البان. العمري، منية الأدباء ص122وكذا في المخطوط المسمى الوجازة في شرح ألفاظ الإجازة للحبّار وفي معرض موت جدته ودفنها في هذه المحلة المعروفة باسم الشيخ عمر بن قضيب البان. موسوعة الموصل الحضارية م3 ص269.

(4) السِّتُ نَفِيْسَةُ هِيَ بِنْتُ أَبِيْ مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الحُسَيْنِ بْن عَلِيٍّ بْن أَبِيْ طَالِب، تَزَوَّجَهَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِيْ جَعْفَر، تُوُفِّيَتْ فِيْ رَمَضَانَ بِمِصْرَ سَنَةَ 208هـ، وَقَدْ عُمِّرَ هَذَا المَسْجِدُ تَيَمُّناً بِاسْمِهَا (المؤلف).

فِيْ مَحَلَّة بَاب البَيْضِ[1] وَالسُّلْطَان أُوَيْس فِيْ مَحَلَّة بَاب المَسْجد[2]، وَالشَّيْخ مُحَمَّد فِيْ مَحَلَّة المَنْصُوْرِيَّة[3] وَعيْسَى دَدَهْ[4] وَأَبِيْ الوَفَاءِ[5] وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَهُمْ مَرَاقِدُ شَهِيْرَةٌ وَمَقَامَاتٌ كَبِيْرَةٌ فِيْ المَوْصِلِ.

---

[1] ذكره الجليلي في الانتصار الورقة 208: هو ابن الإمام محمد بن الإمام زيد بن الإمام زين العابدين.. هكذا مكتوب على قبره الشريف بالخط القديم وله مشهد.

ولكني لم أعثر لهذا المرقد من ذكر ولعل الجليلي قد توهم فيه، سوى مرقد زيد بن علي بمحلة القنطرة في الزقاق المقابل لجامع عمر الأسود وقد تهدمت معظم بنيانه وجزء كبير من القبة وبجانبه بيت متهدم أيضاً ولم أعثر على كتابات فيه. انظر العمري في منهله 55/2.

[2] جامع السلطان أويس القرني، نسبة الى أصحاب حلقات الذكر الأويسية، بناه جمعة الحديثي سنة 1093هـ وأتمه سنة 1095هـ، انظر سيوفي في مجموعه 82ـ84. وسماه الجليلي بمقام السلطان أويس القرني، وان قبوراً للسادة الحسينية قد دفنت في هذا الجامع (الورقة211).

[3] أو جامع المنصورية، نسبة الى الحاج منصور بن حسين مجدد الجامع الذي بدأ به سنة 1083هـ وانتهى منه سنة 1084هـ كما مدون على دعامات الجامع، وقد دفن في الجامع الشيخ محمد بن عبد القادر سنة 1090 وفي ذلك أقوال انظر سيوفي في مجموعه ص17ـ20و 91. وذكر الجليلي في الانتصار الورقة 212 أن الشيخ محمد هو من ذرية الشيخ عبد القادر الكيلاني، وأن في هذا الجامع من الجانب (الغربي الشرقي) قبر الرجل الصالح الشيخ مصطفى بن احمد. وفي سنة 2003 أزيلت القبور من الجامع.

[4] الشهير بعيسى دده، والمشهور عنه أنه احد اولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني، له مشهد قديم محترم من بناء المتقدمين، وقريباً من مشهده قبر الرجل الصالح الحاج خضر، وكان يتولى نظارته احد السادة الحسينية وقد دفن في مقبرته عدد من السادة الحسينية. ومقبرته مطلة على نهر دجلة في شمال محلة الميدان. الجليلي، يوسف، الانتصار الورقة213. وله مسجد وقد أحيط بسياج واسع يضم مقابر للمسلمين، وقد كتب فوق باب المقبرة: أقام بتعمير مسجد عيسى دده الكيلاني على نفقته الخاصة الحاج ذنون طبّو الجماس سنة 1406هـ الموافق سنة 1986.

[5] ذكره صاحب الانتصار في الورقة 213 مانصه: (هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن العريضي الأكبر بن الإمام زيد بن الإمام زين العابدين...هكذا رأيت في كتاب بحر الأنساب.. وقبره الشريف خارج الموصل قريباً من أسوارها من الجانب الغربي، كان له مشهد قديم محترم هدم يوم

فَتَخْصيْصُهُ إِذاً مَدْرَسَةَ الطُّغْرَائِيِّ لِكَوْنِ بَانِيْهَا كَانَ مَشْهُوْراً تَخْصيْصٌ بِلا مُخَصِّصٍ[1].



مرقد الشيخ عيسى دده المطل على نهر دجلة في القليعات سنة 2007

حاصر الموصل نادرشاه، ولما خذله الله.. بنى الوزير الحاج حسين باشا الجليلي عليه قبة، وجدد قبره الشريف..). وهذا القول يتناقض مع ما دوّنه سيوفي في كتابه المجموع ص148 من خلال الكتابة حول قبره تقول: (هذا قبر السيد سلطان العارفين..حاجي أبي بكر بن ..جمال الدين الحسيني أبو الوفا وقع تعميره الثاني سنة 1169). وأن الشيخ يوسف ينسب صاحب القبر الى البيت النبوي. والديوه جي قد أدرك القبة وأزيلت مع القبر.

[1] وفي هذا المقال يقول المرحوم الديوه جي في كتابه بحث في تراث الموصل ص121 هامش رقم 6 في معرض ترجمة الأمير سوتاي بيك من أنه مات وحمل الى الموصل ودفن في تربة كان قد أعدها على دجلة، ما نصه: { ولم يرد في مصدر ما أن للطغرائي مدرسة في الموصل. وأعلمني (المعروف وهي كلمة زائدة) أنهم أدركوا القبة متداعية وفيها قبر، وأن الشيخ عبد الرحمن النوري المعروف بحفيد الشيخ سعى في بنائها على عهد السلطان عبد الحميد وأطلق عليها اسم مدرسة الطغرائي وعرفت بهذا الاسم خطأ في مؤلفاتهم ولم يتأكدوا من صحته}.



باحة وأروقة وقبة جامع الشيخ محمد المنصور سنة 2007



قبة الإمام زيد بن علي سنة 2007

الخَـــــــــــاتِمَةُ

هَا هُنَا وَقَفَ القَلَمُ بِمُؤَلِّف هَذَا الكُتَيِّب الصَّغِيْرِ بحَجْمِه، الضَّئِيْلِ بقِيْمَتِـــه التَّحْقِيْقِيَّـــة، الّذيْ ظَنَّ مُؤَلِّفُهُ لَمَّا جَاءَنَا به أَنَّهُ جَاءَنَا بإِحْدَى الكُبر، أَوْ بمَا هُوَ مُعْجِزٌ بتَحْقِيْقِـــه وَبَلاغَتِـــه للْبَشَرِ. فَوَقَفْنَا نَحْنُ أَيْضاً مَعَهُ مُعْتَرِفِيْنَ بأَنَّ مَا تَرَكْنَاهُ مِنْ نَقْدِه أَكْثَرَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِيْه، وَلَوْ شِـــئْنَا لأَطَلْنَا مَعَهُ البَحْثَ، وَنَقَّبْنَا عَمَّا فِيْه مِنْ هَنَّاتٍ تَارِيْخِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ وَلَوَجَدْتَهَا إِذَنْ كَثِيْرَةً وَكَبِيْـــرَةً، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّهَا لا يَهُمُّ القَارِيءَ ذِكْرُهَا أَعْرَضْنَا عَنْهَا جَانِباً، وَضَرَبْنَا عَنْهَا صَفْحاً.

وَأَعْتَقِدُ أَنَّ فِيْمَا كَتَبْنَاهُ فِيْ هَذِه الرِّسَالَة عَنْهُ كِفَايَةٌ لإِظْهَارِ قِيْمَتِه وَقِيْمَةِ مُؤَلِّفِه مَعَاً، إِذْ قَدْ قِيْلَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَزَلْ مَسْتُوْراً مَا لَمْ يَقُلْ شِعْراً أَوْ يُؤَلِّفْ كِتَاباً[1].

تَمَّ تَحْرِيْرُهُ فِيْ اليَوْمِ السَّادِسِ مِنْ شَهْرِ رَبِيْعٍ الثَّانِيْ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّيْنَ وَثَلاثمائَةٍ بَعْدَ الأَلْفِ بِقَلَمِ مُؤَلِّفِه اسْمَاعِيْلَ بْنِ الحَاجِّ أَحْمَد فَرَجٍ المَوْصِلِيِّ.

---

[1] اقتبَسَها آل فرج عن الحموي، ياقوت، معجم الأدباء ج1 ص56: (يقول يحيى بن خالد: لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً، أو يصنف كتاباً).

الملاحق[1]

أولاً:

(الآثار والمباني الإسلامية في الموصل): كتاب ألفه الأستاذ أحمد الصوفي وطبعه في الموصل، فكتب في نقده الأستاذ سعيد الديوه جي المدرس في المتوسطة الشرقية مقالاً نشره في جريدة البلاغ الموصلية رقم العدد 855 وتاريخ 21 محرم 1359/ 29 شباط 1940 بعنوان: (نقد كتاب الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل)، وهذا نصه[2]:

نقد كتاب: الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل

كتاب ألفه الأستاذ أحمد الصوفي المدرس في وزارة المعارف العراقية، بحث فيه عن آثار الموصل في العهدين الأموي والعباسي، وإن البحث في الآثار العربية والاسلامية عمل مشكور، ولكن هذا يتطلب جهوداً كبيراً وتتبعاً متواصلاً، ومصادر متعددة ليتسنى للباحث أن يقف على حقيقة هذه الآثار وما اعتراها في كل دور من إصلاح أو تجديد حتى وصلت الى عصرنا هذا، ولكن الأستاذ الصوفي اقتصر في بحثه هذا على أربع وعشرين مصدراً، كما أن الكثير من هذه المصادر لا يمكن أن تكون مصادر أولية لمثل هذا البحث، فالأخذ منها لا يأتي بنتيجة مقبولة.

ولهذا نجد المؤلف قد قصر في كثير من أبحاثه ولم يستوف منها حقها ـــ كما أنه أهمل آثاراً كثيرة ذات أهمية لا تقل عن أهمية الآثار التي ذكرها ـــ والحق معه، فان الكتب القليلة التي اعتمد عليها في مثل هذا الموضوع الواسع لا تذكر شيئاً عن هذه الآثار.

---

[1] نقلاً عن مخطوط للمؤلف سماه (إتحاف الألبّاء بنبذ من تاريخ الموصل الحدباء) وبخط يده، أحببت أن أضيفها الى كتابه هذا لأهمية هذه المقالات والردود لا سيما وأنها قد نشرت في وقتها بجرائد موصلية انقطعت عن الصدور، وعليه فاذا ما عثر القاريء الكريم على هنة أو خطأ لغوي فإنني أنقله كما هو في المخطوط ولعل الخطأ من صاحب المقال أين ما وجد تباعاً ولعدم توفر الصحف التي نشرت المقالات جميعها.

[2] نشر مقال الأستاذ الديوه جي بحلقات ثلاث.

وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه: (ولسوء الحظ ليس للموصل العربية مؤلف خاص بها يدلنا على آثارها العربية الإسلامية، لذا شرعت بجمع شتات ما صادفته من الأخبار و...).

وأن هذا الكتاب ليس بأول كتاب يتناول الآثار العربية والإسلامية في الموصل[1] فقد ألف المتقدمون كتباً في هذا وخاصة (الخطيب العمري صاحب منهل الأولياء) فانه قد جمع آثار الموصل خير جمع. وأن ما كتبه الخطيب العمري يفوق ما كتبه الأستاذ الصوفي، وكذا كتاب (الإنتصار للأولياء الأخيار) فانه ذكر زيادات أخرى على ما ذكره الخطيب العمري، وقد اتخذها المؤلف من المصادر التي اعتمد عليها، فكيف أنكر فضل هذين المؤلفين المتقدمين؟!.

وفي هذا العصر ألف (الدكتور الجلبي) مخطوطات الموصل، وهو خير كتاب علمي دقيق يبحث عن مدارس الموصل وجوامعها، وقد اعتمد عليه الأستاذ الصوفي بالدرجة الاولى، بل إن بعض مباحثه لا تتعداه إنما اقتصر عل ما ذكره الدكتور الجلبي، ولذا فان هذا التأليف ليس بأول كتاب في بابه، ومما يؤخذ عليه أنه لم يذكر عن أول منشأ الموصل إلاّ بضعة اسطر اقتبسها من تاريخ الموصل للصائغ، ذكر بها أن الموصل كانت حصناً آشورياً، ووقف عند هذا الحد فلم يذكر عنها شيئاً حتى احتلال العرب لها في صدر الإسلام.

مع أن الموصل تقدمت زمن الساسانيين، وقد كتب عنها المؤرخون كثيراً، والأهم من هذا أن المؤلف لم يذكر شيئاً عن حالة الموصل في العهدين الأموي والعباسي وهما العهدان اللذان قصر بحثه عن آثارهما، فكان عليه أن يذكر الأدوار التي مرت على الموصل في هذين العهدين وما طرأ عليها من التقدم أو التقهقر ليقف القاريء على حالة الموصل في هذه الأدوار.

وإنه قد استعاض عن هذا كله بروايات مشوشة غير متجانسة سردها في كتابه قبل أن يحققها ويختار الصحيح منها، ومن ذلك أنه لما تكلم عن تأسيس مدينة الموصل ذكر عدة

---

[1] ذكر الديوه جي ذلك لأن الصوفي ذكر في مقدمته أن كتابه أول رسالة في الآثار العربية الإسلامية للموصل.

روايات ليس لها علاقة بالتأسيس، فمنها ما يتعلق بالفتح، وأخرى فيما كانت تدفعه من الخراج زمن المعتصم والمتوكل، وثالثة عن سبب تسميتها بالموصل، وقس على هذا بقية الروايات.

فان هذه الروايات ليس لها علاقة بالتأسيس مطلقاً، وذكر أن (هرثمة) هو الذي اختط مدينة الموصل ــ وهذا هو الثابت ــ ولكنه أعقب هذه الرواية برواية أخرى نقلها عن مختصر البلدان أن (مدينة الموصل بناها محمد بن مروان) وأنه بهذا نقض قوله الأول، ولم يذكر مؤرخ أن (محمد بن مروان) بنى مدينة الموصل، فالرواية التي ذكرها المؤلف مغلوطة خالية من كل صحة وهي محرفة عن رواية ذكرها كثير من المؤرخين هي (إن أول من عظم الموصل وألحقها بالأمصار العظام و...هو مروان بن محمد).

ومن الغريب أن يغفل المؤلف عن مثل هذه الروايات المغلوطة ويذكرها في كتابه قبل أن يحققها، بل إن خطأها بيّن لا يحتاج الى تحقيق وهي تتضارب مع ما ذكره أولاً عن تمصير الموصل على يد هرثمة.

ونشاهد مثل هذا الارتباك (في فتح الموصل) فان المؤلف لم يعتمد على الروايات الموثوق بها ويقتصر عليها في بحثه، بل إنه ذكر في كتابه كل رواية عثر عليها سواء كانت هذه الرواية صحيحة أو مغلوطة، وهذا نقص بيّن في طريقة البحث العلمي.

فالثابت أن الموصل فتحت بعد واقعة تكريت الحاسمة التي أجلت الرومان عن بلاد الجزيرة وذلك سنة 16هـ على يد (ربعي بن الأفكل) الذي أرسله (عبد الله بن المعتم) لا (المعتمر) كما ذكره هو حقاً، أما الروايات الأخرى التي ذكرها فكلها (قيلات) لا تمت الى الحقيقة بصلة. والمؤرخون أنفسهم ذكروها بتحفظ وأشاروا الى ضعفها وعدم صحتها فقالوا: وقيل كذا... وقيل كذا، فعلى الباحث أن يقارن هذه الروايات ويختار الصحيح منها وينبذ الأخرى ليكون بحثه علمياً دقيقاً.

وذكر المؤلف أن أول قبيلة سكنت الموصل هي (الخزرج) وأن (خالد بن الوليد) أرسل قسماً من قبائل الخزرج لفتح الموصل فسكنوا فيها ثم عمروا لهم مسجداً وهو أول مسجد في

الإسلام بني في الموصل، وسكن الخزرجيون المحلة المعروفة بهم. ولكنه لم يذكر مصدر هـذا الاقتباس، فلم يكن لكلامه قيمة علمية، كما أن من يتدبر هذه الرواية يطلع علـى ضـعفها وارتباكها وأنها خالية من الحقيقة، ذلك لأن هرثمة هو الذي اختط الموصل وأسكنها العرب. وأن هرثمة هذا تولى الموصل بعد (عتبة بن فرقد) وكان هذا الأخير قد تولى الموصـل سـنة 20هـ وعلى هذا فقد سكن العرب الموصل بعد سنة 20هـ.

وإن خالد بن الوليد عزل عن القيادة نهائياً من قبل الفاروق سنة 17هـ فقد عزل خالد قبل ولاية (عتبة) الذي سبق هرثمة بثلاث سنين، كما أن خالد بن الوليد لم يشترك في فـتح العراق إلاّ في الوقائع التمهيدية التي كانت قبل القادسية، وإن الموصل كانت مـن فتـوح العراق بعد القادسية. فنرى مما تقدم أن هذه الرواية التي ذكرها المؤلف ليست من الروايات التي تؤخذ بنظر الاعتبار، والأرجح أن المؤلف اقتبس هذه الرواية من كتاب (منهل الأولياء) وأنه ذكرها في كتابه دون أن يتحققها أو يعرف درجة صحتها أو يقارنها مـع غيرهـا مـن الروايات الثابتة التي تناقضها.

إذاً ، إن قبيلة الخزرج هي ليست أو القبائل التي سكنت الموصل، إنمـا سـكنها أولاً (الأزد وطيء وكندة وعبد قيس) وعلى هذا فان مسجد خزرج ليس بأول مسجد أسس في الموصل إنما أول مسجد ذكره المؤرخون هو مسجد (هرثمة) ولا نعرف محله بالضبط، وكـل ما قيل عنه فهو من قبيل الحدس والظن، وإن الظن لا يغني من العلم شيئاً.

يتضح لنا مما تقدم أن المؤلف ذكر في كتابه كل رواية عثر عليها أثناء بحثه سواء كانت هذه الرواية صحيحة أو مغلوطة دون أن يحاكمها أو يقارنها مع غيرها من الروايات المعـول عليها. وهذا الارتباك والتضارب بين الروايات واضح في كثير من مباحث الكتـاب، وقـد لأفقد الكتاب قيمته العلمية وقلل من أهميته في نظر القاريء، إذ لا يحصل القـاريء علـى نتيجة تذكر في معظم مباحث الكتاب، فرد الروايات المتعددة والمتضاربة لا يـأتي بنتيجـة

علمية، إنما كان على المؤلف أن يقصر من بحثه هذا على الروايات الموثوق بها والمعول عليها ثم يعطي حكمه على ما يقول[1].

يدعي المؤلف أن أول من وضع أساس هذا الجامع هو (هرثمة) ولما استولى الأمويون على الموصل وسعوه وأضافوا عليه بعض المباني وأصبح يسمى بالجامع الأموي او بالمسجد الجامع القديم. ولكن المؤلف لم يستند في هذا على نص صريح. وإن النصوص الأربعة التي ذكرها عن هذا الجامع لا تنص على ذلك حتى ولا تلمح إليه، وهي تكاد تكون كلها بمعنى واحد، وهو: أن في الموصل مسجد جامع يسمى بالجامع الأموي، وبعد أن بنى الأتابكيون (نور الدين) الجامع النوري سمي الأول بالجامع القديم والثاني بالجامع الجديد. هذا كل ما يفهم من النصوص التي ذكرها المؤلف واعتمد عليها في بحثه هذا.

نحن لا ننكر أن (هرثمة) بنى مسجداً جامعاً في الموصل، فهذا مما تقتضيه طبيعة الحال، لأن المسلمين بنوا لهم مساجد وجوامع في المدن التي فتحوها، ولكن أين كان محل جامع (هرثمة)؟ هذا ما لا نعرفه بالضبط، لأن المؤرخين لم يذكروا لنا شيئاً عنه، ولهذا السبب فإننا نشك أن يكون جامع هرثمة في المحل الذي عليه الجامع الأموي.

وهناك سبب آخر يزيد في الشك وهو أن سياسة (الفاروق) كانت تقتضي بتجنب العرب إسكان المدن التي يفتحونها خشية أن يميل العرب الى نعومة العيش ويركنوا الى السكينة والهدوء فيفقدون مزاياهم الحربية، فأمرهم بالسكنى خارج المدن التي يفتحونها. وفي بعض الأقطار أسس العرب لهم مدناً قريبة من المدن المفتوحة، وعلى هذا فإننا نرجح أن يكون جامع هرثمة بعيداً عن موقع (القليعات) وهو الموقع الأولي لمدينة الموصل.

ومما يلفت الأنظار أن المؤلف يذكر أنه كان يوجد ساقية تمر بالجامع القديم ومنه تذهب الى الجامع الجديد وتنتهي بجامع الربض، وهو يدعي بأنه قد فهم هذا من قول (إبن جبير) وبالحقيقة إن ابن جبير لم يذكر هذا، لأنه بعد أن وصف الجامع الأموي قال: (ويجمع في

---

[1] انتهاء الحلقة الاولى من المقال.

هذين الجامعين القديم والحديث، ويجمع أيضاً في جامع الربض)، ومعنى يجمع هنا جلي واضح لا يؤدي الى الخطأ الذي وقع به المؤلف حتى جعله يتعقب آثار الساقية التي كان يجري بها الماء، وأخذ يدقق عنها، وإن إِمام الجامع قد أفاده بعلامات عن هذه الساقية الخ... . فمعنى (يجمع) أي تقام فيه صلاة الجمعة كما تقام في الجامعين الآخرين. فلا ساقية تصل لبين الجوامع الثلاث ولا ماء يجري بها ولا غير ذلك.

ويذكر المؤلف أيضاً بأنه لم يبق من الجامع الأموي سوى بقايا المئذنة، ونحن نشك أن تكون هذه المئذنة من بقايا البناء الأموي، لأن الجامع جدد عدة مرات، فلم لا تكون المئذنة قد جددت مع الجامع؟.

فالأرجح أن يكون قد أصابها خلل في هذه المدة الطويلة وعمّرها من كان يهتم بأمر هذا الجامع، وقد ذكر المؤرخ أبو زكريا الأزدي أن المهدي كان قد زاد على هذا الجامع زيادات كثيرة ووسعه وأضاف إليه ما كان يحيط به من الأسواق، وذلك سنة 212هـ كما أن الأتابكيين كانوا قد عمروه وجددوا بناءه.

وعلى كل فان بحث المؤلف عن هذا الجامع ليس دقيقاً، فكان عليه أن يكتب عن هذا الجامع من الناحية التاريخية أولاً، ويتتبع التغييرات والتجديدات التي طرأت عليه منذ أول تأسيسه حتى آن أمره الى الخراب، والأسباب التي أدت الى خرابه واقتصاره على جامع صغير لا يعد شيئاً بجانب ما كان عليه الجامع. ثم بعد هذا يعطي حكمه على الجامع وما بقي من آثاره، ولكن المؤلف اختصر في كلامه على نصوص معدودة وهي تكاد تكون كلها بمعنى واحد، وأخيراً نراه يؤول بعضها تأويلات بعيدة في شيء[1].

ذكر المؤلف أن (الحر بن يوسف الأموي) شيد في الموصل مدرسة وداراً يسكنها هي (المنقوشة) وأنه أخذ يبحث عن آثار هذه المباني حتى عثر على بقايا المدرسة وهي التي تسمى الآن (مسجد الحاج قاسم الرحماني).

---

[1] انتهاء الحلقة الثانية من المقال.

أما المنقوشة فقد ذكرها المؤرخون. وأما أن الحر بنى مدرسة بجانب المنقوشة فهذا ما لم يؤيده النقل، لأن المؤلف لم يستند في هذا على مصدر أولي، إنما نراه اعتمد علـــى (كتـــاب مختصر تارخ العرب والتمدن الإسلامي للأمير علي) ولا يخفى أن هذا النص لا يكون له قيمة تاريخية ما لم يؤيده مصدر أولي، ولم نقف على نص أولي يذكر أن الحر بنى مدرسة او جامعـــاً أو مسجداً في الموصل، ولو سلمنا جدلاً أن أحد المؤرخين المتقدمين ذكر أن الحر بنى مدرسة في الموصل فان كلامه هذا لا يؤخذ بنظر الإعتبار، إنما يكون هذا خطأ في التعبير، ولا يكون لكلامه هذا قيمة علمية، لأن المدارس لم تعرف في القرن الأول الهجري عند المسلمين، إنمـــا أسست على عهد (نظام الملك) وذلك في أواسط القرن الخامس الهجري، وهذا مـــشهور لا يحتاج الى نص أو إثبات، كما أن أحد المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وهـــو (مخطوطـــات الموصل للدكتور الجلبي) يقرر هذا في ص6.

إذاً لم يأت المؤلف بنص تاريخي موثوق به يؤيد أن مسجد الرحماني هو من بقايا مدرســـة كان قد أسسها الحر بن يوسف. وقد جعل المؤلف من أدلته التي تؤيد ما ذهب إليـــه هـــو (وجود الألواح التي في هذا الجامع فان طرز نقوشها كان شائعاً أيام بني أمية) وهذا لـــيس بدليل قوي، لأن المعلوم أن الريازة العربية لم يكن لها طابعاً خاصاً أيام بني أمية، إنما كانـــت تتبع مدنية القطر الأصلية والأيدي العاملة فيها، كما أن (المرمر) الحاوي لهـــذه النقـــوش لا يمكن أن يقاوم إثنى عشر قرناً وهو محافظ على ما فيه من نقوش وكتابات بأجلى مظاهرها.

وقد ذكر المؤلف أن أسرة الرحماني جددت هذا الجامع مرتين، فالأرجح أن تكون هذه النقوش هي من وضع أحد المجددين لهذا المسجد.

وذكر المؤلف بأن المدرسة كانت قرب المنقوشة ـــ ولو سلمنا جـــدلاً ـــ إذاً يجـــب أن تكون هذه المدرسة المزعومة خارج ما كانت عليه الموصل، إذ ذاك، لأن المنقوشـــة كانـــت خارج الموصل، فقد ذكر أبو زكريا الأزدي أنه (في سنة 132 قدم يحيى بن محمـــد العباســـي الموصل ومعه اثنى عشر ألف فارس وراجل، فنزل قصر الإمارة الملاصق لمسجد الجامع وأمر

محمد بن صول فنزل قصر الحر بن يوسف وهو المنقوشة، ونهاه من النزول في نفس المدينة ودخول سورها).

فهذا النص يؤيد ما ذهبنا إليه من أن المنقوشة كانت خارج الموصل، أي أنها لا تكون بجنب هذا المسجد الذي يقع في الموصل، وأما ما يذكره من أن بعض العلماء يدعي أن المنقوشة كانت على الأرض التي عليها دار جرجيس عبد النور، فان هذا الإدعاء ليس بذي قيمة تاريخية، لأنه لا يعتمد على نص موثوق، ومن الغريب أن يقبل المؤلف مثل هذه الإدعاءات ويبني أحكامه عليها.

يتضح مما تقدم أن المؤلف لم يدلُ بحجة واحدة قرية يؤيد بها أن مسجد الرحماني هو من بقايا مدرسة كان الحر قد أسسها، ولذا فان بحث المؤلف قاصر عن هذا الأثر من الوجهة التاريخية. على أن المؤلف وصف آثار هذا المسجد وصفاً دقيقاً شاملاً لجميع أقسامه، وهو من هذه الناحية أعطى البحث حقه لأنه بعد أن وصف البناية أخذ يصف الألواح الأثرية التي في المسجد وما فيها من نقوش وكتابات، كما أنه عزز وصفه هذا بصور للألواح المهمة التي تكلم عنها، وبهذا فقد صنع جميلاً يشكر عليه، لأنه حفظ صور هذه الآثار، وسطر أوصافها في كتابه، وكذا فان وصفه لبقية الآثار لا يقل دقة عن وصفه لهذا الأثر.

وإن الذي دفعني الى هذا النقد البريء هو ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه لأنه يأمل أن يرشده القراء الى كل نقص يرونه في كتابه، ولعلمي أن الأستاذ الصوفي يقدر قيمة النقد العلمي البريء وانه يتقبله بصدر رحب كما صرح في مقدمة كتابه. ولكن مما يؤسف له أن البعض لا يقدرون النقد العلمي البريء فيحملونه على محامل لا تمت الى العلم والحقيقة بصلة.

وبالأخير فاني من الذين يعترفون بفضل الأستاذ الصوفي وماله من الأيادي البيضاء في توجيه أبناء هذا البلد الى الوقوف على آثار أجدادنا العظام وما خلفوه لنا من التراث الخالد، فله في هذا خدمة جليلة تذكر. (سعيد الديوه جي).

ثانياً:

وقد رد المؤلف على الأستاذ الديوه جي في جريدة الرقيب الموصلية في عـــددها 194 المؤرخ 29 صفر 1359/ 7 نيسان 1940 بإمضاء (محايد)[1]، ودونك نصه:

ردّ على نقد

(لست من علماء الآثار ولا من الذين يدعون أنهم أحاطوا علماً بالتاريخ العام حتى ولا بالتاريخ الخاص عن مدينة الموصل، ولكني من المغرمين بتتبع كل ما يقال ويكتب عن الموصل مدينتي العزيزة ومسقط رأسي، ولما ظهر كتاب الأستاذ احمد الصوفي عن الآثار والمبـــاني في الموصل، عجلت في اقتنائه رغبة في معرفة أصل كثير من الجوامـــع والمـــساجد والمبـــاني في الموصل.

ثم اطلعت في الصحف المحلية على سلسلة انتقادات بقلم المدرس سعيد الـــديوه جـــي حاول فيها إظهار أخطاء للكتاب، ولم أشأ إظهار رأيي في القضية حتى يتاح درس الموضـــوع درساً عميقاً للمقابلة بين الكتاب ونقده.

وعليه فاني أدلي بهذه الآراء لا تحزباً لهذا أو ذاك بل حباً بالحق، وعلى الحق أن يعلو على كل رأي وشخص.

طلب الناقد باديء بدء أن تبذل جهود كثيرة وبحوث جمة قبل الإقدام على الكتابـــة في موضوع كهذا. على أنه من الواضح الجلي أن جهود المؤلف لم تكـــن قليلـــة ولا ناقـــصة، ويكفيني برهاناً ما قضاه الأستاذ الصوفي وهو ما يقارب الثلاث سنوات في دائـــرة الآثـــار القديمة حيث كان مفتشاً في الموصل عن هذه الآثار. فاطلع على الشيء الكثير منها، وتعمق في درسها تعمقاً علمياً كما تشهد له بذلك التقارير التي رفعها الى دائرته عما درسه، وطاف في أنحاء شتى من الموصل متتبعاً منقباً فاحصاً مدوناً. وأراد أن يتحف أهل بلده بـــشيء ممـــا اطلع عليه، وإني أعتقد أن هذه الجهود كافية تؤهله للكتابة في هذا الصدد، وكنـــا نـــود أن يشير المنتقد الى المصادر الأخرى التي كان يريد أن يطلع عليها المؤلف لكنه لم يشر الى شيء

---

[1] المحايد هو الأستاذ أحمد الصوفي وقد نشر مقاله بحلقات ثلاث أيضاً.

منها، ولم يرض الناقد عن بعض المصادر التي اقتبس منها المؤلف، وقال إنها لم تكن أولية. فيا حبذا لو أشار في نقده الى موضوع الضعف في كل مصدر منها وبيّن الغث من السمين فيها، فلو فعل ذلك لكان لنقده قيمة علمية.

وزعم أن المؤلف (أهمل آثاراً كثيرة ذات أهمية لا تقل عن أهمية الآثار التي ذكرها)، فنجيب أننا كنا نحب أن يذكر هذه الآثار التي زعم أن المؤلف أهملها، لكني أنكر وجود بناء ذي قيمة أثرية في الموصل أهمله المؤلف، وكان على الناقد أن يعلم من اسم الكتاب أن موضوعه: (الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل) لا تاريخ الجوامع والمساجد على الإطلاق.

أما قول الناقد أن الخطيب العمري وضع كتاب باسم منهل الأولياء جمع فيه آثار الموصل خير جمع وأن صاحب الإنتصار للأولياء الأخيار وضع كتاباً عن الآثار، وأن هذين الكتابين هما أقدم ما كتب عن مباني الموصل وآثارها العربية الإسلامية، فقد قرأنا في صحيفة (النضال) الموصلية بحثاً مستوفياً (للأب الدكتور الرحماني) عن هذين الكتابين وعن عدم علاقتهما بالآثار فكان في هذا المقال الكفاية.

لنأت الآن على ما ينتقد به الناقد مؤلف الكتاب بخصوص أصل منشأ الموصل إذ زعم أن المؤلف استند على روايات "مشوشة غير متجانسة.. الخ". أقول:

يشق علينا أن نذكّر الناقد أن مؤلف التاريخ عليه أن يورد كل الآراء القديمة مهما كانت ليكون بحثه علمياً بحتاً، ثم يذكر رأيه أو تفضيله رأياً على آخر، وهذا ما صنعه المؤلف إذ ثبت الرأي القائل: (بأن الموصل مدينة عربية بحتة شيدها العرب) كما هو مدون في الصحيفة الـ 4 من كتابه، فليس لنا أن نطالبه بأكثر من هذا.

وأقر الناقد صحة تخطيط الموصل من قبل هرثمة إذ قال: (إن هذا الرأي هو الثابت) لكنه يأخذ على المؤلف إيراده رواية أخرى عن مختصر البلدان ويرى في ذلك تناقضاً. أقول:

يكفي لمن يعرف شيئاً من اللغة العربية أن يفرق بين التخطيط والبناء، فالتخطيط شيء، والبناء شيء آخر، فاذا ذكر المؤلف أن هرثمة خطط الموصل وأن محمد بن مروان بناها، فلا

تناقض في القولين، وما أسنده المؤلف من بناء الموصل من قبل محمد بن مروان فقد نقله عن كتاب مختصر البلدان لمؤلفه أبي بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه الذي عاش في أواخر القرن الثالث للهجرة، وطبع كتابه في مطبعة ليدن سنة 1302هـ.

وجاء ذكر ذلك أيضاً في كتاب معجم البلدان لياقوت ج8 ص196، ولسنا في حاجة الى الإشارة لما لهذين الكتابين من قيمة تاريخية، أضف الى ذلك كما نوهنا أن التخطيط جرى من شخص وهو هرثمة بن عرفجة، والبناء والتوسيع حصل على عهد محمد بن مروان، فأي غلط أو تحريف أو تشويش في هاتين الروايتين؟[1].

ثم يأتي الناقد على فتح الموصل ويريد من المؤلف أن يبت الرأي في مَن فتحها، أناشد الله كل منصف أن يقول هل في إمكان مؤلف أن يدلي برأي جازم حاسم في حدث مضى عليه زمان ينوف على ألف وثلاثمائة سنة بينما المؤرخون الذين ذكروا الحادث كابن الأثير والطبري وابن خلدون وغيرهم من الذين أتوا على ذكر هذا الحادث لم يجدوا الى البت فيه سبيلاً، بل أقروا أن هناك أقوالاً مختلفة أوردوها، فأوردها المؤلف مثلهم ليكون أميناً في نقله عن هذا الأمر الخطير.

وإلاّ فكيف يمكنه البت وعلى من يستند في تأييد رأي على آخر، إن الطريق الوحيدة التي كانت أمامه هي ذكر الروايات المختلفة فحسب، وهذا ما صنع.

ويزعم الناقد أن قبيلة الخزرج ليست أول من سكن الموصل، وأن قبائل أخرى سبقتها كالأزد وطيء وكندة.. على أنه يقع في ما ينتقد المؤلف عليه، إذ أنه لم يشر الى المصدر الذي اعتمد عليه في هذه الرواية. وعلى ذكرى الخزرج وسكناهم الموصل وبنائهم مسجداً فيها يقول الناقد: (إن مسجد خزرج ليس بأول مسجد أسس في الموصل، إنما أول مسجد ذكره المؤرخون هو مسجد هرثمة ولا نعرف محله بالضبط).

---

[1] انتهاء الحلقة الاولى من المقال.

فنجيب أن الفرق بين كلمة (مسجد) وبين (جامع) ظاهر جلي، فالمسجد للصلوات الخمس فقط، أما المسجد الجامع فهو كما يدل عليه اسمه يجتمع المسلمين لسماع خطبة الجمعة وإقام صلاتها ولصلاة الأعياد. ومسجد جامع كهذا لا يقام منه في كل مدينة إلاّ واحد أو إثنان وعلى الأخص في أوائل الإسلام. فلما سكن الخزرج مدينة الموصل هل كان من المعقول أن يتركوا كل يوم وخمس دفعات في اليوم محلاتهم لكي يذهبوا لأداء صلواتهم الخمس في محلة تبعد عنهم بعداً ليس بالقليل؟ كلا بل المعقول أنهم خططوا لهم بقعة وأسسوا لهم عليها مسجداً.

أما المسجد الذي بناه هرثمة والذي أثبت المؤلف أن موقعه عند القليعات، والذي يسمى الآن (جامع المصفي) ولا تزال أطلاله باقية الى اليوم، فينقم الناقد على المؤلف تعيين محله بعبارات قاسية ما أنزل الله بها من سلطان هي نوع من التحامل، والحال لإثبات موقع هذا الجامع علينا أن نذكر أن الموصل عندما افتتحها العرب لم تكن إلاّ حصناً، ولم يكن فيها من المباني إلاّ الشيء القليل، فلما دخل هرثمة واستولى على ذلك الحصن مع من معه من العرب اختط المدينة واختط المسجد الجامع، فهل من المعقول أن يؤسس الجامع بعيداً عن مركز الناس ومحل إقامتهم؟.

وبما أننا نرى الآن أطلال جامع في البقعة التي نعلم أنها كانت مسكن العرب الذين اعتلوا الموصل فليبس لنا إلاّ أن نستنتج أن هذه الأطلال لذلك الجامع. أضف الى ذلك أن هذا الاستنتاج ليس مبنياً على هواء ودون أساس تاريخي بل مستند على الروايات التالية:

1. ذكر صاحب كتاب مختصر البلدان ما نصه (الجزء 1 ص128): (وكان بها ــ بالموصل ــ الحصن وبيع النصارى ومنازلهم ومحلة اليهود، فحاصرها هرثمة ثم بنى المسجد الجامع).

مَن يجهل أن الحصن هو القليعات الحالية؟ وهل الحصن غير قلعة أو قليعة، وهل تشاد الحصن إلاّ على نشز من الأرض؟ ومما يثبت ذلك أن بيع النصارى المنوه عنها في النص التاريخي أعلاه لا تزال الى اليوم قائمة وهي مارشعيا ومارقرياقوس فهي

ملاصقة للنشز الذي كان عليه الحصن، وموقع الجامع هو أيضاً ملاصق للحصن من جهته الأخرى، فأي جامع هو إلاّ جامع هرثمة؟ وهذا مما لا شك فيه ويدل على أنه هو المقصود في الأصل وإن الأمويين وسعوه فيما بعد فدعي بالجامع الأموي ثم بالجامع القديم لتمييزه عن الجامع الذي أحدثه نور الدين الأتابكي بعد ذلك بقرون.

2. وجاء في الكامل لابن الأثير: (إن يحيى بن محمد الذي سيره السفاح في إثنى عشر الف رجل جاء الموصل فنزل قصر الإمارة بجانب المسجد الجامع. جزء 5 ص212). فقصر الإمارة حسب التقليد المتواتر والنقل الوارد أنه كان على القليعات ما يثبت هذا التقليد أن الأتابكيين لما استولوا على الموصل سكنوا بجوار القليعات أي لم يبتعدوا من الحصن كما يشير الى ذلك بقايا قصر السلطان لؤلؤ. فاذا كان قصر الإمارة في القليعات بجانب المسجد الجامع، فهل من شك أن هذا المسجد هو ما نسميه اليوم جامع المصفي الذي لا تزال هناك بقاياه بمئذنته؟

3. يذكر معجم البلدان (الجزء 8 ص196) جامعين للجمعة فقط في الموصل أحدهما بناه نور الدين وهو في وسط السور، والآخر (على نشز من الأرض استحدثه مروان بن محمد في ما أحسب..). هذا القول لمعجم البلدان جاء بعدما ذكرناه عن مختصر البلدان والكامل يؤيده فكرة المؤلف من أن المسجد الجامع الذي اختطه هرثمة بن عرفجة هو المبني على نشز من الأرض ملاصق للقليعات أي للحصن، ولم يصنع مروان بن محمد شيئاً سوى تجديده وترميمه، ولم يبت ياقوت الحموي في استحداثه من قبل مروان ولذا قال: (في ما أحسب) أي إنه يظن ذلك ظناً.

هذا ادعاء المؤلف المثبت بالبراهين التاريخية فكيف يزعم الناقد أننا لا نعرف محله بالضبط، ويتهجم على المؤلف لأنه عين ذلك المحل مستنداً على مصادر ثلاثة لا ريب في صحتها. والأغرب من ذلك أن الناقد يقر بوجود الجامع لكنه لا يؤيد الروايات التاريخية، التي تعين بالضبط الممكن موقعه.

على من يكتب التاريخ أن تكون له مخيلة واسعة ومحاكمة تاريخية لكي يتمكن أن يصور لنفسه المواقع التاريخية والحوادث لا كما هي في يومه بل كما كانت في زمن الحوادث.

هل يتصور حضرة الناقد الفاضل أن الموصل كانت تشبه باتساعها موصلنا اليوم؟ فكل الروايات التي تتكلم عن الموصل في عهدها ذاك تذكر أن الموصل كانت مدينة صغيرة أشبه بقرية منها ببلدة. فلا نوافق الناقد الفاضل في رأيه أن هذه النصوص لا تعين موقع جامع هرثمة بالضبط محاولاً إفراز زعمه بأن الفاروق كان يوصي العرب بتجنب سكان المدن التي يفتحوها خشية أن يميل العرب الى الترف، ولذا يرجح أن يكون جامع هرثمة بعيداً عن موقع القليعات، ولكننا ذكرنا الآن أن الموصل لم تكن باتساعها موصلنا الحالية، ونكرر عليه أن يوسع نطاق مخيلته لكي يتصور المدن القديمة كما كانت وكما يصفها المؤرخون القدماء وكلهم يؤكدون أنها كانت حصناً بجواره بعض الدور والكنائس.

ويمكننا أن نتصور بسهولة أن العرب راعوا وصية أمير المؤمنين عمر بأن يسكنوا جنوب النشز الذي عليه الحصن عندما رأوا أن السكنة القدماء كانت منازلهم وكنائسهم في شمالها، وبنى هرثمة جامعه حيث حلوا.

ونصل الآن الى قضية أخرى تتعلق بالجامع المذكور بعد أن أضحى الجامع الأموي، وهي قضية وجود سارية رخام كان في أعلاها خصة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة فيرتفع في الهواء قدر القامة كأنه قضيب من البلور معتدل، ثم ينعكس الى أسفل القبة، الى قوله: (ويجمع في هذين الجامعين القديم والحديث ويجمع أيضاً في جامع الربض..الخ. (ابن جبير ص214).

فالمؤلف اعتمد على هذا النص لكي يصف النافورة التي كانت في هذا الجامع والتي يصفها ابن جبير وصفاً لا يترك مجالاً للريب، إلاّ أن الناقد يضرب بذلك عرض الحائط فلا يريد نافورة ولا ماء ولا ساقية، فمن أين كان يأتي الماء إذن والى أين كان ينساب؟ هل كانت تشربه الأرض أم كانت هناك بئر ارتوازية تفور منها الماء فيغيب في جو الأرض ويبيد؟.

لماذا كل هذه المخالفة وهذا التهجم؟ بينما نص ابن جبير واضح جلي وأيده في ذلك ابن بطوطة (رحلة ابن بطوطة جزء 1 صحيفة 175) فكان على الناقد أن يتوصل بحكمة العقل الى الاستنتاج بأن لا بد للماء الجاري من ساقية يأتي فيها ويذهب الى ساقية أخرى، ومما يثبت ذلك أنة جميع أصحاب الدور التي على قرب هذا الجامع تشهد أنهم عندما بنوها عثروا على آثار ساقية كانت في الأرض لما حفرت أسسها.

إننا لا نعتب على الناقد عدم اطلاعه على ذلك لأنه لم يتحقق هذا الأمر، لكنه كان الأجدر به أن يعتمد على من كان بمقتضى وظيفته مفتشاً للآثار القديمة واطلع على الشيء الكثير من ذلك وأعني به المؤلف.

أما قضية (يجمع) فلا دخل لها في الساقية، وليس هناك من يجهل معنى هذه الكلمة، ولم يستند عليها المؤلف لإثبات وجود ساقية[1].

ذكر المؤلف من بقايا الجامع مئذنة لا يزال قسم منها باقياً الى اليوم، أما الناقد فلا يرضى أن تكون المئذنة من بقايا الجامع الأصلي، ولكن بعدما أثبتناه أعلاه من وجود الجامع في القليعات ووجود مئذنة اليوم في ذلك الموقع كيف يؤل إلاّ بأنها من بقايا ذلك الجامع؟.

على أن المؤلف لم يدع أنها المئذنة الأصلية التي بناها هرثمة أو الأمويون بل قال: (إنها من بقايا الجامع) ومن المعلوم أن الجامع جدد، ولا يمكن أن يبقى طويلاً على حالته الاولى، فاذا كانت من بقايا المئذنة الأصلية أو من بقايا تجديد تلك المئذنة فالنتيجة واحدة وهي كونها من بقايا ذلك الجامع.

وإذا كان في إمكانه أن يقول لنا بالضبط عن هذه المئذنة في أي سنة بنيت وما هي التجديدات والترميمات التي طرأت عليها وتاريخ هذه التجديدات، فإنّا نكون له من الشاكرين.

---

[1] انتهاء الحلقة الثانية من المقال.

لنخرج من المسجد الجامع ولنعرض مدرسة الحر بن يوسف الأموي أو قل مسجده. يذكر المؤلف أن الحر بن يوسف الأموي ابتنى مدرسة بالقرب من داره المنقوشة، والناقد يرى أن هذه المدرسة لا وجود لها، ويعتمد في ذلك على أن النص المؤيد لبناء المدرسة لا يعتبر مصدراً أولياً، ويريد له مصدراً قديماً أولياً.

فهل يا ترى أن المؤلف رأى هذه المدرسة في نومه؟ أم رأى آثارها شاخصة وقرأ ما أورده الأمير علي الذي يعد من أكبر المؤرخين للعرب وللحضارة الإسلامية. وهل يمكن القول بأن هذا الأمير لم يعتمد في كلامه عن المدرسة على مصدر تاريخي؟ لا نظن الأمر كذلك، فاذن استناد الأستاذ الصوفي كان على ما كتبه الأمير علي، وهو مصدر ثقة، وإن كنا لا نعرف المصدر الأول الذي استند عليه الأمير نفسه.

ثم هل يجهل الناقد أن المساجد في صدر الإسلام كانت بالوقت ذاته مدارس يدرس فيها القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وهذا حتى في عهد رسول الله r حيث كانت الصحابة تتعلم القرآن في مسجده، فلمَ لا تكون مدرسة الحر بن يوسف من هذا القبيل؟ وعهد الحر بن يوسف قريب من زمان الخلفاء الراشدين والنبي r .

وعليه أقول: هب أن البناء المبحوث عنه لم يكن في أصل وضعه إلاّ مسجداً فهل يكون الأمير علي ارتكب خطأً فاحشاً لا يغتفر اذا أسماه مدرسة؟ ويستند الناقد في تخطئة المؤلف على أن برهان المؤلف من وجود نقوش على ألواح من المرمر لا يمكن أن يؤخذ برهاناً لأن ــ حسب رأي الناقد ــ لا يمكن أن تبقى هذه الألواح المرمرية زمناً طويلاً.

سامح الله نقداً كهذا، كيف يتغافل الناقد عن أمر مشهور في عراقنا وهو أن متحفنا مملوء بقطع من الرخام من عهد الآشوريين والماديين والفرس، وهذه القطع بقيت أجيالاً تحت حر الشمس وبرد الشتاء وكل العوامل الطبيعية ومع ذلك فقد حفظت الى يومنا هذا، فكيف لا تحفظ ألواح من عهد أقرب بكثير مما ذكرناه سيما وإنها تحت سقيفة بعيدة عن العوامل الطبيعية القاسية.

أما ما يدعيه الناقد من أن الدار المنقوشة كانت خارج الموصل، ولذا فالمسجد كان أيضاً خارجها، فإنا نؤيده في ذلك، ولم نجد المؤلف أنكر كون المنقوشة كانت خارجها. لكن الناقد _ حفظه الله _ يتصور الموصل في قديمها كما يراها اليوم، ويظن انها كانت واسعة بحيث تضم موقع المنقوشة الذي عينه المؤلف. لا يا سيدي إنك مخطيء في تصورك هذا، إنها كانت اصغر من هذا بكثير من زمن ابن الأثير الذي قال في كتابه الكامل ما نصه: (وإنما سميت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالعاج والرخام والفصوص الملونة وما شاكلها، وكانت عند سوق القتابين والشعارين وسوق الأربعاء) (ج5 ص63). وقال أيضاً: (وفيها _أي في سنة 113هـ_ توفي الحر بن يوسف أمير الموصل ودفن في مقبرة قريش بالموصل، وكانت بأزاء داره المعروفة بالمنقوشة).

فمن النص المذكور عرفنا أن الدار المنقوشة والمدرسة او المسجد كانتا عند سوق الشعارين، وسوق الشعارين حافظ على اسمه حتى يومنا هذا، وموقعه معلوم، فنطلب الى الناقد الفاضل أن يتصور هذه المواقع ليرى أين كانت المنقوشة، فإنا نرى المؤلف محقاً في استدلاله على موقع المنقوشة، وحيث كانت المنقوشة كان بقر بها المسجد الذي نشاهده اليوم. ثم إن النص الثاني يقول: إن الحر بن يوسف دفن في مقبرة قريش التي هي أزاء داره، فأين كانت تلك المقبرة أفي داخل المدينة أم في خارجها، وهلاّ يعلم حضرة الناقد أن المقابر تكون في البدء خارج المدن؟.

ومن المتواتر تؤيده البراهين التاريخية أن مقبرة قريش كانت في موقع جامع النبي جرجيس الحالي والمقبرة التي في اتصاله. أنهى الناقد نقده بمدح المؤلف، ولا أظن المؤلف يحتاج الى مدح أو توخاه في وضعه الكتاب، على أن هذا المدح بعد ذلك النقد المر والتهجم العنيف الذي لا يتفق والحقيقة أتى كأنه تضاد أو كأنه كلام لا حق محق كلاماً سابقاً. (محايد).

ثالثاً:

الأستاذ سعيد الديوه جي يرد على (محايد) بهذا المقال الذي نشره في جريدة الـبلاغ الموصلية في عددها الــ 869 والمؤرخ 11 ربيع الأول 1359/ 18 نيسان 1940 وهذا نصه:

ردّ على ردّ

قرأت بجريدة (الرقيب الغراء) ما نشره أحد المغرمين بتتبع تاريخ الموصل، وقد حـاول هذا أن يظهر بمظهر المحايد كما سمى نفسه، ولكنه كان يغلب على حياده التحامل ومحاولـة التمويه وغمط الحقائق وهذا ما لا يتفق والبحث العلمي النزيه ولا ينبغي أن يـصدر مـن شخص يدعي أنه (محايد). وحبذا لو كان كلامه علمياً نزيهاً خالياً من التحامل، إذ ربما كان يهتدي الى شيء من الحقيقة، ولكن عدم حياده أوقعه بأغلاط بيّنة لا تخفى على مَن له إلمـام بالتاريخ، ولهذا فقد رغبت أن أبيّن له هذه الأخطاء التي أوهم نفسه بصحتها.

قلت في انتقادي للمؤلف: (إن البحث في الآثار العربية الإسلامية عمل مشكور ولكن هذا يتطلب جهوداً كبيرة وتتبعاً متواصلاً و...) وقد رد المحايد على هذا بقوله: (إن جهـود المؤلف لم تكن قليلة ولا ناقصة، ويكفيني برهاناً ما قضاه الأستاذ الصوفي من الزمن وهو مـا يقارب الثلاث سنوات في دائرة الآثار حيث كان مفتشاً عن هذه الآثار و... وطاف في أنحاء شتى من الموصل متتبعاً منقباً فاحصاً مدوناً.. وإني أعتقد أن هذه الجهود كافية تؤهله للكتابة في هذا الصدد).

أقول لحضرة المحايد ما علاقة هذا بما ذكرته أنا؟ هب أن المؤلف قضى ثلاث سـنين أو ثلاثين سنة في هذه الوظيفة فهل يكون هذا دليلاً قطعياً على أن كتابه علمي وأبحاثه دقيقـة؟ وأين هي آثار هذا التتبع والبحث والتنقيب والتدوين؟ إن هذه الجهود قد أفرغها المؤلف في كتابه الذي نحن بصدده وهذا الكتاب هو عالة على كتاب (مخطوطات الموصل) (للـدكتور الجلبي) إذ لو رفعنا منه ما قاله الدكتور الجلبي فأية قيمة علمية تبقى لهذا الكتاب؟ أقول هذا وأطلب الجواب من المحايد.

يقول المحايد: (كنا نود أن يشير المنتقد الى المصادر الأخرى التي يريد أن يطلع عليهـا المؤلف، لكنه لم بشر الى شيء منها) وجوابي له بأن البحث عن آثار مدينة من أمهات المـدن

العربية الإسلامية لا يمكن أن يستقى من مصادر معدودة، وخاصة في مثل هذا العصر الـــذي توفرت فيه الكتب وأصبحت في متناول كل أحد، إنما على من أراد التأليف أن يعتمد علـــى أكبر عدد من المصادر لكي يكون بحثه علمياً دقيقاً، على أن المؤلف أهمل كتباً كان عليه أن يعتمد عليها في الدرجة الاولى مثل تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي، والدولة الأتابكيـــة في الموصل لابن الأثير، ومخطوطات الموصل للمسيو سيوفي.

وقد اتهمني المحايد بأني قد بخست قيمة بعض المصادر التي ذكرها المؤلف مع إنه لو كان يتدبر قولي ملياً ويقرؤه قراءة محايد لوجدني قلت: بأن الكثير من هذه المصادر لا تـــصلح أن تكون مصادر أولية لمثل هذا البحث فالأخذ منها لا يأتي بنتيجة مقبولة.

يقول المحايد: (رغم أن المؤلف أهمل آثار ذات اهمية.. وكان على الناقد أن يعلـــم مـــن اسم الكتاب أن موضوعه الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصـــل لا تـــاريخ الجوامـــع والمساجد على الإطلاق).

وأنا أعجب من هذا الحياد الذي يؤدي الى الإتهام، فمتى قلت أنـــا إن هـــذا الكتـــاب مقصور على الجوامع والمساجد؟ فرجائي من حضرة المحايد أن يعيد قراءة ما قلته ويتأمله ملياً ثم يكتب (بحياد).

أما الآثار التي أهملها المؤلف فكثيرة منها: مقام الفتح الموصلي، ومقام الغزلاني، وقـــبر أبي تمام، وقبر إبن الأثير مؤرخ العرب والمسلمين، وإذا قال المحايد بأنه ليس لهذه الآثار قيمة أثرية، فأقول له ما هي القيمة الأثرية (لجامع مجاهد الدين) الذي بحث عنه المؤلـــف؟ فكمـــا كتب عنه المؤلف كان عليه أن يكتب عن هذه الآثار كذلك.

أما عن كتاب (منهل الأولياء) فقد أحالني المحايد على مقال (الأب رحماني) المنـــشور في جريدة (النضال) وأقول لحضرة المحايد بأن كلام الأب رحماني عن هذا الكتاب ليس له قيمة علمية، لأني أرجح با أكاد أجزم بأن الأب رحماني كتب هذا وهو لم يطلع على الكتاب إنمـــا استنتج ذلك من اسم الكتاب، لأنه لو كلف نفسه قليلاً وتصفح (منهل الأولياء) لوجـــد أن مؤلفه تكلم في الثلث الأول عن تاريخ الموصل منذ الفتح العربي حتى عصر المؤلـــف، وفيـــه

فصل ممتع عن حصار الموصل من قبل (طهماسب) ودفاع (الحاج حسين باشا الجليلي) عنها. وفي الثلث الثاني ترجم المؤلف من اشتهر من المواصلة حتى عصره، وفي الثلث الأخير تكلم عن الأنبياء والأولياء، وبعد أن ترجم لهم ذكر مقاماتهم ووصفها.

أفبعد كل هذا نوافق الأب رحماني بأن هذا الكتاب هو كتاب ديني؟ وإذا وافقناه على قوله هذا يجب إذن أن يكون (تاريخ الطبري) كتاب ديني كذلك. لأن مؤلفه سماه تاريخ (الرسل والملوك)، ويجب أن يكون كتاب (الأغاني) المشهور خالياً من كل شيء إلاَ (الأصوات) العربية لأن مؤلفه سماه (الأغاني)، هذا ما يفهم من استنتاج الدكتور في الفلسفة الأب رحماني عن كتاب منهل الأولياء.

يقول المحايد: (لنأت الآن على ما ينتقد به الناقد مؤلف الكتاب بخصوص أصل منشأ مدينة الموصل إذ زعم أن المؤلف استند على روايات مشوشة غير متجانسة)، وأنا أذكر للمحايد بأني لم أقل هذا، وعليه أن يرجع الى نقدي ليتأكد صحة قولي، وإنما قلت: إن المؤلف لم يتكلم عن منشأ الموصل إلاّ بضعة أسطر اقتبسها من تاريخ الموصل للصائغ، وقلت كذلك إن المؤلف لما تكلم عن تأسيس الموصل أتى بروايات مشوشة غير متجانسة، ويظهر أن المحايد لا يفرق بين المنشأ والتأسيس فتراه يخلط بينهما وينتقد فلا يكون لكلامه قيمة علمية.

ويقول المحايد: (إن مؤلف التاريخ عليه أن يورد كل الآراء القديمة مهما كانت ليكون بحثه علمياً بحتاً ثم يذكر رأيه أو تفضيله رأياً على آخر، وهذا ما صنعه المؤلف).

وأقول لحضرة المحايد إن هذه الطريقة لمن يكتب المجلدات عن موضوع محدود، لا لمن يكتب ما يقل عن مائة صفحة عن آثار دورين كانا من أهم وأزهر العصور التي مرت على الموصل ثم بعد هذا أطلب منه أن يذكر لي ما علقه المؤلف على هذه الروايات وما أبداه من التحقيقات في شأنها وأطلب من المحايد نفسه أن يحاول هو نفسه أن يوفق بين هذه الروايات.

ويريد المحايد أن يوفق بين روايتين متضاربتين ذكرهما المؤلف فيقول: (.. وإن التخطيط جرى من شخص وهو هرثمة بن عرفجة والبناء والتوسيع حصل على عهد محمد بن

مروان..) وعلى قوله هذا فان هرثمة خطط الموصل وبقيت ما يقارب المائة سنة بلا عمـــارة حتى جاء مروان بن محمد فباشر في البناء ووسعها. هذا ما أراد أن يدافع به المحايد، ولكنه لم يوفق في مغالطته هذه، وأنا أسأل المحايد إذن أين سكن العرب بعد الفتح؟ وأين كان جـــامع هرثمة ودار الإمارة؟ والمؤلف نفسه يذكر في كتابه (ص5 و6) أن الموصل اتـــسعت وكثـــر عمرانها في زمن الراشدين فرجائي من المحايد أن يوفق بين قول المؤلف وقوله.

إن المؤرخين ذكروا أن هرثمة خطط الموصل، ومعنى خطط أي حدد الموصل وهـــذا لا يعني انه لم يبن بها شيئاً، أما (مروان بن محمد) فإنه أول من الحق الموصل بالأمـــصار العظـــام وجعل لها ديواناً مستقلاً، هذا ما قاله المؤرخون عن هرثمة وعن مروان. (سعيد الديوه جي).

رابعاً:

نقد وتقريض كتاب الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل[1] للأب القس رحماني.

هذا الكتاب هو أول كتاب في نوعه، لأن هذه المباني التي نمر بها كل يوم ونراها ترتفع بمناراتها وقببها نكاد لا نعرف عنها إلاّ النزر القليل، مستنداً أغلبه على ما ينقله هذا وذاك في روايات مشوشة غير مرتبط بعضها ببعض.

فيشكر أحمد الصوفي الذي أكبّ على درس فعالها وآثارها، وقاس أبعادهـــا بالـــضبط، وأخذ صورها الشمسية ووصفها وصفاً دقيقاً علمياً.

وهذه الطريقة هي الطريقة العلمية العصرية التي عليها يعتمد الأوربيون في مباحثهم عن الآثار القديمة والتي يسلكها علماؤهم عندما يريدون أن يستقصوا آثار معهد قـــديم، فقـــد قرأت كتباً جمة من هذا القبيل عن الآثار اليونانية في أثينا والرومانية في روما وغاليا(فرنـــسا الحالية).

---

[1] نشرت في جريدة النضال الموصلية كما نوه في مقالات الكتّاب وفي فترة الأربعينات ولم أعثر علـــى الصحيفة المذكورة.

ولذا لا يسعنا إلاّ أن نشكر الأستاذ احمد الصوفي على جهوده في هذا المضمار الــذي فتحه للباحثين عن هذه الآثار، وان نقدر مساعيه في هذا الباب. فكم من معهــد قــديم في حدبائنا لمست آثاره أو كادت أخرجه المؤلف من قبره، وأحياه أمامنا ودلّنا علــى مركــزه والتطورات التي طرأت عليه على ممر السنين ومختلف الإحتلالات التي انتابت الموصل.

أما غاية المؤلف وهدفه الأول فلم يمكن على ما أظن (وقد تصفحت الكتاب مليــاً) أن يكتب لنا تاريخاً مفصلاً عن الموصل، أجل إنه نظراً لموضوعه اضطر احياناً أن يعطينــا لمحــة تاريخية عن الموصل في العصر الفلاني أو الفلاني، ولكنه لم يدّ ع أبداً أنــه ســيتحفنا بتــاريخ مفصل عن الموصل، وأظنه لو شاء ذلك لما كان قاصراً، لما قد حصله من المعلومات التاريخية، وما أضاف إليه أثناء ما استخدمته حكومتنا الرشيدة في دائرة الآثار القديمة فجال في أطراف الموصل جولات علمية وبحث مباحث دقيقة عن كل أثر من آثارها...

ومما يزيد شكراننا للأستاذ المذكور اهتمامه الخاص بالوجهة العربية في الموصل، فانه ترك لغيره من الأوربيين أو غير الأوربيين البحث عن الآثار غير العربية، فقد كتبوا فيها كثيراً، أما هو فقد وجه أفكاره وسعيه الى الآثار العربية التي قلما ذكرها غيره. على أنه مع كل ذلــك لك يكتف بالتدقيق عن الآثار في معاهدها لكنه نقب عن الكتب التي ذكرتها والمؤلفين الذين أتوا على شيء من هذه المباحث. ويظهر من كتابه أنه زار مكاتب عديدة زيارات طويلــة، واكبّ على قراءة كل كتاب له تماس مع البحث الذي يريد أن يوضحه في كتابه.

وهذه المصادر التي سردها المؤلف في مقدمة كتابه _ كما يصنع المنقبون العلماء_ تبلغ الستة والعشرين مصدراً، وكلها مصادر تاريخية جليلة مثل ابن الأثير الذي عاش في الموصل واطلع على كل آثارها ودونها بتدقيق، فلا يمكننا ان نطلب من المؤلف أن يأتينا بأحسن مــن هذه المصادر سيما وأن الآثار التي يكلمنا عنها هي التي تتكلم عن نفسها.

ومن جملة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف كتابان: (منــهل الأوليــاء) و (الإنتــصار للأولياء) وقد أردت أن أعرف ما يحوي هذان الكتابان من مباحث لها علاقة بما كتبه المؤلف من الآثار العربية الإسلامية في الموصل، فوجدت الأول منهما غرضه الأصلي (ترجمة من هو

مدفون في الموصل وجوارها من الأنبياء والأئمة والمشائخ والعلماء، ويتقدم ذلك معلومات عن الموصل وتاريخها وتراجم مشاهير علمائها) فلم تكن أول غاية صاحب هذا الكتاب أن يذكر الآثار التي هي جل غاية الأستاذ الصوفي، فالصوفي في واد وصاحب منهل الأولياء في واد.

أما الثاني وهو (الإنتصار للأولياء) فرتب على خمسة عشر باباً منها مباحث دينية لا غير، والقسم الآخر يبحث مسائل شرعية وصوفية وأخلاقية، مثلاً: (في حقوق المسلم والأقارب والرحم والوالدين والولد والمملوك والأخوة والصحة والزوجة والزوج..) فأين الآثار التاريخية من الأبحاث؟. ومع ذلك فالأستاذ الصوفي لم يغمط هذين المؤلفين بقدر ما لهما تماس بموضوعه ولذا ذكرهما بين المصادر، وروى عنهما ما كان له علاقة بموضوعه.

بقي أن نلمح الى المصدر الحديث وهو كتاب (مخطوطات الموصل) للدكتور العالم الجلبي، أن الأستاذ الصوفي اعتمد في عدة مباحث على هذا الكتاب من الوجهة التاريخية نظراً الى ما للمؤلف المدقق الدكتور الجلبي من مكانة علمية في الشرق وحتى في الغرب عند المستشرقين، فالأخذ من مصدر كهذا لا يكسب الكتاب إلاّ فخراً، ويكسوه صبغة علمية متينة. أما هذا الكتاب مقتصر عن بحث للآثار، فلا أظن مؤلفه العالم يقبل ذلك لأن اسمه ظاهر ومباحثه بيّنة، فهو أوسع من أن ينحصر في الآثار العربية الإسلامية، وعليه نرى أن هذا الكتاب رغم ما قيل أو سيقال هو الأول في نوعه من وجهة الآثار. على أننا لا نريد أن نمدح الكتاب مدحاً أعمى لا يميز الغث والسمين، فان هناك نواقص يقرّ بها المؤلف نفسه، ومنها ما لم يكن في الإمكان تلافيها نظراً الى قلة الوسائط ونزر المكاتب عندنا التي تحوي مباحث متعلقة بالآثار العربية بالموصل.

أجل كنّا نود أن يكون كلامه عن بعض المباني أوضح ووصفه أدق، ولكن لا ننسى أنه أول من قام بهذه المباحث ولم يكن لديه مساعد لكي يستطيع أن يعتمد عليه في كثير من الأوصاف، ولا يمكنه أزاء أثر بالٍ أو على وشك البلاء أن يكلمنا بالتفصيل والتدقيق عن

أصله وشكله الأول، وما طرأ عليه من تبديل، فكل ذلك يحتاج الى كتب قديمة تذكر هـذا الأثر في أطواره المختلفة قبل أن يصل الى الحالة الحاضرة.

الحق يقال: إنني عندما باشرت في قراءة هذا الكتاب لم أتمكن من الوقوف حتى أتيت على آخره شأني في ذلك شأن من يقرأ رواية ملذة فيريد أن يرى خاتمة عقدها فهو لا يقف في قراءته.

لا شك أن المؤلف سوف يصلح كثيراً من هذه النواقص في طبعته الثانية التي أتمنى أن تأتي سريعاً إذ إني على يقين من أن هذه الطبعة الأولى ستنفذ قريباً، كيف لا ونحن وسط هذه الآثار ولا يروق لنا إلاّ أن نعرف شيئاً عن ماضيها، فمن له رغبة في معرفة آثار مدينة يتقبل الى قراءة هذا السفر الثمين. (الأب رحماني دكتور في الفلسفة).

خامساً:

وقد كتبت أنا أيضاً على الكتاب المذكور خمس مقارت نشرها في جريدة الرقيب، وبدأ النشر في 6 ربيع الثاني سنة 1359/ 13 أيار 1940، العدد 203 بالعنوان التالي:

(كتاب المباني والآثار الإسلامية في الموصل وما دار حوله من نقد وتقريظ).

ظهر حديثاً في عالم المطبوعات كتاب قيم كبير النفع في الآثار العربية الإسلامية الموصلية لحضرة صديقنا المفضال السيد احمد الصوفي مدرس التاريخ في المدرسة المتوسطة الشرقية في الموصل، عنونه: بـ (الآثار والمباني العربية الإسلامية في الموصل). وقد شغل هـذا الكتاب حيزاً كبيراً، وسد فراغاً بعيد المدى من هذه الناحية التاريخية الأثرية كنا نود منذ أمد رؤية كتاب مثله في بابه نظراً لحاجتنا الماسة الى الإطلاع على تاريخ بلدتنا (الموصل) وآثارها.

والكتاب لا يحتاج الى تقديم الى قرائه ولا الى تعريفهم بمؤلفه الفاضل، فالكتاب نفسه أعظم شاهد ناطق بفضل مؤلفه، وأكبر دليل على ما بذله فيه من متاعب ومشاق عاناها في تحري هاتيك الآثار في أخذ صورها الشمسية وفي قراءة المنطمس من آثار كتاباتها، وفي

البحث والتنقيب في بطون الكتب التاريخية المعتبرة عما جاء في صحائفها عن الآثار الإسلامية الموصلية. ما يشهد لحضرته أنه أقام صرح كتابه بألقابه، شكر الله سعيه ووفقه لخدمة العلم.

وقد نقد هذا الكتاب وقرظه على صفحات الجرائد المحلية كلّ من السيدين الفاضلين: السيد سعيد الديوه جي والقس الأب رحماني، أما الأول فقد ناقش بعض عبارات الكتاب _مما رآها تستحق المناقشة على رأيه_ العبارة تلو الأخرى بكل صراحة، وأما الثاني فقد نقده وقرظه بصورة مجملة.

وقد ردّ على الأستاذ الديوه جي أحد أفاضل الكتاب في جريدة الرقيب الموصلية الغراء بتوقيع (محايد). وقد كنت أنا وكثير من المعجبين بهذا الكتاب النفيس نقرأ بتدبر وإمعان كل ما يدور حوله من نقد وتقريظ. وقد رغبت أنا أيضاً في أن أساهم في الكلام عن الكتاب كما تكلم عنه هؤلاء الأفاضل، وأن أبدي رأيي فيما قيل فيه سواء كان القول له أو عليه. لأن إعجابي بالكتاب، وتقديري فضل صاحبه واحترامي لآراء الناقدين الفاضلين والمحايد المحترم، كل ذلك لا يمنعني من إظهار ما أكنّه من رأي يوافق أو يخالف ما ارتأوه _إذ النقد كما هو معلوم_ متى كان لوجه العلم أو كان كشفاً للقناع عن وجه الحق والحقيقة كان مطلوباً بل مفيداً، على أن كثيراً ما قد قيل: إن نقد الكتاب دليل على أهميته، فأقول:

(مصادر الكتاب، وما قيل فيها)

قال الأستاذ الديوه جي في نقده: (إن البحث في الآثار العربية يتطلب جهوداً كبيرة ومصادر متعددة ولكن الأستاذ الصوفي اقتصر في بحثه على أربعة وعشرين مصدراً).

ولدى مراجعة المصادر التي استقلها حضرته، وجدتها قد بلغت ستة وعشرين مصدراً، ذكر المؤلف منها أربعة وعشرين مصدراً وترك مصدرين اثنين أحدهما مروج الذهب للمسعودي وثانيهما الغيث المنسجم في شرح لامية العجم لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، لم أدر هل المؤلف والناقد أغلاهما أم تغافلاهما؟ وعلى كل ألا يرى حضرة الناقد أن هذه الستة والعشرين مصدراً كافية لمثل هذا الكتاب الذي يحتوي ثمانية عشر أثراً، والذي أغناه مؤلفه بأبحاثه وتتبعاته الخاصة وبرسومه ونقوشه وكتاباته الأثرية عن كثرة المصادر والنقول؟.

أما الكتب الثلاثة التي قال الناقد في رده على (المحايد) إن المؤلف قد أغفلها، وهي تاريخ الأتابكة لابن الأثير، ومخطوطات الموصل للمسيو سيوفي، وتاريخ أبي زكريا الأزدي، فالذي أظنه أنه يجوز أن يكون المؤلف قد اكتفى بما نقله من المصادر، ولم يشأ أن يصدر كتابه أكبر حجماً مما هو عليه الآن، لذلك لم يبحث عنها لينقل منها، على أننا نظن أيضاً أن تاريخ الأتابكة قد أدمجه مؤلفه في (كامله) فاستغنى بالكامل عنه، وأن الكتابين الآخرين غير مطبوعين لذلك لم يتيسر للمؤلف الإطلاع عليهما. والناقد الفاضل لم يشر الى محال وجود هذه الكتب الثلاثة.

ومما يستلفت النظر قول حضرته أيضاً بعد أن استقل مصادر الكتاب: (كما أن الكثير من هذه المصادر لا يمكن أن تكون مصادر أولية لمثل هذا البحث فالأخذ منها لا يأتي بنتيجة مطلوبة). قال هذا مع أن أكثر مصادر الكتاب منقول عن ثقات المؤرخين الذين عاش أكثرهم في العصر العباسي أو بعده بقليل، والأخذ بأقوال أمثال هؤلاء الثقات مصادر أولية للكتاب بدون ريبة. فاذا كان ابن الأثير الذي عاش في الموصل، وابن جبير وابن بطوطة اللذان شاهداها بنفسيهما، وابن خلدون والحموي والمسعودي وابن خلكان الذين عاشوا في العصر العباسي وشاهدوا آثاره وآثار الأمويين، وذلك لقرب عهدهم منها، لا يمكن أن تكون أقوالهم مصادر أولية للكتاب والأخذ عنهم لا يأتي بنتيجة مطلوبة فمن هم المؤرخون الذين يجب على المؤلف أن يأخذ بأقوالهم ويعتمد على آرائهم؟.

نعم، انا لا أنكر أن بعض مصادر الكتاب مؤلفة حديثاً ولكن الكتب الحديثة التأليف إذا نقلت بأمانة من أقوال المؤرخين ما يصح أن يكون مصدراً أولياً كانت نقولها معتبرة، ولا يضرها حداثتها، إذ الشاعر يقول:

قُلْ لِمَنْ لا يَرَى الأَوَاخِرَ شَيْئاً وَيَرَى لِلأَوَائِلِ التَّقْدِيْمَا
إِنَّ ذَاكَ القَدِيْمَ كَانَ حَدِيْثاً وَسَيَبْقَى هَذَا الحَدِيْثُ قَدِيْمَا

ويقول الناقد في رده على المحايد أيضاً: (وهذا الكتاب _كتاب المباني والآثار الإسلامية_ هو عالة على كتاب (مخطوطات الموصل) للدكتور الجلبي، إذ لو رفعنا منه ما قاله الدكتور الجلبي فأي قيمة علمية تبقى للكتاب؟. أقول هذا وأطلب الجواب من المحايد).

والجواب (بالنيابة عن المحايد طبعاً): إنني أناشد حضرته، هل قال هذا وهو يعتقده؟ وهل كتب هذه وهو مطمئن واثق بصحة ما كتبه؟. ثم أليس ما نقله المؤلف من مخطوطات الموصل لا يبلغ أكثر من أربع أو خمس صفحات من كتاب الآثار؟ فكيف أصبح عالة عليه؟. وهل إن جميع مصادر الكتاب ليس لها قيمة علمية إلاّ مصدراً واحداً، وهو كتاب (مخطوطات الموصل)؟. ثم إن هذه النقوش والكتابات والرسوم الأثرية الموجودة في الكتاب والتي هي من أكبر المستندات التاريخية والمرجع المهم للمؤرخين كلها ليس لها قيمة علمية في نظره؟.

أرجو من حضرته الإجابة على هذا كما قد طلب هو الإجابة من المحايد[1].

(هل مَن ألّف غير الأستاذ الصوفي في موضوع كتابه؟)

يقول الأستاذ المؤلف: (ولسوء الحظ ليس للموصل مؤلف خاص بها يدلنا على آثارها)، ويقول الأستاذ الديوه جي : (وإن هذا الكتاب ليس بأول كتاب يتناول الآثار العربية في الموصل).

وإننا نعتقد أن المؤلف إنما نفى وجود كتاب ككتابه خاص بموضوع آثار الموصل ومبانيها وإلاّ فهو لا يجحد البتة وجود كتب تبحث في هذه الآثار عرضاً، وكيف ينكرها وهو قد نقل عنها وعدّدها في مصادر كتابه؟ وهاهو يصرح بذلك ويقول: (لذا شرعت بجمع شتات ما صادفته من الأخبار المدونة في بطون الكتب عن المباني العربية الإسلامية الخ). وعليه لا ترد عليه عبارة الناقد المارة الذكر، ولا قوله بعدها: (إن المتقدمين قد ألفوا كتباَ في هذا) لأنهم لم يؤلفوا في الآثار الإسلامية العربية الموصلية كتباً خاصة بها.

[1] انتهاء الحلقة الأولى من المقال.

وأما الكتابان اللذان أوردهما الناقد، وهما (الإنتصار للأولياء الأخيار) و (منهل الأولياء ومورد الأصفياء في سادات الموصل الحدباء) اللذان جاء فيهما شيء قليل عن الآثار العربية الموصلية عرضاً، مستدلاً بهما على وجود كتب في آثار الموصل، فمما لا نوافق حضرته على إيرادهما، لأنهما يردان لو كان أسماهما كما يلي:

1. الإنتصار لما في الموصل من المباني الإسلامية والآثار.
2. منهل الأولياء في مباني وآثار الموصل الحدباء.

ومالنا نذهب الى هذا؟ والأستاذ الناقد يقول: (إن كتاب منهل الأولياء يبحث في الثلث الأول عن الموصل منذ الفتح، وفي الثلث الثاني عن تراجم من اشتهر من الموصليين، وفي الثلث الثالث عن الأنبياء والأولياء، وبعد أن ترجم لهم ذكر مقاماتهم) وهذا اعتراف منه بالحقيقة الجاهرة، وهي أن ما جاء في منهل الأولياء من وصف المقامات كان قليلاً جداً ساقه مؤلفه العمري في تراجم الأنبياء والأولياء عرضاً لا أن كتابه مؤلف في الآثار الإسلامية العربية في الموصل، ثم هل يسوغ لنا أن نقول إن كل كتاب جاء فيه ذكر أثر إسلامي موصلي عرضاً: إنه مؤلف في الآثار الإسلامية العربية الموصلية؟ وكيف يسوغ لنا هذا؟ والمثل يقول: (الكتاب يعرف من عنوانه)، وليس من المعقول أن يضع المؤلفون لكتبهم أسماء لا تدل على مسمياتها.

ومن الغريب أن الأستاذ الناقد عندما كتب رده على (المحايد) في جريدة الرقيب الغراء أصر على ورود منهل الأولياء على عبارة الأستاذ الصوفي وتناسى كتاب الإنتصار الذي أورده في نقده فلم ينتصر له. والأغرب من هذا أن حضرته قد اعتبر نفي الأستاذ المؤلف وجود كتاب خاص بموضوع كتابه إنكاراً من المؤلف لفضل مؤلفي هذين الكتابين (منهل الأولياء والإنتصار) وقد استغرب من الأستاذ المؤلف هذا الإنكار المزعوم فاستفهم استفهاماً إنكارياً يدل على شدة تأثره من هذا الإنكار فقال: (فكيف أنكر فضل هذين المؤلفين الفاضلين؟).

أما أنا فلا أدري، متى وأين وكيف، أنكر المؤلف فضلهما، بل بالعكس إنه اعترف بفضلهما باقتباسه من أقوالهما وبعدّه كتابيهما في مصادر كتابه.

وقد يعدّ مستحسناً أن أستطرد البحث فأخرج عن الموضوع قليلاً لأنوّه بذكر اسم مؤلف كتاب الإنتصار الذي لم يذكر الأستاذ الصوفي اسمه، وكان الأولى به ذكره، ليطمئن الأستاذ الناقد من هذه الناحية وليعلم هو وغيره أن هذين المؤلفين الفاضلين لا يجرأ أحد على إنكار فضلهما فأقول:

إن مؤلف كتاب الإنتصار، هو العلامة الشيخ يوسف بن الملا عبد الجليل الموصلي الكردي أحد المشائخ القادرية في الموصل، له عدة مؤلفات منها، منهل الإستشفا بأحاديث المصطفى، وكتاب الإنتصار هذا، وغيرهما، وهو أخو الشيخ الجليل والعلامة الكبير مؤلف كتاب تذكرة الألباب ونصيحة الأحباب الحاج محمود بن الملا عبد الجليل المدفون في مسجده في محلة (عبدو خوب وهي كلمة فارسية ترجمتها: العبد الصالح). بالموصل.



الرخامة على باب المسجد سنة 2007

وعن الشيخ محمود هذا قد أخذ الطريقة القادرية حضرة الشيخ السيد نور الدين بـــن السيد عبد الجبار البرفكي الكبير شيخ المشائخ القادرية في الموصل. وترجمة الحاج محمود هذا مذكورة في شرح قصيدة تلميذه الشيخ نور الدين المشار إليه آنفاً التي نظمها في أسماء رجال السلسلة القادرية وأرسلها لمريده محمد أفندي كاتب ديوان الإنشاء في الموصـــل[1] والـــتي مطلعها:

مُحَمَّدَ أَفَنْديْ هَاكَ نَظْمــاً مُسَلْــسَلا لأَسْمَاِ أَقْمَارٍ سَمَـــــــوْا فُلَكَ العُلا

وشرح هذه القصيدة كتاب مخطوط نفيس لعلامة الموصل في عصره المؤلــف الكــبير الشيخ الحسن الحبار الموصلي تغمدهم الله جميعاً برحمته.

هذا هو مؤلف كتاب الإنتصار[2] وأما مؤلف منهل الأولياء العلامة المؤلف الشيخ محمد أمين بن خير الله العمري الخطيب الموصلي، فهو اشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرّف، وعليه فأنا أعظم وأشد إنكاراً من المؤلف الصوفي نفسه في إنكاره إنكار فضل هذين المؤلفين الفاضلين.

(ما قيل في منشأ الموصل وتأسيسها)

وقال حضرة الناقد: (ومما يؤخذ عليه أنه لم يذكر عن أول منـــشأ الموصـــل إلاّ بـــضعة أسطر) وحضرته يعلم أن الكتاب مؤلف في آثار الموصل لا في تاريخها العام، وما كتبه المؤلف عن غير الآثار إنما دعته إليه المناسبة والعلاقة، فاذا أردنا من المؤلف أن يكتب لنا كتابة مطولة عن كل ما تدعوه المناسبة الى ذكره لخرج بالكتاب عن موضوعه أو لأصبح الكـــلام عـــن الآثار العربية قليلاً بالنسبة الى ما تقتضيه المناسبة من كثرة الأبحاث.

---

[1] انظر كتابنا تراجم القراء ص110 الهامش رقم 2؛ احمد، سالم، فهرس مخطوطات اوقاف الموصل ج7 ص251.

[2] للمزيد انظر كتابنا تراجم القراء ص107ـــ112.

وقال أيضاً: (إن المؤلف لما تكلم عن تأسيس مدينة الموصل ذكر عدة روايات مشوشة غير متجانسة لا علاقة لها بالتأسيس، منها ما يتعلق بالفتح، وأخرى فيما كانت تدفعه زمن المعتصم، وثالثة عن سبب تسميتها بالموصل..) الى أن قال: (فان هذه الروايات ليس لها علاقة بالتأسيس مطلقاً).

أما ما يتعلق بالفتح، فانه ذكر أن أول من خطط الموصل وأسس بنيانها وسكنها هم العرب الفاتحون، ولا شك أن ذكر المؤسسين الفاتحين ضروري في باب التأسيس. وأما سبب التسمية، فنرى ذكره ضرورياً في باب التأسيس أيضاً، لأنه ماذا يريد من المؤلف؟ أيريده أن يذكر المؤسسة (الموصل) ولا يريد أن يذكر اسمها؟ وإن أباح له ذكره؟ أليس من الضروري ذكر سبب تسميتها بما سميت به؟. وأما ما كانت تدفعه من الخراج أيام المعتصم والمتوكل كدليل على زيادة اتساعها في عهدهما، لأن كثرة الخراج دليل على كثرة العمران والاتساع.

فهل ذكر اتساع مؤسسة ما، والاستدلال على كثرة عمرانها بكثرة ما يجبى منها لا علاقة له بتلكم المؤسسة التي طفق المؤلف يشرح لنا أحوالها منذ بدء تأسيسها وتخطيطها الى أيام ازدهارها بسعة عمرانها وكثرة جبايتها؟[1].

ويقول الناقد أيضاً: {وذكر المؤلف أن هرثمة أول من اختط مدينة الموصل، ولكنه أعقب هذه الرواية برواية أخرى نقلها عن مختصر البلدان: (إن مدينة الموصل بناها محمد بن مروان..) وإنه بهذا نقض قوله الأول}.

الحق إن هذين القولين (الناقض والمنقوض على رأي الناقد) لم يقلها المؤلف، ليكون قوله الأول منقوضاً بقوله الثاني، ولكنهما عبارتان نقلهما، الاولى عن كتاب البلدان، والثانية عن مختصر البلدان، وهما على هذا روايتان لا أراهما متناقضتين، لأن الرواية الاولى تقول: (إن هرثمة أول من خطط الموصل ومصرها واسكنها العرب) ويؤيدها ما جاء في فتوح البلدان

[1] انتهاء الحلقة الثانية من المقال.

للبلاذري ص327 وص328. والرواية الثانية ناطقة بأن محمد بن مروان (الـــذي كـــان والي الموصل والجزيرة وارمينية وأذربيجان أيام أخيه عبد الملك) قد بناها أي وسع بنيانها بعـــد أن أسسها وبنى فيها هرثمة، وصاحب هذه الرواية لم يقل إن محمداً أول من خططها ومـــصرها، فأي تناقض _ بعد أن شرحنا ما فهمناه من هاتين الروايتين _ بينهما.

والناقد نفسه قد اعترف في نقده أن الرواية الثانية قد ذكرها كثير من المؤرخين، ولكنه يقول: (إنها محرفة عن عبارة مغلوطة ذكرها كثير من المؤرخين، وهي إن الذي الحق الموصـــل بالأمصار العظيمة هو مروان بن محمد لا محمد بن مروان). قال هذا القول غـــير معـــزوّ الى مصدر تاريخي، وإنما عزاه الى (كثير من المؤرخين) ولم يذكر لنا مِن هؤلاء الكثيرين أحـــداً. ونحن لا نعلم أحداً قال بذلك منهم على كثرتهم على قول الأستاذ الناقـــد إلاّ الحمـــوي في معجم البلدان، ولكن كيف بحضرة الأستاذ، لو قيل: إن الأمر بالعكس _ أي أن محمداً هو الذي ألحقها بالأمصار العظيمة، لا مروان _ وإن التحريف إنما جرى على عبارة يـــاقوت لا على رواية صاحب مختصر البلدان _ لأننا لم مؤرخاً عدا ياقوت ذكر لمروان بناية في الموصل إلاّ قصره الذي شيده على دجلة، والجسر الذي أقامه عليه، ولكن، لا، يجب علينا ها هنا أن نتريث لأن الأستاذ الناقد لم يلق كلامه هذا جزافاً، ولابد أنه _خدمة للتاريخ وحباً بالحقيقة المعشوقة _ سيفيدنا بالإطلاع على ما سيذكره لنا من نصوص هؤلاء المؤرخين الكـــثيرين في هذا الشأن.

ثم اعقب الناقد ذلك بقوله: (ونشاهد مثل هذا الإرتباك في فتح الموصل، فان المؤلف لم يعتمد على الروايات الموثوق بها ويقتصر عليها في بحثه الخ ..)مع أن ذكر الروايات الموثوق بها مع إغفال غيرها من الروايات ليس بمحتم على أرباب التأليف، والإختلاف بين المؤرخين في فتح الموصل وفي أسماء فاتحيها وتعيين زمن الفتح كثير أورده الفاضـــل القـــس ســـليمان الصائغ في تاريخ الموصل (ج1 ص59) وبيّن أسبابه. على أن ذكر الروايات المتعددة لا يخلو من فائدة، لأنها تفيد القاريء توسعاً في الموضع وتحيطه علماً بكل ما قيل فيه من غث وسمين، وهذه الكتب التاريخية والدينية وغيرها طافحة بمختلف الروايات والأقـــوال، ودعـــوى أن

طريقة ذكر الآراء المختلفة في بحث تاريخي خاص بمن يكتب المجلدات عن موضوع واحد _كما قال الناقد في رده_ دعوى لا اعلم لها برهاناً ولا دليلاً، كما إنني لا أعلم من اشترط هذا الشرط على المؤلفين، هذا الشرط الذي كله حرج وحجر على المؤلفين الأفاضل وعلى أقلامهم، ثم من الذي حرّم ذكر روايتين أو ثلاث _ كما فعل المؤلف_ في بحث تاريخي على مؤلفي الكتب المختصرة وأباحها لأرباب الأسفار المطولة؟ الحق، إن هذا تشريع جائر غير مرغوب فيه، وأنكر الأستاذ الناقد على المؤلف بقوله: (إن أول قبيلة عربية سكنت الموصل هي الخزرج)، وقال: (إنما سكنتها أولاًك الأزد وطيء وكندة الخ...).

ونحن لا نرى وجهاً لهذا الإنكار، إذ لو تأمل حضرته بعض التأمل واستعمل ذاكرته قليلاً لرأى أنه أيد المؤلف بقوله هذا، وأثبت صحة مدعاه، ذلك لأن القبيلة الخزرجية هي فخذ من بطون الأزد الذين قال عنهم حضرته إنهم أول من سكن الموصل (راجع تاريخ الموصل ج1 ص51). وقال المقدادي في تاريخ الأمة: (نزحت من اليمن قبائل قحطانية أقامت في أطراف يثرب منها قبيلتان من بني الأزد، وهما الأوس والخزرج ص26 الطبعة المنقحة).

وها أنذا أسوق لك نسب الخزرج (جد القبيلة الخزرجية) نقلاً عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج1 ص175 فأقول: قال الخطيب: (الخزرج هو ابن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد). وعليه فقد انتهت المسألة هذه على هذا الشكل الذي أوردنا لك تحقيقه، وكفى الله الأخوين الجدال، وأما الساقية التي أنكر الناقد وجودها، والتي فهم الأستاذ المؤلف من كلام ابن جبير ومن تحقيقاته الشخصية أنها كانت تمر بالجامع الأموي ومنه بالجامع الكبير، فلا مانع عقلياً أو نقلياً يدعو الى إنكارها بعد أن ثبت لدى المؤلف وجودها بما قام به من تحقيقاته الشخصية، وأما فهم وجودها من كلام إبن جبير فذلك مما لا أكاد أفهمه.

وإنا لفي شك مريب من مرورها بجامع (الربض) (الجامع الأحمر) لما بين الجامعين المذكورين من البعد ولأنه كما قال ابن جبير _وكما هو مشاهد الآن_ قد ركب متن دجلة، فلا حاجة به الى هذه الساقية، وذلك لقول أبي الطيب المتنبي: (ومن ركب البحر استقل

السواقيا). على أن انسياب ماء جامع الأمويين المذكور في ساقية أو قنوات الى الجامع الأحمر الذي قد شككنا فيه لم ينفرد الأستاذ الصوفي بذكره بل سبقه الى القول بذلك القس الفاضل سليمان الصائغ في تاريخ الموصل ج1 ص219 فراجعه إن شئت[1].

وجحد الأستاذ الناقد وجود مدرسة الحر الأموي التي ذكر الأستاذ المؤلف أنها بنيت بجانب المنقوشة، وقال: (إنما استند المؤلف على وجودها بما ذكره الأمير علي في كتابه (مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي)، وهو مصدر لا يعتمد عليه ما لم يؤيده مصدر أولي). ونحن لا نشك في أن هذه المدرسة لم يذكرها أحد من مؤرخي العرب، غير أنه يجوز أن يكون الأمير علي المذكور قد سمى مسجد الحر (مدرسة) لأنه نقل كلامه هذا عن الافرنج، وهؤلاء ربما يعنون مدارس المساجد.

وقد رأيناه يصرح بمثل هذا في كتابه المذكور حيث يقول: (إن العرب أسسوا المدارس في قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة ومالطة وغيرها، وها هو المقري في نفح الطيب ج1 ص104 يقول: (وليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد). وقد وفق بين عبارتيهما وجمع بين كلاميهما جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي ج3 ص197 قائلاً: (إن الأمير علياً المذكور نقل كلامه عن الافرنج الذين يعنون مدارس المساجد). واتخاذ المساجد مدارس قديم معروف، فان الرسول الأعظم والمعلم الأكبر عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كان قد اتخذ المسجد للدراسة منذ بدء الإسلام، ففي البخاري عن أبي واقد الليثي (في باب العلم) قال: (بينا رسول الله r جالس في المسجد اذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل إثنان الى رسول الله r فوقفا على رسول الله r فرأى فرجة في الحلقة فجلس، وجلس الآخر خلفهم..) الخ.

وفي إحياء علو م الدين للغزالي في (باب العلم) حديث عشرة من الصحابة قالوا: كنا نتدارس العلم في مسجد قباء فخرج علينا رسول الله r فقال: (تعلموا ما شئتم أن

---

[1] انتهاء الحلقة الثالثة من المقال.

تعلّموا فلن يؤجركم الله حتى تعملوا). ويذكر ابن خلكان أن ربيعة الرأي كـــان يجلـــس في مسجد رسول الله r في المدينة ويجلس في حلقته مالك بن أنس وغيره. وجـــاء في ضـــحى الإسلام أن المساجد في صدر الإسلام لم تكن للعبادة وحدها بل كانت أكبر معهد للدراسة، فكان مسجد عمرو في مصر، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة ومسجد الحرم المدني والحرم المكي، وغيرها من المساجد تقوم مقام المدارس والجامعات في هذا العصر.

ثم إن المسلمين حذراً من التشويش على المصلين في المساجد بسبب الدروس وإلقائهـــا أنشؤا أخيراً مدارس في أفنية المساجد وفي محال أخرى منعزلة عن محل صلواتهم فيها، كمـــا نرى حتى الآن في كثير من المساجد والجوامع في الموصل وغيرها من البلاد الإسلامية، قـــال المقدادي في تاريخ الأمة: (إنه كان في كل مسجد مدرسة صغيرة أو كبيرة). وقال وستفيلد الألماني في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) إنه كان في كل الجوامع مـــدارس ابتدائيـــة في الصدر الأول تعلم مباديء القراءة والكتابة والقرآن والنحو، ثم شيد الخلفـــاء مـــدارس في بغداد والبصرة وبخارى ودمشق وسمرقند (المقتطف ج28 ص632).

وقد أنشأ أبو العتاهية قصيدة طويلة ذكر فيها الدراسة في المسجد نقتبس منها ما يلي:

وَغُرْفَـــــةٌ ضَيِّـــــقَةٌ نَفْـــسُكَ فِيْـــهَا خَالِيَـــهْ

أَوْ مَـــسْجِـدٌ بِمَعْـــزِلٍ عَـــنِ الــوَرَىْ فِيْ نَاحِيَـــهْ

تَـــدْرُسُ فِيْـــهَا دَفْتَـــراً مُـــسْتَـنِداً بِـــسَارِيَهْ

خَيْـــرٌ مِـــنَ الـــسَّاعَاتِ فِيْ فَـــيءِ القُـــصُوْرِ العَالِيَـــهْ

اذا علمت هذا، وثبت لديك أن المساجد كانت مدارس منذ زمن المعلم الأكبر عليـــه الصلاة والسلام، ثم أنشئت المدارس في المساجد قديماً وحديثاً، فلا مانع إذن مـــن تـــسمية مسجد الحر الأموي مدرسة، أو من أن الحر شيد مدرسة في المسجد أو بجانبه، هذا، وقـــد كان للمسلمين معاهد أخرى غير المساجد وهي (الكتاتيب)، وكانت شائعة معروفة من عهد بني أمية، وهاك بعض ما عثرنا عليه من النصوص التي تؤيد ذلك:

قال ابن قتيبة: (ومن المعلمين علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة، كان يروي عنه مالك بن أنس، وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض. المعارف ص185). وقال ابن خلكان في ترجمة أبي مسلم الخراساني: (إنه_ أبا مسلم _ نشأ عند عيسى بن معقل، فلما ترعرع اختلف هو ووالده الى المكتب، وكان ذلك في العصر الأموي بالضرورة). وفي البيان والتبيين للجاحظ أخبار كثيرة عن المعلمين والمكاتب بل له كتاب (المعلمين) الذي جاء فيه ذكر المكاتب والكتاتيب كثيراً، وقد بقيت هذه الكتاتيب الى العصر العباسي الأول وشاع أمرها. وقد جاء أن الخليفة المأمون العباسي تعلم فيها، وقد ذكر الإمام الشافعي عليه الرحمة أن أمه ذهبت به الى الكتاتيب ودرس فيها. وقد جاء في الأغاني أن إبراهيم الموصلي أسلم الى الكتّاب فكان لا يتعلم شيئاً، ولا يزال يضرب ويحبس الى أن هرب الى الموصل، وهناك تعلم الغناء، ومنه يفهم أنه كان في كتاتيب ذلك العصر ضرب وحبس.

وفي ديوان أبي نؤاس قصيدة صور فيها الضرب في الكتاتيب، مما يدل على أنها كانت موجودة في زمنه، نقلها العلامة احمد أمين في كتابه ضحى الإسلام ج2 ص51.

إذن، أفلا يجوز ايضاً أن تكون مدرسة الحر الأموي من هذا النوع من الكتاتيب؟ ثم ألا يسوغ لنا أن نسمي هذه الكتاتيب مع جواز أن تكون مدرسة الحر فيها (مدارس) ولو بالمعنى اللغوي على الأقل؟ لأن (الدرس) مكان الدراسة، ومما لا مرية فيه أن هذه الكتاتيب كانت تشاد للدراسة خصيصة.

وبنى الأستاذ الناقد إنكار وجود مدرسة الحر على أن المدارس لم تكن معروفة في القرن الأول الهجري عند المسلمين، مع أن عدم معرفتها في ذلك العهد لا يدل على عدم وجودها، لأن الشيء قد يكون موجوداً وهو غير معروف، ولأن بعض علماء التاريخ من المسلمين وغيرهم ذهبوا الى وجودها في ذلك العهد، ودونك البرهان:

قال المقريزي في خططه: (إن عبد الله بن مكتوم قدم مهاجراً الى المدينة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما، قيل قدم بعد بدر بيسير، فنزل دار القراء، ودار القراء محل دراستهم. وقال الأستاذ كرد علي: (واختلف الروايات في أول مدرسة عرفت في الإسلام، فردّ قوم

تاريخها الى زمن الأمويين..الخ). وجاء في المقتطف الأغر مجلد 27 ص632: نقلاً عن كثيرين منهم غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): (إن العرب لما دخلــوا دمـــشق كثــرت المدارس في كل مكان، فارتقى العرب من التلمذة الى المشيخة، وزهت العلوم كل الزهـــو). وجاء في تاريخ الأمة العربية للمقدادي ص282 ما نصه: (وكان في زمن بني أمية مـــدارس، كالمدرسة التي كان يعلّم فيها الحجاج بن يوسف الثقفي). وفي ضحى الإسلام ج2 ص51 أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف، لكنني أرجح أن تكون هذه المدارس من نوع الكتاتيب أو من مدارس المساجد. وذلك لما سيمر بك بيانه وتحقيقه عند قول الأســتاذ الناقــد: (إن المدارس أسست في أواسط القرن الخامس الهجري)، في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

فالمدارس إذن سواء كانت مساجد أو في المساجد أوكتاتيب أو مدارس _بنــاء علــى ماذهب إليه بعض المؤرخين_ كانت موجودة في العهد الأموي، ولا مانع مـــن ان تكــون مدرسة الحر الأموي في الموصل من هاتيك المدارس، وعليه فالأمير علي لم يرتكب محظوراً ولم يسلك شططاً في تسمية مدرسة الحر مدرسة[1].

(هل بدء تأسيس المدارس الإسلامية في أواسط القرن الخامس الهجري؟)

وقد أنكر حضرة الأستاذ الناقد وجود مدرسة الحر الأموي، لأن المدارس _ على رأي حضرته تبعاً لرأي بعض المؤرخين _ لم تكن موجودة في القرن الأول الهجري عند المسلمين، وقد بيّنا آنفاً أن هذا لم يرتضه كثير من أساطين التاريخ، وأن الصحيح ما ذهب إليه محققوهم من أنها كانت موجودة فيه، سواء سميناها مدارس _ كما سماها بعضهم بذلك _ أو كتاتيب أو معاهد علم أو مهما كان اسمها، وقد علل الأستاذ مدعاه هذا بقوله: (إن المــدارس إنمــا أسست على عهد نظام الملك وذلك في اواسط القرن الخامس الهجري، ثم أعقب ذلك بقوله أيضاً: (وهذا مشهور لا يحتاج الى نص أو إثبات)، ثم أيد ذلك بنص تاريخي حيث قال: (كما

[1] انتهاء الحلقة الرابعة من المقال.

أن أحد المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وهو مخطوطات الموصل للدكتور الجلبي ص6 يؤيد ذلك.

وإني لأرجو أن يسمح لي حضرته أن اذكّره بما أورده قريباً على مصادر كتاب (الآثار) التي قال عنها: (إن منها غير أولية لمباحثه)، وأسأله هل كتاب المخطوطات هذا _الذي هو من مصادر كتاب الآثار_ يصح أن يكون مصدراً أولياً للمباحث التاريخية لأن سعادة مؤلفه الفاضل من رجال التحقيق التاريخي الثقاة أم لا يصح أن يكون كذلك لأنه من الكتب المؤلفة حديثاً؟ أم نصوصه أولية بالنسبة الى ما يدعيه الناقد وغير أولية بالنسبة الى ما ينقله منها صاحب كتاب الآثار؟.

والذي أرجحه أن الأستاذ الناقد لم يعن هذا الكتاب بقوله الآنف الذكر، وإنما عنى غيره من الكتب الحديثة، فلذلك نقل عنه ما يؤيد به مدعاه، تلك الدعوى التي اعتبرها بديهية لا تحتاج الى نظر ولا إثبات، وهي قوله: إن المدارس (إنما أسست على عهد نظام الملك في أواسط القرن الخامس).

وأنت جد عالم أن الناقد في نقله هذا النص التاريخي عن كتاب المخطوطات المذكور غير مسؤل عن ضعفه وقوته، لأن علماء آداب البحث والمناظرة يقولون: (إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل)، وحضرته قد نقل هذا النص عن كتاب المخطوطات، كما أن سعادة مؤلفه الدكتور المحقق قد عزاه الى ابن خلكان ج1 ص144 بالنص التالي: (إنه _أي نظام الملك_ أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس). غير أن الناقد كثيراً ما أورد على الأستاذ الصوفي أنه ينقل في كتابه الروايات التاريخية غير الموثوق بها، فهل رواية ابن خلكان هذه، هي الرواية الصحيحة الموثوق بها؟

ليعذرني حضرته إن قلت: إنني لا أذهب الى ما ذهب إليه في الاعتماد على هذه الرواية التي أيد بها مدعاه، لأنه إن كان يعني بالمدارس معناها اللغوي (المحل الذي يدرس فيه) فان ما قدمته من الأدلة والنصوص السابقة كافية وكافلة بإثبات وجود المدارس بالمعنى المذكور قبل القرن الخامس الهجري بكثير، وقبل أن يولد نظام الملك وأبوه وجده، وإن أراد بالمدارس

تلك الدور الخاصة المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم، وتدر علـــيهم المعـــاليم والأرزاق، ويتولى تدريسهم وتثقيفهم فيها فئة صالحة من المدرسين والعلماء ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا إليه، فقد ثبت انها _بهذا المعنى أيضاً_ كانت موجودة قبل عهد نظام الملك، وأنه ليس أول من أنشأها.

وقبل أن أشرع في تحقيق هذا أود أن ألفت نظر الأستاذ الناقد الى أن رواية ابن خلكان هذه رواية ضعيفة جداً، قد رد عليها _وعلى الذهبي الذي قال بها أيضاً_ العلامـــة جـــلال الدين السيوطي وتاج الدين السبكي في طبقات الشافعية ج3 ص137 في ترجمة نظام الملـــك المذكور بما فيه مقنع. وما لهما لا يردان على ابن خلكان والذهبي بعد أن أثبتاهما وغيرهما من المؤرخين بالبراهين القاطعة أن من اقدم المدارس الإسلامية المدارس الخراسانية النيـــسابورية (راجع تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ج3 ص194) و (تاريخ آداب اللغة العربية له أيضاً ج2 ص226) و (طبقات السبكي ج3 ص137) و (خطط الشام للعلامة كرد علي ج6 ص67) و(الخطط المقريزية).

وعليه فلو قيل: إن نظام الملك هو أول من اشتهر بإنشاء المدارس في الإسلام إن لم يكن هو أول من بناها لكان ذلك أقرب الى الصواب وأشبه بالحقيقة، قال جرجي زيدان: (ولعل السبب في اشتهار أسبقية نظام الملك في إنشاء المدارس الإسلامية، أنه أول من بنى مدرســـة كبرى في بغداد، وجعل فيها التعليم مجاناً، وفرض لتلامذتها الأرزاق والجواري والمعاليم، على أن نظام الملك لم ينفرد بهذه الجرايات والمعاليم والمدارس، لأن مليكه الذي اســـتوزره وهـــو ألب أرسلان كان اذا رأى رجلاً متميزاً متبحراً في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفـــاً وقرر فيها للفقهاء معاليم وجعل فيها دار كتب (خطط الشام ج6 ص67).

أقول: وبما أن نظام الملك كان وزيراً لألب أرسلان فانه يجوز أن يكون قد اقتدى بمليكه هذا في إنشاء المدارس وإعطاء المعاليم. وجاء في الخطط المقريزية أن أول ما عرف إقامة درس بمعاليم جارية لطائفة من الناس في مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعـــزّ في وزارة ابـــن كلس، وقد توفي العزيز هذا سنة 386هـــ فهو اذن أسبق من نظام الملك في تشييد المـــدارس

وإعطاء المعاليم لمدرسيها. وأنت خبير بأن أشهر مدارس نظام الملك عليه الرحمة هي المدرسة النظامية البغدادية التي افتتحت للطلاب يوم عاشر ذي القعدة سنة 459هـ، أما مدارسه الأخرى التي شيدها في الموصل وجزيرة ابن عمر ونيسابور وهرات فكل تواريخ إنشائها متقاربة.

وهاك بعض ما عثرت عليه من المدارس التي أنشئت قبل مدارس نظام الملك، وقبل أواسط القرن الخامس لتعلم أن اعتماد الأستاذ الناقد على رواية ابن خلكان كان في غير محله، وأن قوله: (وان هذا _اي تأسيس المدارس في اواسط القرن الخامس_ لا يحتاج الى نص أو إثبات) تخالفه النصوص القاطعة. والمدارس التي أنشئت قبل مدارس نظام الملك هي:

1. **المدرسة المأمونية الخراسانية:** أنشأها الخليفة المأمون العباسي، أيام اذ كان والياً في خراسان: قال جرجي زيدان: وقد ذكرها المؤرخون من الافرنج ولم يذكرها احد من مؤرخي العرب، وجاء في تاريخ الأمة العربية للمقدادي ص282: ويذكرون انه كان في زمن المأمون مدارس، حتى انه أمر معلميها أن يعلموا الطلاب القول بخلق القرآن.
2. **بيت الحكمة:** أسسها الرشيد، وتوسعت زمن المأمون حتى صارت مدرسة كبرى، وقال عنها المقدادي أيضاً في تاريخ الأمة ص282: وأشهر الكليات العربية بيت الحكمة، وهي أول كلية عربية لدراسة المواضيع العالية، أسسها الرشيد وتوسعت في خلافة المأمون، الى أن قال: وكان المتخرجون منها يعرفون الهندسة والفلك والمنطق.
3. **مدرسة الصبغي:** شيدها أبو بكر الصبغي المتوفى عام 344هـ/955م وسماها دار السنة(طبقات الشافعية ج2 ص168).
4. **الجامعة الأزهرية:** التي فرغ من بنائها في شهر رمضان سنة 361هـ (النجوم الزاهرة ج4 ص32) والتي كلن الغرض من إنشائها إقامة الشعائر الدينية، وتأييد

مذهب الشيعة العلوية بما كان يلقى فيها من الدروس، قال جرجي زيدان: وهي بلا شك من أقدم المدارس الكبرى في العالم على الإجمال.

5. **دار العلم:** بناها الحاكم بامر الله ابو علي منصور بن العزيز (الذي اغتيل في 27 شوال سنة 411هـ بالقاهرة)، وتسمى ايضاً (دار الحكمة) (المقريزي ج1 ص458) افتتحها الحاكم بأمر الله سنة 395 وحمل اليها الكتب من خزائن القصور المعمورة، ورتب فيها قوم يدرسون للناس العلوم (الحضارة الإسلامية للأستاذ آدم متز ص294).

6. **دار العلم:** أنشأها الشريف الرضي نقيب العلويين والشاعر المشهور عام 1015/406 وافتتحها لطلاب العلم وعيّن لهم جميع ما يحتاجونه (ديوان الشريف الرضي طبعة بيروت طبعة سنة 1307هـ ص3).

7. **المدرسة الطرابلسية:** ذكرها كرد علي في خطط الشام ج6 ص67 وقال عنها: وكان حسن بن عمار قاضي طرابلس والمتغلب عليها أقام في طرابلس دار حكمة أو مدرسة جامعة على نحو دار الحكمة التي أنشاها الحاكم بأمر الله في مصر، سنة أربعمائة.

8. **مدرسة الأسفراييني النيسابورية:** قال الحاكم النيسابوري المؤرخ الثقة (صاحب تاريخ علماء نيسابور) المتوفى سنة 406هـ إن أول مدرسة (أي نيسابورية) هي التي بنيت لمعاصرنا الأسفراييني بنيسابور.

9. **المدرسة البستية:** بناها أبو بكر البستي المتوفى عام 429هـ لأهل العلم على باب داره، ووقف عليها جملة من ماله الكثير.

10. **مدرسة ابن فورك:** المتوفى سنة 406هـ وهي أحدث من مدرسة الاسفراييني بقليل.

11. **المدرسة البيهقية:** نسبة الى البيهقي المتوفى سنة 450هـ.

12. المدرسة التي بناها السلطان محمود بن سبكتكين المتوفى في جمادى الأولى سنة.

13. المدرسة الثانية التي بناها السلطان محمود بن سبكتكين ايضاً.

14. المدرسة التي بناها أخوه نصر بن سبكتكين، وله مدرسة أخرى ذكرهما كليهما جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي.

15. مدرسة إسماعيل الاسترابادي الصوفي الواعظ.

16. **المدرسة الرشائية الدمشقية:** انشأها رشاء بن نظيف بن ما شاء الله أبي الحسن الدمشقي سنة 444هـ (خطط الشام ج6 ص67).

وجاء في مختصر تاريخ العرب للأمير علي ص266 أن عز الدولة البويهي شيد مستشفى فخماً، وفتح عدة كليات في بغداد، وفي المصدر نفسه ص 266 أيضاً أن طغرلبك السلجوقي كان كلما استولى على مدينة شيد فيها مسجداً ومدرسة تخليداً لذكرى انتصاراته الباهرة. فهل بعد هذا من شك في أن المدارس (بمعناها المتعارف) وجدت وأنشئت قبل المدارس النظامية، وأنها عرفت قبل أواسط القرن الخامس الهجري؟.

هذا، وإني لأرجو أن أكون قد قمت ببعض الواجب نحو إحقاق الحق، وإبراز الحقيقة التي اشتركت _ بدافع الإخلاص _ في البحث عنها مع حضرات السادة الأفاضل المنتقد والناقد والمحايد، فان أصبت فذلك، ما كنت أبغي، وإن أخطأت فلست مدعياً العصمة، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1.ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1 (مصر 1302هـ).

2.إبن بطوطة، تحفة النظّار في غرائب الأمصار، شرح طلال حرب، ط3 (لبنان2002).

3.ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1 (مصر1930).

4.ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مصر 1907.

5.ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت 1956.

6.إبن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1(مصر 1310هـ).

7.ابن دريد، جمهرة اللغة، ط1 (حيد آباد 1345هـ).

8. ابن العبري، غريغوريوس، تاريخ مختصر الدول (بيروت 1997).

9.ابن مالك، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط14(مصر1965).

10.ابن منظور، لسان العرب المحيط، اعداد يوسف خياط وآخر(بيروت ب ت).

11. احمد، سالم، فهرس مخطوطات اوقاف الموصل، ط2 (الموصل 1982).

12.آل فرج، اسماعل حقي، إتحاف الألباء بنبذ من تاريخ الموصل الحدباء (مخطوط).

13.آل فرج، قصي حسين، إسماعيل الكبير الأديب والمؤرخ، الموصل2002.

14.آل فرج، قصي حسين، المكتبات العامة الموصلية،(الموصل 2004) نشر مركز دراسات الموصل.

15.آل فرج، قصي حسين، تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل، الموصل2004.

16.آل فرج، قصي حسين، علي الشمالي الأستاذ البصير، الموصل 2002.

17.الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه، ط2(مصر1974).

18.البزاز، حسن، ديوان البزاز، إعداد فاتح عبد السلام، ط2 (بغداد 1988).

19.البستاني، بطرس، قطر المحيط، بيروت 1869.

20.البستاني، دائرة المعارف، بيروت 1887.
21.البلاذري، فتوح البلدان، نشر صلاح الدين المنجد، مصر 1956.
22.الجلبي، داود، الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية، الموصل 1935.
23.الجنابي، كاظم، مسجد أبي دلف، بغداد 1970.
24.حسن، محمد زكي، الفن الإسلامي في مصر من الفتح العربي الى نهاية العصر الطولـــوني، بيروت 1981.
25.الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ط3 (مصر 1936).
26.الخجندي، محمد سلطان المعصومي، رسالة البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التـــابع، مصر 1946.
27. الديوه جي، سعيد، بحث في تراث الموصل، الموصل 1982.
28.الديوه جي، سعيد، جوامع الموصل في مختلف العصور، بغداد 1963.
29. الديوه جي، سعيد، الموصل في العهد الأتابكي، بغداد 1958.
30.الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط4 (بيروت 1958).
31.رحلة إبن جبير، بغداد 1937.
32.الزركلي، الأعلام، ط4 (بيروت 1971).
33.زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ط3 (مصر1920).
34.سالنامة ولاية الموصل (الموصل1308هـــ و1310هـــ و 1325هـــ و1330هـــ).
35.سامح، كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام، مصر 1971.
36.السبكي، عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، ط1 (مصر1324هـــ).
37.سركيس، يعقوب، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ، ق1 بغداد 1948.
38.سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، تعريب عفيف البعلبكي، ط1 (بيروت 1961).
39. سعد، طه عبد الرؤوف، السيدة نفيسة نفيسة العلم كريمة الدارين، ط1 (مصر2000).

40.الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مصر ب ت.
41.الصائغ، سليمان، تاريخ الموصل، ج1، بيروت 1923.
42.الصايغ، سليمان، تاريخ الموصل ج3، لبنان 1956.
43.العبادي، لقاء فتحي، احمد الصوفي 1893ـ 1981 دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل 2004.
44.عبد الجليل، يوسف، الانتصار للأولياء والأخيار(مخطوط).
45.العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، بغداد
46.العمري، ياسين، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام.
47.العمري، ياسين، غراب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل 1940.
48.العمري، ياسين، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، الموصل 1955 تحقيق سعيد الديوه جي.
49.فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة (ملحق بمساجد مصر) 1951.
50.لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعليق الأمير شكيب أرسلان، ط1 (مصر1352هـ).
50.متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، مصر 1940، نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة.
51.مجلة الرابطة (بغداد 1945).
52.محمدعلي، سجى قحطان، الادارة العثمانية في الموصل(1834ـ1879م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل 2001.
53.محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2 (مصر1896).
54.مساجد مصر، وزارة الأوقاف، (مصر1947).
55. معلوف، لويس، المنجد في اللغة والاعلام ط20 .

56.المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2 (ليدن 1906). اوفسيت.
57.المقريزي، احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مصر 1326هـــ.
58. الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة 1965.
59.موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل 1992.
60.الميداني، احمد بن محمد، مجمع الأمثال، مصر 1955.
61. هارون، عبد السلام، معجم مقيدات ابن خلكان، ط1 (مصر1987).
62.يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد 1982.

المؤلف في سطور

اسماعيل بن احمد بن فرج الباقري الموصلي. ولد في الموصل سنة 1310هـ /1892. من عشيرة السادة البقارة في العراق. درس في كتّابها ومدارسها سنة 1900، قرأ القرآن الكريم وجوده على بعض المقرئين، وأخذ مباديء الفقه والحساب والاملاء . دخل في سنة 1908 مدرسة جامع النبي شيث بعد اجتيازه شوطاً في دراسة علم النحو فضلاً عن علوم الفقه والمنطق والبلاغة والتفسير والعروض ثم التاريخ. وأكمل دراسته في مسجد بنات الحسن سنة 1912، وفي سنة 1913 دخل دار المعلمين التركية في الموصل وبقي فيها سنة في الصف الأول وأخرى ولم يتم دراسته فيها بسبب انتظامه في الجيش التركي على اثر قيام الحرب العالمية الاولى ، وبعد الهدنة 1918 سرح من الخدمة العسكرية ليعود الى مدرسة النبي شيت ليدرس على شيخه ابراهيم حقي الحاج ياسين القصاب علم الحديث وأصوله وآداب البحث والمناظرة وعلم الكلام والفرائض وأجازه سنة 1342هـ/ 1924 .

درّس في مدارس الموصل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، شاعر، له مساهمات في مجال الانشطة الوطنية والقومية ذات الطابع السياسي والأدبي في ثورة العشرين ومرحلة تأسيس الحكم الوطني العراقي ونشأة النظام الملكي ومشكلة الموصل والمناسبات الدينية. مؤرخ، ومن آثاره: أصح النقول في شرح منظومة الجلال في نجاة آباء الرسول، وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، وتاريخ حمام علي، والمدرسة النظامية وتاريخها، والإعلام بتراجم مدرسي المستنصرية الأعلام، ووكف الغمامة لمحو ما كتب على الرخامة، والآثار والمباني العربية في الموصل، وأسانيد الجبور، وسيد سادات الحرم، وجميعها مخطوطة، والقضاء الاسلامي وتاريخه طبع سنة 1949، وديوان شعر طبع سنة 2002. وله العديد من المقالات منشورة في المجلات والصحف الموصلية. توفي سنة 1948.

السيرة الذاتية

قصي حسين علي آل فرج

ولد في الموصل سنة 1946

تخرج في مدارس الموصل (معهد اعداد المعلمين ذي السنتين بعد الاعدادية) وعين في سلك التعليم 1967/66.

انتقل للعمل في المكتبة المركزية العامة بالموصل منذ سنة 1979.

- مدير المكتبة المركزية العامة.
- عضو لجنة أصدقاء جامعة الموصل/ مركز دراسات الموصل وله فيها مشاركات كمحاضرات وندوات 1996.
- عضو فخري في جمعية المؤرخين فرع الموصل 2000.
- رئيس جمعية الخطاطين العراقيين فرع نينوى 2002.
- عضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب/ اتحاد المؤرخين العرب2005.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب فرع نينوى 2005.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين فرع نينوى 2005.
- عضو الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين/ دمشق 2007.
- مجاز بالنظر والتحقيق والتوثيق والتصديق في الانساب منالعراق وسورية.
- ساهم في العديد من الدورات الفنية والمهنية: الخط العربي والدفاع المدني والعمل المكتبي المتخصص والتعداد العام، وللسنوات: 1972، 1973، 1982، 1985، 1986، 1997 ولحد الآن.

آثاره:

1. القضاء والقدر، جذور الفكرة واشكاليتها والحل الاسلامي 1994.
2. محلة باب الطوب دراسة تاريخية ميدانية 2000.

3. = = = = = 2010.

4. إسماعيل الكبير الأديب والمؤرخ 2002.

5. علي الشمالي الأستاذ البصير 2002.

6. تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل 2004.

7. عشيرة العزة في الموصل 2006.

8. رمضان احمد البكر آل خروفة (سيرة وأدب) 2008.

9. وكف الغمامة لمحو ما كتب عن الرخامة (في الآثار)، تحقيق.

10. مقالات ودراسات متنوعة منشورة في الصحف المحلية منذ سنة 1992: الحدباء ونينوى والبيرق وفتى العراق والحوار الوطني.

وله تحقيقات في طور الطباعة:

1. الشكر لابن أبي الدنيا (في الحديث).

2. الآثار والمباني العربية في الموصل.

3. المكتبات العامة الموصلية.